
شيلوك الجديد
علي أحمد باكثير

مطبوعات مكتبة مصر

شيلوك الجديد

مسرحيتان فى مسرحية واحدة

تأليف

علي أحمد باكثير

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى "الفجالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كلـــــات . . .

لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجـدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيســين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون .

« قرآن كريم »

إن فلسطين ليست أرضا بلا شعب حتى تصبح وطنا لشعب بلا أرض ...

هدى هانم شعراوى

إن البلاد العربية المحيطة بفلسطين لا تستطيع أن تطمئن على استقلالها وحريتها السياسية والاقتصادية يوما واحدا إذا ضاعت فلسطين وابتلعتها الصهيونية . وهذا ما يجب أن يفهمه كل فـرد من أبناء هذه الأمم وأولها مصر ، فليس لنا غير الرق الاقتصادى وتتبعه العبودية السياسية إذا قامت الدولة الصهيونية .

الأســتاذ المـازنى

اخبار اليوم ١٨ / ٨ / ١٩٤٥

لا حاجة لأن تكون فلسطين المستقبل محدودة بحدودها التاريخية . ففى إمكان المدينة اليهودية الامتداد على جميع البلاد التى وعدوا بها فى التوراة من البحر الأبيض المتوسط حتى الفرات ومن لبنان حتى نهر مصر . هذه هى البلاد التى أعطيت للشعب المختار .

نورمان بنتويش

فى كتابه (فلسطين اليهود)

يحسن أن لا نأخذ حسن الظن باليهود الذين يعيشون داخل بلاد الجامعة العربية ، فلن يترددوا فى العمل لحساب الدولة اليهودية المقبلة فى الوقت المناسب ، وسيستعملون كل الأسلحة التى توصلهم لتحقيق أغراضهم .

الأستاذ مصطفى السعدنى

(مجلة الشرق الجديد ، العدد ٦ ، السنة الأولى)

إن الحكومة البريطانية سمحت لنفسها تحت تأثير أموال الصهيونيين ودعايتهم أن تشط عن مسئوليات وصاياتها نحو فلسطين ونحو أوهام الوطن القومى اليهودى الذى لم يكن يقصد بتصريح سنة ١٩١٧ .

إن الجنود البريطانيين ورجال البوليس ظلوا ٢٥ عاما يقاتلون الفلسطينيين لتأييد مطالب الصهيونية التى تقوم تارة على دعوى الحقوق وهى حقوق لا يعترف بها القانون ولا يبررهـا العقـل ، وتارة أخرى على دعوى اضطهاد اليهود فى أوربا الوسـطى وهى وإن كانت ادعاءات حقيقية إلا أنها لاتهم عرب فلسـطين أكثر مما تهم الشعوب الأخرى .

البريجادير ستيفن لونجريج

« عن مجلة سبكتاتور »

المسرحية الأولى :

المشـــــــكلة

في اربعة فصول

أشخاص المسرحية الأولى

عبد الله الفياض : شاب فى الرابعة والعشرين . تخرج فى كلية الحقوق بمصر .

كاظم بك الفياض : مجاهد وطنى من سراة فلسطين — طبيب ومحسن كبير .

جليلة هانم : زوجة كاظم بك .

راشـــيل : فتاة يهودية — خليلة عبدالله الفياض .

خليل الدواس : صديق عبد الله الفياض وراشيل .

ميخائيل جاد : محام من كبار الوطنيين — رئيس بلدية القدس .

كساب جاد : وطنى كبير — مأمور بوليس .

شيلوك : مدير النشاط الصهيونى فى فلسطين .

كوهين : من أبرع المحامين اليهود .

إبراهام : يهودى فلسطيى يقاوم الحركة الصهيونيه — رئيس اليهود اللاصهيونيين بفلسطين .

زيكناخ : ضابط بوليس يهودى .

جاك : رئيس لجنة شراء الأراضى .

بنيامين : رئيس الدعاية الصهيونية .

جوزيف : رئيس الجمعيات الإرهابية .
فوزى بك : وطنى مصرى كبير .
سلمى هانم : زوجة فوزى بك .
نادية : كريمة فوزى بك وخطيبة عبد الله الفياض .
عثمان : سائق سيارة عبد الله الفياض .
رجب : سائق سيارة كاظم بك .

* * *

مكان الحوادث : القدس – فلسطين
زمانهـــا : من سنة ١٩٣٥ – إلى الوقت الحاضر .

الفصل الأول

في قصر آل الفياض بالقدس — بهو استقبال فخم ينطق كل شيء فيه بدلائل الجاه واليسار والأناقة . له بابان ، أحدهما عن يمين المسرح وهو يؤدي إلى خارج القصر ، والثاني على يسار المسرح وهو يؤدي إلى داخل القصر . « الوقت ضحى » .

يدخل من الباب الخارجي خليل وراشيل تتقدمهما خادم شديد السمرة إلا أنه حسن البزة يرتدي ملابس سائق سيارة خصوصية ، وهو بشوش الوجه تنطق أساريره بالطيبة . وخليل شاب عربي طويل القامة جميل تقاطيع الوجه بالرغم من الشحوب البادي عليه وآثار جدري طفيفة ، ويرتدي بذلة رمادية اللون أنيقة بالرغم مما يبدو عليها من دلائل القدم . أما راشيل ففتاة شقراء ممشوقة القد ناضجة الأنوثة كلها إغراء وفتنة ، وترتدي فستانا من الحرير سماوي اللون محبوكا على جسدها حتى ليكاد أن يتمزق .

خليل : أين سيدك ياعثمان ؟ ألم يستيقظ بعد من نومه ؟

عثمان : بلى ياسيدي قد استيقظ منذ زمان .

راشيل : فأين هو الآن ؟

عثمان : هو ياسيدتى فى الحمام وقد أمرنى أن أستقبلكما حين تحضران لتنتظراه فى البهو ، تفضــلا ، هو الساعة يجئ .

راشيل : اذهب إليه فأعلمه بمجيئنا .

عثمان : سمعا ياسيدتى . « يخرج منطلقا من الباب الداخلى » .

« تجلس خليل وراشيل على كرسيين متجاورين » .

راشيل : « تنظر فى الساعة التى على معصمها » الساعة الآن إحدى عشرة وصديقك هذا لايزال فى الحمام .

خليل : اعذريه ياعزيزتى راشيل ، فقد سكر البارحة بعد أن غادرتنا سكرة هائلة لايمكن أن يصحو منها اليوم قبل الساعة العاشرة .

راشيل : ليته أخبرنى بذلك ، فقد كنت على موعد مع إلياهو لأقابله فى مكتبه اليوم الساعة العاشرة ، فاضطررت إلى إلغاء هذا الموعد من أجل هذا الذى لايزال إلى الآن فى الحمام .

خليل : الأمر بسيط ياراشيل . أليس قد اعتذرت إلى خطيبك ؟

راشيل : كلا لم أعتذر إليه بعد .

خليل : هاهو ذاك التليفون . قومى فاتصلى بخطيبك .

راشيل : « تنهض ضجرة إلى جهاز التليفون الواقع فى الركن الشمالى الشرقى من البهو » ماذا أقول لإلياهو الآن ؟ لو كنت أعلم أن عبد الله سيتأخر هكذا ، لكنت مررت على إلياهو فى موعده وعدت الساعة من عنده .

خليل : لن يعجزك أن تخترعى له أى عذر .

راشيل : « تتناول سماعة التليفون وتدير الرقم » آلو . . إلياهو . حبيبى . . . صباح الخير . . . نعم تأخرت يا حبيبى اعذر قاهر . . . خالتى مريضة وقد رجتنى أن أصحبها إلى عيادة الدكتور . . . لماذا هذا التحقيق يا إلياهو ؟ . . . أتريد الحق ؟ إنى شعرت اليوم بفتور شديد فلزمت فراشى . . . لا ياحبيبى المسألة هينة جدا . . . لا لزوم لمجيئك اليوم . غدا سأجيئك فى نفس الموعد . . . إلى اللقاء يا حبيبى العزيز .

خليل : « يقترب منها ويأخذ السماعة من يدها فيضعها » ألم أقل لك ياحبيبتى راشيل إنك بارعة فى اختراع المعاذير ؟ « يعانقها ويحاول تقبيلها » .

راشيل : « تتملص من بين ذراعيه » ويلك ياخليل أتريد أن تفسد عملنا ؟

خليل : لاتخافى ياراشيل . إن صاحبنا سيمكث فى حمامه طويلا بعد . ولا خوف من فساد العمل فقد تكلل بالنجاح . إن الطائر قد وقع فى الشرك ولن ندعه يفلت منه حتى ينسل كل ماعليه من الريش . « تمر فى وجهه سحابة من الغم » حتى يكون مثلى ! من كان يصدق ياراشيل أن خليل سليل آل الدواس يمشى وليس فى جيبه جنيه واحد، وقد كان لايستطيع الخروج من بيته وفى جيبه أقل من مائة جنيه ؟

راشيل : « مشفقة عليه » ليس فى جيبك جنيه ؟ هذا كثير ياخليل . خذ من عندى جنيها من أصل المكافأة التى وعدك بها المسيو شيلوك . « تفتح محفظتها لتخرج الجنيه » .

خليل : ماذا أصنع بالجنيه الواحد ؟ أريد المكافأة كلها : أريد الخمسين جنيها .

راشيل : ستتسلم المكافأة كلها حين يتم العمل .

خليل : أو لم يتم عملى بعد ؟ ألم يحصل التعارف بينك وبين عبد الله الفياض ؟! لقد أديت واجبى الذى أقدر عليـــه . أما الباقى فعلى جمالك ياراشيل وفتنتك .

راشيل : قل هذا للمسيو شيلوك حين تقابله .

خليل : لعنة الله على المسيو شيلوك ! لقد كان سبب نكبتى وضياع أملاكى ؟

راشيل : أتلعنه وأنت تأكل وتشرب وتلبس وتقيم فى تل ابيب على حسابه ؟

خليل : وهل مثلى يا راشيل يكتفى فى حياته بالمسكن والقوت ؟ إنى أستطيع أن أحصل على هذا من أى سبيل آخر .

راشيل : اصبر قليلا ياخليل فسيفى لك المسيو شيلوك بما وعد .

خليل : سيماطلنى المسيو شيلوك من يوم إلى يوم ، وأنا بحاجة إلى المبلغ اليوم وهو متوفر عندك ، فأسألك بحق هذه العيون الجميلة إلا مادفعته لى ثم خذيه من المسيو شيلوك »

راشيل : لا أستطيع أن أعطيك هذا المبلغ إلا بإذنه .

خليل : « يعود مسرعا إلى جهاز التليفون ويأخذ السماعة ويدير الرقم » آلو . . مسيو شيلوك ، صباح الخير يامسيو شيلوك . هذه الآنسة راشيل تريد مكالمتك « يلتفت عن السماعة إلى راشيل » هاهى ياراشيل كلميه : : ؟

راشيل : « تقبل متثاقلة » ماهذا الإحراج ياخليل ؟ قد يدخل عبد الله الساعة فيسمع :

خليل : « يناولها السماعة » لا تخافى : . سأحرس الباب .

راشيل : « تمسك السماعة » صباح الخير يامسيو شياوك . . . من بيت عبد الله الفياض . هو فى الحمام الآن . . . نعم . . هذا خليل يطالبنى بالمكافأة ويلح على إلحاحا شديدا فهل أدفعها له ؟ . . . أدفع له نصفها . . . ؟ حسنا سأقول له ذلك . . إلى اللقاء « تضع السماعة » :

خليل : ماذا قال لك ؟

راشيل : أمرنى أن أدفع لك نصف المبلغ اليوم والباقى يوم الأحد القادم ، وأمرنى أن أذكرك بأن الغرض ليس مجرد الاتصال بل الاستيلاء على أراضيه ، وعندما يتم ذلك سيكافئك بمائتى جنيه أخرى .

خليل : هذا جميل ، ولكن المهم أننى بحاجة إلى الخمسين جنيها اليوم ، فماذا أصنع بخمسة وعشرين ؟

راشيل : آسفة ياخليل ، ماعندى لك غير خمسة وعشرين ، إن شئت قبضتها الآن وإن شئت تركتها حتى تقبض المبلغ كله يوم الأحد .

خليل : « يتنهد » هاتى ماعندك إذن .

« تعود راشيل إلى مجلسها الأول ويتبعها خليل حتى يجلس إلى جانبها » .

راشيل : « تفتح محفظتها وتخرج المبلغ فتعطيه لخليل ثم تدني

فمها من فمه وتقبله » وخذ هذه أيضا ياحبيبي العزيز .

خليل : « يقبلها ثم يلتفت فجأة إلى الباب » هاهو ذا أقبل .. الزمى مكانك .

راشيل : « بصوت عال » أجمل بصاحبك ياخليل أن يحبسنا كل هذه المدة في انتظار خروجه من الحمام ؟

« يدخل عبد الله الفياض مرتديا بيجامة من الحرير الأبيض ، وقد شب الحمام وجهه فزاده جمالا ونضارة . وهو شاب في الرابعة والعشرين من سنه معتدل القامة قوى البنية واسع العينين كأن فيهما كحلا . وفي وجنته اليمنى ندب من جرح قديم يزيد وجهه ملاحة » .

عبد الله : « محييا راشيل » لا تؤاخذيني ياعزيزتي راشيل ، فوالله إنه لمن سوء حظي أن لا أكون أنا الذي استقبلتك من الباب « يصافحها بحرارة » .

خليل : نعيما ياعبد الله !

عبد الله : أنعم الله عليك .

راشيل : « لخليل » ما تقول ؟ نعيما ؟ ها . . . من أجل الحمام ؟ « تلتفت إلى عبد الله » نعيما ياعبد الله !

عبد الله : وأنت أيضا تقولينها ياراشيل ؟ أنعم الله عليك

يا حبيبى . . والله لا أدرى بم أدعو الله أن ينعم عليك بعد ؟ أبالجمال أم بالصحة أم بالشباب ، وكل هؤلاء موفور عندك ؟

راشيل : « باسمة فى دلال » ادع الله أن ينعم على بحبك !

عبد الله : بحبى ؟ وهل ينقصك هذا بعد ؟ أما تعرفين أنى أموت غراما بك ؟

« تدخل الخادمة بصينية القهوة وتضعها على المنضدة وتخرج » « يقدم عبد الله القهوة لضيفيه » .

راشيل : « وهى تحتسى فنجان القهوة » لو كنت تحبنى حقا لما تركتنى أنتظرك هذه المدة الطويلة .

عبد الله : أليس قد صفحت عن هذا ياراشيل ؟ إنى رحت البارحة فى سبات عميق وما استيقظت إلا قبيل مجيئكما ، لعن الله الخمر !

خليل : « يفرغ من شرب قهوته وينهض » ائذن لى ياعبدالله بالانصراف .

عبد الله : إلى أين ياخليل ؟ ألا تبقى معنا .

خليل : ماذا أصنع بينكما ؟ عندى أشغال لابد أن أقضيها اليوم قبل سفرى إلى تل أبيب .

عبد الله : متى تسافر إلى تل أبيب ؟

خليل : غدا فى الصباح .

عبد الله : حسن ، اقض أشغالك الآن على أن توافينا الساعة الثانية بفندق الملك داود لنتغدى معا . حذار أن تتخلف .

راشيل : لاتدعنا ننتظرك كما انتظرنا عبد الله فى الحمام .

خليل : « يضحك » كلا سأحضر فى الموعد بالضبط .

عبد الله : هل تريد عثمان أن يوصلك بالسيارة ؟

خليل : شكرا . لا داعى إلى ذلك .

عبد الله : « يشيعه إلى الباب » نراك الساعة الثانية .

خليل : إن شاء الله . « يخرج » .

« يعود عبد الله فيجلس على الكرسى الملاصق لكرسى راشيل » .

عبد الله : هانحن الآن وحدنا ياراشيل : إن خليل الدواس لصاحب ذوق .

راشيل : إنه يعتقد مع الأسف إنك تحبنى حقا .

عبد الله : أما تعتقدين أنه محق فى اعتقاده ؟

راشيل : ياليتنى أستطيع أن أقنع نفسى بهذا .

عبد الله : مايجعلك ترتابين فى هذه الحقيقة الواضحة ؟

راشيل : لا تستطيع المرأة أن تطمئن إلى حبيبها مادام فى قلبه موضع لحب آخر .

عبد الله : ها هو ذا قلبى بين يديك ، فتشيه فان تجــدى

فيــه إلا حب راشيل .

راشيل : لكن هذا الخاتم فى إصبعك يشهد أنك كاذب فيما تقول .

عبد الله : هذا الخاتم فى إصبعى وليس فى قلبى .

راشيل : أجل هو فى إصبعك ولكن صاحبته فى قلبك .

عبد الله : « يضحك » فيا بالله إن صاحبته فى مصر !

راشيل : أتريد أن تضحك على عقلى؟ إنى أعلم أنها فى مصر ، ولكن حبها فى قلبك .

عبد الله : قد كان ذلك قبل أن أراك ياراشيل ، ولكن حبك نسخه كما نسخت شريعة موسى بشريعة محمد !

راشيل : بل شريعة موسى هى الباقية ياعبد الله .

عبد الله : دعى هذا البحث للشيخ والحاخام يتنازعان القول فيه . أما نحن فلنوحد الشريعتين فى هذه القبلة « يضمها إليه فيقبلها فى فمها » .

راشيل : « تتملص من بين ذراعيه » هل حفظت قائمة الكلمات التى كتبتها لك أمس ؟

عبد الله : يؤسفنى يا أستاذتى أنى لم أحفظ منها غير كلمة « شانوم » .

راشيل : لو كنت تحب أستاذتك حقا لحفظت درسها .

عبد الله : « باسما » أى تلميذ فى الدنيا يملك ألا يحب أستاذة

جميلة مثلك ؟

راشيل : فما الذى منعك من حفظ درسها ؟

عبد الله : إنى تلميذ بليد كسول ياراشيل .

راشيل : ومع ذلك فقد حزت ليسانس الحقوق من الجامعة المصرية .

عبد الله : ما حزته إلا بمشقة كبيرة . صدقينى ياحبيبى ماحزته إلا بعد ما أنفقت من عمرى خمس سنين .

راشيل : لا تغالطنى . هل قضيت فى الدرس الأول خمس سنين ؟

عبد الله : كلا بالطبع . . . ولكن . . .

راشيل : « مقاطعة » أعرف ماتريد أن تقول . إنك تبغض العبرية كما يبغضها قومك .

عبد الله : أتريدين الحق ياحبيبتى راشيل ؟ كنت فيما مضى أكره العبرية وأعدها مزاحمة للغتى القومية فى فلسطين . ولكنى لما أحببت راشيل أحببت لغتها معها.

راشيل : إذا توفر عند التلميذ حب الأستاذ وحب الدرس فلا عذر له فى إهماله .

عبد الله : نسيت شيئا آخر ياراشيل .

راشيل : ما هو ؟

عبد الله : الطريقة ، فعليها معول كبير فى نجاح التعليم .

راشيل : ماذا تعنى ؟
عبدالله : هذه الطريقة الجافة لاتثمر ؛ يجب أن تكون الطريقة مشوقة »
راشيل : اقترح الطريقة التى تعجبك .
عبد الله : أحسن طريقة لحفظ هذه الكلمات هى أن أتلقاها بطريق القبلة من فمك هذا الجميل ، فهى الأداة الناجحة لتثبيتها فى لسانى ؛
راشيل : « تضرب كتفه بيدها » ويلك من تلميذ ماكر !
عبد الله : « ينهض » انتظريني لحظة . سآتيك بقائمة الكلمات . « يخرج » « تخرج راشيل مرآة صغيرة من محفظتها فتنظر فيها وتصلح شعرها فى حركة سريعة وعلى وجهها دلائل الاغتباط ، ثم تعيد المرآة إلى محفظتها وتنظر فى ساعتها وتبدو كأنها تستثقل المكث » .
« يعود عبد الله وبيده القائمة »
عبد الله : هاهى ذى القائمة ياراشيل ؛
راشيل : لماذا أحضرتها ؟
عبد الله : لتلقنيني الكلمات حتى أحفظها ؛
راشيل : أين ؟ هنا ؟
عبد الله : نعم .
راشيل : لا يا عبد الله ليس هنا ، فقد طال بنا المكث ولا بد من

أن يجيء إلينا الساعة أحد .

عبد الله : من يجيء إلينا الآن ؟ لا أحد .

راشيل : قد يجيء عمك فماذا يقول لو رآني هنا ؟

عبد الله : إن عمي لا يعود قبل الساعة الثانية . فاطمئني .

راشيل : لا ياعبدالله إني قلقة . فاذهب فارتد ملابسك لنخرج .

عبد الله : أمرك مطاع يا راشيل ولا راد لمشيئتك . « يخرج »

« تنهض راشيل فتتخطر بين أركان البهو وهي تترنم بأغنية عبرية في صوت منخفض ، ومن حين إلى حين تقف أمام المرآة الكبيرة فتسوى شعرها وتتأمل في خيالها معجبة مدللة . يدخل عبد الله مرتديا ملابس الخروج » .

عبد الله : هأنذا قد ارتديت ملابسي ياراشيل فهيا بنا .

« تدخل الخادمة لتأخذ صينية القهوة » .

عبد الله : « للخادمة » قولي لهم إني سأتغدى في الخارج فلا ينتظروني . .

الخادمة : سمعا يامولاي « تأخذ الصينية وتخرج » .

« يتأبط عبد الله ذراع راشيل ويتجهان نحو الباب الخارجي إذا بعثمان يدخل مضطربا » .

عثمان : سيدي ! سيدي ! كاظم بك قادم ومعه ميخائيل بك .

راشيل : « مضطربة » عمك كاظم بك !

عبد الله : لا تخافى يا راشيل « لعثمان » أين هما ياعثمان ؟

عثمان : مقبلان . لابد أنهما دخلا الحديقة الآن .

عبد الله : اسمع ياعثمان : اخرج بالآنسة راشيل من باب الحريم، وانطلق بها قبلى إلى فندق الملك داود ثم عد إلى بالسيارة . لاتدع عمى يراك .

عثمان : سمعاً ياسيدى . تعالى معى ياآنسة .

عبد الله : اتبعيه ياراشيل : سألحق بك حالاً .

« يخرج عثمان من الباب الداخلى وتتبعه راشيل »

عبد الله : « يصلح رباط عنقه ويحاول كتم اضطرابه » عجباً ، ما الذى رجع بعمى مبكراً اليوم على خلاف عادته » « يدخل كاظم وميخائيل فيصافحهما عبد الله » .

عبد الله : اهلا ميخائيل بك .

ميخائيل : مرحبا . كيف حالك يابنى ؟

عبد الله : الحمد لله بخير .

كاظم : « يضحك ساخراً » بخير ولله الحمد . الدنيا تجد وهو يلعب . تفضل ياميخائيل .

« يسمع صوت جليلة هانم من الداخل وهى ثائرة غضباً » لا . . لايمكن الصبر على هذا . لابد من وضع حد لهذه الفوضى !

« ينسل عبد الله من الباب الخارجى » :

كاظم : « يدنو من الباب الداخلى » جليلة ! ماهذا الصياح ؟

صوت جليلة : كاظم ، من عندك ؟

كاظم : ميخائيل بك . مالك تصيحين هكذا ؟

صوت جليلة : ميخائيل بك ليس غريبا عنا . هل عندك أحد غيره ؟

كاظم : لا لا أحد غيره . تفضلى .

« تدخل جليلة هانم وهى سيدة فى الخامسة والأربعين من عمرها مهيبة الطلعة ترتدى روبا أسود ينطق بالحشمة والذوق » .

جليلة : « تصافح ميخائيل » أهلا بك ياميخائيل بك .

ميخائيل : « يقف لها محييا » مرحبا سيدتى الهانم .

جليلة : كيف حال ميكتوريا هانم والأولاد ؟

ميخائيل : بخير . يقبلون يديك ؟

جليلة : تفضل ياميخائيل بك

« يجلس ميخائيل » ؟

كاظم : وأنت ، ألا تجلسين أنت ؟

جليلة : شكرا . ما انتهيت بعد من عملى فى المطبخ . اسمع ياكاظم . ميخائيل بك منا ولا يكتم دونه سر ، إن لم تضع حدا لفوضى ابن أخيك فى البيت فلا والله لا أقيم فيه .

كاظم : هدئى من غضبك . ماذا صنع عبد الله ؟

جليلة : ماذا صنع ؟ أما تدرى ماذا صنع اليوم ؟

كاظم : من أين لى أن أعلم و ماحضرت إلا الساعة ؟

جليلة : عاد اليوم فجاء بخليلته اليهودية إلى البيت . وما اكتفى باستقبالها هنا فى البهو حتى سمح لها بالمرور داخل البيت لتخرج من باب الحريم .
أتريد استهتارا أكثر من هذا ؟ أأطيق الصبر أنا على هذا ؟

كاظم : « مناديا » عبد الله ! عبد الله ! أين ذهب هذا الولد الطائش ؟

ميخائيل : عليك بالرفق ما أمكن ياكاظم ، فالرفق أصلح للشبان الذين فى هذه السن .

كاظم : لقد ترفقت به طويلا ياميخائيل ونصحته فى لطف ليرعوى عن غيه ، فما زاده ذلك إلا تماديا واستهتارا . ما بقى عليه إلا أن يجعل بيتنا ماخورا . . هذا النذل الشقى .
« يتوجه نحو الباب الخارجى » عبد الله ! عبد الله !

صوت عبدالله : لبيك ياعمى ! « يظهر عبد الله على الباب » .

كاظم : قطع الله صوتك ! تريد أن تلوث اسم آل الفياض فى البلد ياشقى ؟

عبد الله : ماذا صنعت حتى توجه إلى هذا الكلام الجارح ؟

كاظم : ادخل هنا .

عبد الله : سمعا ياعمى . . . هأنذا دخلت .

« يتقدم الاثنان إلى حيث يجلس ميخائيل وتقف جليلة هانم مضطربة » . .

كاظم : اجلس هناك .

« جلس عبد الله على كرسى قبالة ميخائيل » .

عبد الله : « يتكلف الابتسام متجلدا » سبحان الله ، مالوجوهكم هكذا عابسة ؟

جليلة : كأنك لاتعرف السبب .

ميخائيل : يابنى يجب عليك أن ترعى حرمة البيت .

عبد الله : لم أصنع فى البيت شيئا يستوجب كل هذا الملام ياميخائيل بك .

جليلة : والفتاة اليهودية التى أتيت بها اليوم إلى البيت ؟

عبد الله : كلا ماجئت بها أنا .

جليلة : صحيح . جاء بها صاحبك خليل الدواس ذلك الشاب الخاسر .

عبد الله : كان لى من أصدقاء الصبا وقد جاء يزورنى فى منزلى ، أفيليق بى أن أطرده ؟

كاظم : أما تستحى أن تصادق شابا كهذا ضيع أملاكه

باليهود ثم اشتغل قرادا عندهم ؟

عبد الله : هذه معلومات جديدة ما سمعتها إلا منك .

كاظم : لأنك مغفل لا تدرى ماذا يراد بك .

جليلة : وما اكتفيت باستقبالها هنا فى البهو حتى سمحت لها بالخروج من باب الحريم .

عبد الله : مافعلت ذلك إلا احتراما لشعور عمى . فقد خشيت أن أغضبه إذا رآها هنا عندى .

كاظم : ألم أنهك مرارا عن استقبال هذه البغى هنا فى المنزل ؟

عبد الله : إنها ليست ياعمى ببغى .

كاظم : فأى شئ هى ؟

عبد الله : فتاة كسائر الفتيات .

كاظم : فتاة شريفة تحبك لسواد عينيك ، هه ؟

عبد الله : تحبنى أو لا تحبنى . هذا شئ يتعلق بها هى .

كاظم : « يلين لهجته » ألست عمك يابنى ؟

عبد الله : بلى ياعمى ، وهل ينكر هذا أحد ؟

كاظم : أتتهمنى فى نصحى لك ؟

عبد الله : معاذ الله ياعم .

كاظم : فلماذا لا تطيع أمرى ؟

عبد الله : أطيع أمرك ياعمى فيما لا يمس حريتى .

كاظم : أمس حريتك أن أنهاك عن هذه البغى اليهودية الخطرة على سمعتك وعلى أملاكك ؟

عبد الله : أنا لاأعتقد أنها كما تصف .

كاظم : أهذا كل ماتعلمته من كلية الحقوق بمصر ؟

عبد الله : تعلمت منها على الأقل أنى قد بلغت سن الرشد وأنى أصبحت حرا فى تصرفاتى .

كاظم : أما إنك قد بلغت سن الرشد فهذا صحيح ولا فخر ، ولكن تصرفاتك تشهد بأنك سفيه . وإلا فقل لى أين الألف والخمسمائة جنيه التى سحبتها منى لتؤسس بها مكتب محاماة فرحت تصرفها على هذه البغى اليهودية ؟

عبد الله : إنها من مالى وأنا حر التصرف فيه .

كاظم : ولكنى مسئول عنك بصفتى وصيا عليك . ومن واجبى بل من حقى أن أكف يدك عن تبديد ثروتك .

عبد الله : فى وسعك أن تريح نفسك من هذه المسئولية .

كاظم : لست مجنونا حتى أرفع عنك الوصاية قبل أن تثبت أنك رشيد حقا .

عبد الله : سأعرف كيف أرفع وصايتك عنى وأثبت لك أنى رشيد وحر .

كاظم : ستعرف يوم تقع أملاكك وأراضيك فى أيدى اليهود نوع الحرية التى تتشدق بها الآن .

عبد الله : لست طفلا صغيرا فتخوفنى بهذا لأبقى تحت وصايتك إلى الأبد .

كاظم : « يلتفت إلى زوجته الواقفة » انصرفى ياجليلة إلى عملك فلا حاجة بك أن تسمعى كلام هذا الولد العاق .

« تخرج جليلة دون أن تنبس ببنت شفة » .

ميخائيل : (لعبد الله) على رسلك يابنى ، إننا لانعارض فى حريتك الشخصية ، ولكنك تعلم أن لهذه الحرية حدودا يجب أن تقف عندها . ومهما كنت عاقلا متعلما فنحن أسن منك وأعرف بدخائل الأمور .

عبد الله : أنا لا أنكر هذا ولكنى لا أقبل من أحد أن يضغط على حريتى .

ميخائيل : المسألة يابنى ليست مسألة شخصية ولكنها قضية وطنية . وبهذا الاعتبار يجب أن تنظر إلى تصرفاتك هذه لتعلم أن عمك المجاهد الوطنى معذور إذا تخوف أن يزيد فى نكبة الوطن شاب ينتمى إلى بيته الوطنى الكريم . إن هذه الأراضى التى نملكها فى هذا البلد المنكوب ليست ملكا لنا ، وإنما هى وديعة

فى أيدينا للأمة العربية ، ولا يجوز لنا أن نتصرف فيها تصرفا يساعد بطريق مباشر أو غير مباشر على تسربها إلى أيدى اليهود .

عبد الله : أتضفون على تصرفاتى هذه البسيطة كل هذه الصبغة الجديدة ؟ أتعلقون مصير الوطن المنكوب الذى يجاهد فى سبيله الرجال الصلاب المحنكون أمثالكم، على نزوات شاب مثلى يريد أن يستمتع قليلا بهذا اللهو الطليق قبل أن يرتبط بحياة الأسرة، ويعد نفسه للكفاح الطويل فى سبيل الحياة المجيدة فى سبيل الوطن ؟

ميخائيل : كأنى بك لو أدركت خطورة عملك هذا يا بنى كما ندركها نحن ، لأقلعت عن هذا العمل ؟

عبد الله : لا شك فى ذلك . ولكنى لاأستطيع أن أفكر تفكير الشباب وأتصرف تصرف الكهول .

كاظم : « وقد نفد صبره » أيجرؤ هذا الولد الخاسر أن يتفوه أمامى بهذه الاعترافات الآثمة ؟ . . . .

ميخائيل : رويدا يا كاظم . دعنا نحاور عبد الله فى تفكيره ، إذ يبدو لى أنه شاب عاقل ، وأنه إذ إقتنع بصواب منطقنا لن نخالفه .

كاظم : ولكن هذا لا يطاق .

ميخائيل : « يضع كفه على كتف كاظم » أرجوك .
« يتنهد كاظم ويسكت » .

ميخائيل : « لعبد الله » خذ قسطك يابنى من اللهو الطليق كما تقول ، ولكن ابتعد عن هذه اليهودية .

عبد الله : معذرةياميخائيل بك . على طرف لسانى سؤال أخجل أن أقوله لأنه سخيف .

ميخائيل : قله ياعبد الله لاحرج عليك . تكلم بصراحة .

عبد الله : أتنصحنى أن أختار فتاة أخرى لألهو بها ؟

كاظم : اسكت ياقليل الأدب !

ميخائيل : صبرا يا كاظم ، دعه يتكلم بصراحة .
« لعبد الله » هذا شأنك يابنى لا دخل لنافيه . لكن حذار من اليهوديات .

عبد الله : فيم هذا التضييق ياميخائيل بك ؟ إن اليهوديات أسهل وأطوع .

كاظم : « مغضبا » لعنة الله . . . .

ميخائيل : لا تقاطعنا يا كاظم ، أرجوك .
« لعبد الله » أخشى أن تلهو بك اليهودية بدلا من أن تلهو بها ؟

عبد الله : لا ضير على أن يكون اللهو متبادلا بيننا . بل . .

ميخائيل : بل ماذا ؟

عبد الله : أخجل أن أقول .

ميخائيل : لا تخجل . قل .

عبد الله : لعل اللهو حينئذ يكون أمتع !

ميخائيل : أنا أعني هذا .

عبد الله : فماذا تعني ؟

ميخائيل : إن اليهودية حين تلهو بها تجد بك . افهم هذا جيد .

عبد الله : حسبي أني ألهو بها وما يعنيني بعد ذلك أن تكون جادة أو لاهية .

ميخائيل : ولكن هذا يعني قومك ووطنك . ألا تحب أن تخدم وطنك ؟

عبد الله : بلى . أنا على استعداد أن أبذل حياتي في سبيل الوطن. قوموا بالثورة ، نادوا بالجهاد فوالله لأكونن أول من يلبي النداء .

ميخائيل : نحن الآن في الجهاد ياعبد الله ، ويسوؤني أنك لاتلبي النداء .

عبد الله : إن كنتم تعدون هذا الركود وهذا الخنوع جهادا فأعفوني من الاشتراك فيه ، فلا جهاد بدون عقيدة .

كاظم : انظر إلى هذا المحامي المغرور يحسب نفسه يترافع في محكمة يتشدق فيها بألفاظ رنانة .

عبد الله : أنتم دفعتموني إلى هذا إذ وقفتم مني موقف وكلاء

النيابة فى محكمة جنائية .

كاظم : اخرس ياقليل الأدب .

ميخائيل : « لكاظم » حلمك ياأخى .

« لعبد الله » إن الجهاد الذى نحن فيه لأعظم وأعنف من الجهاد الذى تشير إليه . نحن فى جهاد لا يقوم به الرجال المقاتلون فحسب ، بل يشترك فيه جميع الأمة كبيرها وصغيرها وذكرها وأنثاها . نحن نجاهد اليوم يابنى لنمنع مابقى لنا من أرض الوطن أن يتسرب إلى أيدى اليهود . إننا نقف اليوم يابنى فى وجه الذهب اليهودى الذى يتدفق على بلادنا من كل الجمعيات الصهيونية فى العالم ويغزو مكامن الضعف فينا بأسلحته الفتاكة ووسائل إغرائه الجهنمية . أنا لاأشك أنك تعرف هذا كاميا عبد الله ، فشاب متعلم مثلك لاينبغى أن يجهل قضية بلاده .

عبد الله : أنا لاأجهلها ياميخائيل باك : وإنما العلاج الوحيد عندى هو الثورة . وكيف أجهل هذه القضية وأنا أعلم أن أبى رحمه الله سقط شهيدا فى ساحة الجهاد فى ثورة سنة ١٩٢٢ ؟

ميخائيل : أجل ، رحم الله أباك . لقد كان بطلا عظيما .

كاظم : رحمة الله عليك ياخالد ! ماذا يكون حالك لو رأيت

وحيدك اليوم يخدم قضية اليهود بأعماله الطائشة ؟

عبد الله : إنى أستنكر هذا الاتهام الخطير .

ميخائيل : يقصد عمك أنك باتصالك بهذه اليهودية تعرض ثروتك للضياع فتسقط فى أيديهم .

عبد الله : لكنى لست غراً حتى أسلم أملاكى لليهود .

ميخائيل : ماأنت أول سار غره قمر ياعبد الله .

عبد الله : وما كل سار يغره قمر .

كاظم : وخطيبتك المصرية . . ماذا أنت صانع بها ؟ .

عبد الله : سأتزوجها فى ميعادها .

ميخائيل : متى ؟

عبد الله : عند ماتنتهى من دراستها فى كلية الحقوق .

كاظم : كأنك ماتزال تحبها ؟ .

عبد الله : بالطبع .

كاظم : ألست ترى أنه ليس من الرجولة فى شئ أن تخطب فتاة مصرية من أسرة كبيرة وهى تثق بطهارتك وإخلاصك . ثم تخونها فى وطنك مع بغى يهودية ؟

عبد الله : إنى ماخنتها ومازلت أحبها .

كاظم : وغرامك بهذه اليهودية اللعينة ؟ .

عبد الله : ما أعده إلا نزوة من نزوات الشباب . ولكل شاب صبوة .

كاظم : ماذا يكون حال خطيبتك لو بلغها سلوكك المشين ؟

عبد الله : أنى يبلغها هذا وهى فى مصر ؟ وإن علاقتى مع هذه الفتاة اليهودية لن تبلغ حد الاشتهار .

ميخائيل : إن أخبار السوء تنتشر كالبرق . والشاعر العربى يقول : ويأتيك بالأخبار من لم تزود .

عبد الله : سآخذ الحيطة اللازمة .

كاظم : « منفعلا » هل تظن أنى سأسكت على تغريرك هذا بفتاة بريئة ؟ أتريد أن تجعلنا مضغة فى أفواه المصريين ؟ .

عبد الله : لعلك تنوى أن تكتب إليها .

كاظم : نعم سأكتب إلى أبيها وأخطره بسوء سلوكك وفساد سيرتك .

عبد الله : ستكون هذه وشاية لا أرضاها لمثلك .

كاظم : نعم الوشاية أبرئ بها ذمتى وأصون بها حرمة أسرة كريمة غرها اسمك ومظهرك .

عبد الله : هذا مع شئونى الخاصة ولاشأن لك به .

كاظم : بل هو شأنى أنا يالعين قبل أن يكون شأنك . إن كنت لا تبالى أن يتلوث اسمك فى مصر بالنصب والخيانة ، فإنى لن أرضى مادمت حيا أن يتلوث اسم آل الفياض .

عبد الله : إنما تفعل هذا لحاجة فى نفسك . تريد أن تفرق بينى وبين خطيبتى المصرية لتزوجنى من ابنة أختك.

كاظم : ويلك ياوقح .

عبد الله : نعم . كل هذه المناورة منك ومن زوجتك لتجعلانى أعدل عن نادية وأتزوج سعاد . ولكنى لن أتزوج غير نادية .

كاظم : ما أظن نادية إذا بلغها أمرك ترضى بك . أما سعاد فخير لى أن تعيش طول عمرها عانسا من أن أزوجها لفاسد مثلك . اذهب إلى صاحبتك اليهودية فتزوجها فإنها تليق بك .

عبد الله : « ينهض من مقعده » لست فى حاجة إلى نصحاتك .

كاظم : « يستوى قائما » إن لم تقطع صلتك بهذه الفتاة اللعينة فلا ترينى وجهك . لا تعودن إلى هذا المنزل أفهمت ؟ .

عبد الله : أتطردنى من بيت أبى ؟

كاظم : نعم . أنا بمنزلة أبيك ولو كان أبوك حيا لطردك وتبرأ منك .

عبد الله : « يولى نحو الباب » سأعرف كيف أستخرج حقى منك .

ميخائيل : « يقوم وراءه ليرجعه » يابنى أطع عمك . إنه

لا يريد بك إلا الخير .

عبد الله : دعني يا ميخائيل باك .

كاظم : دعه ياميخائيل . دعه يذهب إلى الجحيم .

« يخرج عبد الله من الباب الخارجي » .

ميخائيل : « يرجع إلى مجلسه » شيء مؤسف .

كاظم : ماذا أصنع ؟ وقد صبرت على هذا الولد جهدي وعالجته بالرفق واللين فلم أفلح . وهأنت ذا قد رأيت كيف توقح علي وتحداني .

ميخائيل : كل ما أخشاه هو أن يتصل بشيلوك أو أحد وكلائه من اليهود المرابين فيشجعوه على رفع دعوى عليك برفع الوصاية : وربما يوكلون عنه كوهين إسحاق .

كاظم : « يمر كفه على جبهته » ماالرأي حينئذ ياميخائيل ؟ إنه سيكسب القضية لامحالة إذا توكل عنه هذا المحامي اللعين .

ميخائيل : لدي رأي قد ينفع لو أمكن تحقيقه :

كاظم : ما هو ؟

ميخائيل : أن نسبقهم إليه فنوكله عنك قبل أن يوكلوه عن ابن أخيك .

كاظم : هل تظنه يقبل هذا ؟

ميخائيل : هذا ما أشك فيه . ما أحسبه يؤثر على الطرف الآخر إذا علم أن في خدمته خدمة للقضية اليهودية .

كاظم : يا للوطن المنكوب . إن أصابع اليهود تلعب في كل شأن من شئونه حتى في القضاء .

ميخائيل : آه يا كاظم ، لو كنت موظفا مثلي لشهدت بعيني رأسك كيف يتغطرس الموظفون اليهود على الموظفين العرب كأنهم هم أصحاب البلاد ، وكأن العرب غرباء فيها . والويل للموظف العربي إذا كان رئيسا في المصلحة ، في هذه الحال يتوقع مرؤوسوه اليهود عليه ويربكون عمله ويدبرون الخطط لإيقاعه في زلة تقع تبعتها عليه . فإذا قاومهم واستعمل سلطته عليهم أو شكاهم فلا يلبث أن ينقل من منصبه ويستبدل به رئيس يهودي بدعوى الرغبة في انسجام العمل .

كاظم : قلت لي آنفا إنك تنوي أن تستقيل من منصبك .

ميخائيل : نعم فقد نفد صبري يا كاظم .

كاظم : ألا تتريث قليلا وتتروى في الأمر قبل أن تبت فيه ؟

ميخائيل : لقد تدبرت الأمر طويلا فوجدت أن لا مناص من تقديم الاستقالة .

ظم : ولكن بقاءك رئيسا لبلدية القدس لا يخلو من فائدة

لقضيتنا ياميخائيل .

ميخائيل : لقد أصبحت هذه الرئاسة صورية لانفع فيها لى ولا للبلد. فقد زاد عدد الأعضاء اليهود فى المجلس، ولقد صبرت طويلا على مضايقاتهم رغبة فى الاحتفاظ بهذا المركز الصورى للعرب ، ولكنهم أمعنوا فى وقاحتهم وابتدعوا هذه الأيام طريقة جديدة لتحدينا .

كاظم : ما هى ؟

ميخائيل : أبوا إلا أن يناقشوا البحوث فى المجلس باللغة العبرية التى يجهلها الرئيس ويجهلها الأعضاء العرب ، وأتوا بمترجم يترجم أقوالهم لنا ويترجم أقوالنا لهم مع أنهم يعرفون لغة البلاد . وقد استنكرت هذا الفعل واحتججت عليه بأن ذلك من شأنه تعقيد العمل وتكليف خزينة البلدية وظيفة جديدة لا داعى إليها هى وظيفة المترجم .

كاظم : فماذا كان الرد ؟

ميخائيل : رفض الاحتجاج طبعا بدعوى أن اللغة العبرية قد اعترف بها لغة رسمية ثالثة للبلاد ، فهل تريد منى يا كاظم أن أصبر على هذا ؟

كاظم : لعنة الله عليهم !

ميخائيل : يظهر أن ابن أخيك على سفاهته لأحكم منا إذ قال إن الثورة هي العلاج الوحيد .

كاظم : لا تذكرني به ياميخائيل فإن ذكره يحرق قلبي . كل شيء يحاربنا في هذا البلد حتى أولادنا .

ميخائيل : إنهم معذورون يا كاظم . كيف تريد منهم أن يتشربوا مبادئ الوطنية الصحيحة والمدارس التي يتعلمون فيها تديرها وتشرف عليها أيد أجنبية ؟ .

كاظم : ومع ذلك فهي تسمى مدارس عربية .

ميخائيل : أجل لئلا يحتج العرب حين يرون أن في البلاد مدارس يهودية .

كاظم : ما أبعد الفرق بين مدارسنا ومدارسهم .

ميخائيل : لأن مدارسهم تديرها جمعية الفا دهالوي اليهودية فهي مدارسهم حقا . . أما مدارسنا فتديرها أيد غير عربية . لماذا ؟ ألأن العرب غير أكفاء لإدارة معارفهم ؟ كلا . ألأن الحكومة تخشى على مركزها إذا هي أسندت إليهم إدارة مدارسهم ؟ كلا . ولكن لأن اليهود يأبون ذلك بدعوى أن فيه خطرا على وطنهم القومي . وهل تستطيع الحكومة أن تغضب اليهود المدللين ؟

كاظم : والمؤلم حقا أننا مضطرون إلى هذا التعليم الناقص

الأبتر لأننا لا نملك لأولادنا غيره .

ميخائيل : ليس أمامنا غير هذا السبيل . إننا لا نستطيع أن ندع أولادنا أميين إذا جنبناهم هذه المدارس التي ندفع نفقاتها نحن من أموالنا .

كاظم : دعنا من هذا الآن وخبرني ماذا تنوى أن تعمل إذا استقلت من وظيفتك .

ميخائيل : سأعود إلى مهنتي القديمة .

كاظم : أتنوى أن تفتح مكتبا للمحاماه .

ميخائيل : نعم . ليس أمامى غير هذا .

كاظم : هل وفرت شيئا من المال يكفى لنفقات تأسيسه ؟

ميخائيل : لعلك تعجب يا كاظم إذا أجبتك بالنفى .

كاظم : كلا ، فنفقات البيوت لا تبقى ولا تذر .

ميخائيل : إنى مقتصد فى نفقات بيتى يا كاظم ، وأنت تعلم أننى لا أشرب الخمر ولا أقامر ، ولكن احتياج والدى المستمر إلى المال لم يدع لى ولا لأخى كساب شيئا نوفره .

كاظم : مسكين والدك ، يعول أسرة كبيرة العدد ، والأراضى التى يعتمد على ريعها لا تغل اليوم نصف ما كانت تغله فى الماضى .

ميخائيل : ويا ليته راعى الظروف الحاضرة فاقتصد قليلا فى معيشته .

كاظم : يصعب على من اعتاد الترف مثله فى الماضى أن ينزل عنه . اسمع ياميخائيل إن مالى بمنزلة مالك تأخذ منه ما تشاء .

ميخائيل : أشكرك ياصديقى . ولكنى أعلم أن مواردك تأثرت أيضا بالظروف الحاضرة .

كاظم : لا تقل هذا فأغلب ظنى أنك لا تحتاج إلى مبالغ أعجز عنه .

ميخائيل : قد يمضى وقت طويل قبل أن أستطيع تسديده لك .

كاظم : لا تفكر فى هذا وأيقن أننى سعيد جدا أن أستطيع القيام بخدمة لك .

ميخائيل : أحسن الله إليك ياكاظم . ياليت كل عربى ترغمه الظروف على الاستدانة يجد شهما مثلك يقرضه حتى تزول ضائقته ، إذا لأقفلت مكاتب شيلوك ووكلاء شيلوك القاعدين لهم بالمرصاد .

كاظم : بلغنى ياميخائيل أن والدك قد أخذ يستدين من شيلوك ، فهل هذا صحيح ؟

ميخائيل : يؤسفنى أن أقول لك نعم .

كاظم : ياللداهية ! ما حمله على ذلك ؟

ميخائيل : الحاجة ياكاظم . فبالرغم من مساعدتنا له احتاج إلى المال لشراء البذور والمواشى فاضطر إلى استدانته

من شيلوك بالربا الفاحش .

كاظم : لماذا لم تمنعه من ذلك ؟

ميخائيل : قد حاولت أنا وكساب أن نمنعه عن ذلك ، ولكنه اعتذر بحاجته الملحة وقال إنه إن لم يتخذ هذه الخطوة فلن يستطيع تسديد الضرائب التي على الأرض .

كاظم : ألم تشرحا له ما في هذه الخطوة من الخطر على أرضه؟

ميخائيل : بل قد شرحنا له ذلك ، ولكنه قال إنه الباب الوحيد المفتوح أمامه ، وطفق يعللنا بأنه سيقوم بزراعة واسعة للقمح والزيتون فيستطيع أن يغطى الدين وأرباحه ويسدد ما عليه من الضرائب .

كاظم : ياليتك أخبرتني بهذا الأمر قبل وقوعه ، فربما استطعت أن أقرض والدك ماشاء .

ميخائيل : سبحان الله ياكاظم ! هبك أقرضت والدى وأنقذته من شيلوك ، فهل في وسعك أن تقرض ألوف الفلاحين المحتاجين مثله في هذا البلد التعيس ؟

كاظم : ما أعجب أمر هذه الحكومة وأبعد تصرفاتها من المنطق . أبقت على بنك التسليف الزراعى في عهد إدارتها العسكرية في بدء الاحتلال ، فلما جاء عهد الإدارة المدنية ألغت هذا البنك .

ميخائيل : إذا أردت أن يزول عجبك فما عليك إلا أن تزن

الأمور فى هذا البلد بمنطق اليهود . ليس فى مصلحة الصهيونيين بقاء هذه المؤسسة . فلا بد إذا من إلغائها ليتسنى لهم إقراض المحتاجين من الفلاحين بالربا حتى تسقط أراضيهم فى أيديهم .

كاظم : صدقت يا ميخائيل . إن المنطق السائد فى هذه البلاد هو المنطق الصهيونى .

ميخائيل : وهو منطق دقيقٌ شامل لا يكاد يشذ عنه شأن من الشؤون .

كاظم : وقوىٌّ مسلح بسلاح ذى حدين أحدهما من ذهب والآخر من حديد !

ميخائيل : ويؤيده صك الانتداب الذى يقضى بوضع البلاد فى ظروف سياسية واقتصادية من شأنها أن تساعد على قيام الوطن القومى لليهود .

كاظم : « يضرب المنضدة بيده والدموع تترقرق فى عينيه » أواه ! هل من سبيل إلى الخلاص يا ميخائيل ؟ هل من سبيل إلى الخلاص ؟

ميخائيل : نعم ، سبيل واحد لا ثانى له .

كاظم : ماهو يا ميخائيل ؟

ميخائيل : أن نغير هذا المنطق .

كاظم : لكن قل لى كيف نغيره ؟ كيف نغيره ؟

ميخائيل : هذه هى المسألة !

— ينزل الستار —

الفصل الثانى

فى مكتب شيلوك الرئيسى بالقدس . حجرة واسعة فى الدور الأرضى مفروشة بالسجاد وتزين جدرانها صورة زيتية لهيكل سليمان فى الوسط . وتحفها صور أخرى لوايزمن وجابوتنسكى وغيرهما من زعماء الصهيونية . وللحجرة بابان أحدهما يؤدى إلى الخارج ويقع فى الطرف الشمالى الشرقى والآخر يؤدى إلى حجرة أخرى ويقع على يمين المسرح . وعلى يسار المسرح يقع المكتب وإلى جانبه دولابان كبيران ولكنهما غير بارزين كأنهما داخلان فى الجدار . وقد صفت عن يمين المكتب وشماله وأمامه بضعة كراسى .

يظهر شيلوك جالسا على مكتبه وإلى يساره راشيل . وشيلوك رجل فى نحو الستين من عمره قصير القامة كبير الرأس قد أكل الصلع وسطه من مقدمه إلى مؤخره فتركه أملس لامعا وأبقى قزعتين من الشعر الأبيض على جانبيه . وله عينان كبيرتان يسطع منهما بريق عجيب كبريق عينى البومة يظلهما حاجبان كثيفان قد تهدلا قليلا وفوقهما جبهة ضيقة كلها تجاعيد . وقد غارت وجنتاه فنتأ عنهما أنف دقيق الأرنبة منبعج المنخرين . وهو دقيق الفم رقيق الشفتين لا ينفك عن تحريك شدقيه فى حركة دائرية كأنه يمضغ

شيئا . وله لحية بيضاء كثيفة الشعر مقصوصة الجوانب بحيث يبدو أسفل وجهه في شكل نصف دائرة . « الوقت حوالى السابعة مساء »

شيلوك : « يلتفت إلى راشيل » ما بالك مكتئبة يا راشيل؟ أما سرك النجاح العظيم الذى أحرزته لنا فى برهة وجيزة ؟

راشيل : « ترفع رأسها عن الكتاب الذى فى يدها وتتنهد » شكرا يا عم شيلوك .

شيلوك : إنك فتاة مباركة يا راشيل . فبالرغم من مواهبك وذكائك ما تزالين هادئة متواضعة . ولو أن فتاة غيرك نالت هذا النجاح لما وسعها أن تجلس عندى هكذا جاسة الحمل الوديع .

راشيل : شكرا يا عم شيلوك .

شيلوك : أوه ! ليس هذا يا ابنتى ما أريد أن أسمع منك .

راشيل : ماذا تريد أن أسمعك ؟

شيلوك : أريد أن تخبرينى ما علة هذه الكآبة البادية فى وجهك الذى لا يليق به إلا الإشراق والابتسام . أتشكين شيئا فى صحتك ؟

راشيل : كلا . . . لا شئ .

شيلوك : هل أغضبك إلياهو خطيبك ؟

راشيل : لا .

شيلوك : هل بينك وبين عبد الله الفياض خصام ؟

راشيل : خصام ؟ أبدا .

شياوك : متى عهدك به ؟ أكنت معه اليوم ؟

راشيل : نعم .

شياوك : أين ؟

راشيل : فى مسكنه بالفندق .

شيلوك : « يجيل أصابعه فى لحيته » هل غرت عليه من أحد؟

راشيل : كلا . ما يحملك على هذا الظن ؟

شياوك : حاذرى يابنتى أن تكونى جادة فى هذا الأمر . إننا إنما نلعب بهذا الشاب العربى لنقضى وطرنا منه . ومن مصلحتنا أن تتصل به فتيات أخر من أخواتك .

راشيل : صدقنى ياعمى شياوك أنى ماغرت عليه من أحد

شياوك : إذا فماذا بك ياعزيزتى راشيل ؟

راشيل : « تتنهد » لا شئ .

شياوك : « يمسح صلعته بكفه » قولى لى ياراشيل : ألم يقدم لك عبد الله هدية أخرى بعد ذلك العقد الماسى الثمين ؟

راشيل : « يبدو على وجهها الاهتمام » لا . لم يقدم لى شيئا بعده .

شياوك : ويل هذا الغبى ، أيجد فى الدنيا أجمل منك ؟ هل قدم هدايا لغيرك ؟

راشيل : لا .

شيلوك : أعلى ثقة أنت من هذا ؟

راشيل : نعم .

شيلوك : عجبا . ماقطع هداياه عنك ؟

راشيل : « فى ثورة مكبوتة » أنت السبب !

شيلوك : « مستغربا » أنا ؟ كيف ذلك ياراشيل ؟

راشيل : مازلت تلح على فى جره على الموائد الخضر ، فمنذ عرفها لم يستطع أن يهدينى شيئا .

شيلوك : « يبتسم » ها ، تعنين أنه أصبح دائما فى أزمة .

راشيل : نعم . أيعجبك هذا ؟

شيلوك : بالطبع يعجبنى ويجب أن يعجبك أيضا ياراشيل . إنك أذكى من أن تجهلى أن هذه الخطوة لابد منها لنجاح عملنا . ليس كالموائد الخضر فى طى المسافات الشاسعة ! .

راشيل : قد يفيدك هذا ولكنه ضرنى .

شيلوك : لا تبتئسى يابنتى ، سأعوضك عما لحقك من الضرر . « يفتح أحد أدراج مكتبه ويخرج حقا به سوار من الذهب مرصع بالألماس ويفتح الحق ويقدمه لراشيل » هل يعجبك هذا السوار ياراشيل ؟

راشيل : « تتأمل فى السوار » نعم ، كم ثمنه ؟

شيلوك : مائة وخمسون جنيها .
راشيل : « تجربه فى معصمها » ما رأيك ؟
شيلوك : جميل كأنه مصنوع من أجلك ..
راشيل : نعم على قد يدى .
شيلوك : خذيه هدية لك .
راشيل : أشكرك ياعم شيلوك . أشكرك .
شيلوك : لا تعجلى بشكرى ياراشيل . أجليه . .
راشيل : « مستغربة » » أؤجله ؟
شيلوك : نعم ، إن رفض عبد الله الفياض أن يدفع ثمنه فاشكرينى حينئذ .
راشيل : عبد الله الفياض ؟
شيلوك : نعم ، هو الساعة يجئ ليسحب منى مبلغا جديدا ، وما أحسبه يرفض شراء هذه الهدية لك .
« تجهش راشيل بالبكاء فجأة » .
شيلوك : ماذا يابنتى ؟ أتبكين ؟ ما كنت أعلم أن هذا القول سيسوؤك إلى هذا الحد . ظننت أنك تؤثرين أن تكون الهدية من شاب يتحبب إليك على أن تكون من عجوز هرم مثلى « يضرب بيده على كتفها » سامحينى ياراشيل .
راشيل : ماساءنى قولك ، وسيان عندى أن تكون الهدية

هناك أو منه . ولكن . . . .

شيلوك : « ينهض من مقعده ويقف خلفها واضعا يديه على كتفيها » لكن ماذا ياراشيل ؟ أخبريني يابنتى ماذا يبكيك ؟ .

راشيل : « تستغرق فى بكائها ولا تجيب » . . .

شيلوك : هل ثم من شىء تكتمينه عنى ؟ .

راشيل : « تشير برأسها أن نعم » .

شيلوك : ماهو ياراشيل ؟ أخبرى عماك شيلوك . إنه بمنزلة أبيك .

راشيل : أشعر بأعراض . . .

شيلوك : ها . فهمت . «هونى عليك يابنتى» فهو أمر بسيط لا يستدعى كل هذه الدموع . لكن لماذا لم تتخذى الاحتياطات اللازمة ياراشيل ؟ .

راشيل : اتخذتها ياعمّى ولكن . . .

شيلوك : نفذ السهم هه ؟ أخشى أن يكون هذا الغربى أعجبك ياراشيل . لا تنسى يابنتى وأنت تتحببين إليه أنه عدوك .

راشيل : قل لى ماذا أصنع الآن ؟ .

شيلوك : لا تصنعى شيئا . إن المسألة لاتزال فى البداية وإنك تستطيعين أن تتحملى المشقة شهرا أو شهرين .

راشيل : شهراً أو شهرين ؟ .

شيلوك : نعم . دون أن يظهر عليك شئ حتى تنتهي دورك مع عبد الله الفياض . وبعد ذلك نستطيع أن نعنى بك فى مستشفى خاص لا يعلم أمرك فيه أحد .

راشيل : ماذا تعنى ياعم شيلوك ؟ .

شيلوك : ستستريحين فى ذلك المستشفى حتى تضعى طفلك ، ثم نتولى نحن تربيته عنك .

راشيل : كلا ياعم شيلوك . لا أستطيع . .

شيلوك : أما تحبين ياراشيل أن تسهمى فى حركة النسل اليهودية ؟ إن العرب يتناسلون بكثرة مزعجة ، فلا بد لنا أن نباريهم إن شئنا أن تكون لنا الأكثرية .

راشيل : كلا لا أريد .

شيلوك : أتخافين أن يدرى إلياهو بالأمر ؟ ثقى أنه لا يعلم أحد غيرى وغيرك .

راشيل : لا . لا أريد .

شيلوك : لابد من التضحية ياجميلتى راشيل . إن الدولة اليهودية تقوم على سواعد أمثالك من المضحيات المخلصات . وإن إعادة هيكل سليمان يابنتى ليست بالمطلب الهين .

راشيل : « بغضب » كلا كلا أقول لك .!

شيلوك : « يمسك خدها بيديه ملاطفا » حسنا . لا تغضبى ياراشيل ولا تحملى هما . كلى هذا الأمر إلى . بعد شهر أو شهرين سيزول عنك هذا الذى تشكين بمسحة واحدة من يد الطب القدير . امسحى دموعك يا بنتى فستجرى الأمور كما تحبين . قومى إلى الحوض فاغسلى وجهك .

« تنهض راشيل وتخرج من الباب الداخلى » .

شيلوك : « يعود إلى مقعده ويقلب أوراقا فى يده ثم يأخذ سماعة التليفون ويدير الرقم » آلو . . مسيو يعقوب حايم . . أنا شيلوك . . هل عندك أحد ؟ . . حسنا . أصغ جيدا إلى ماأقول . أريد منك أن تكتب تقريرا للحكومة تحسن لها فيه إصدار قانون يمنع تصدير القمح والزيت إلى الخارج هذا العام . . . . مهم جدا يامسيو يعقوب . إن المدينين لنا من الفلاحين العرب أصحاب الأطيان لم يكونوا فى موسم من المواسم أكثر منهم فى هذا الموسم ، وهذه فرصة ينبغى أن لا تضيعها شركة شراء الأراضى اليهودية ؛ فإذا نجحنا فى حمل الحكومة على إصدار هذا القانون فسيسقط معظم هذه الأطيان فى أيدينا لأن أصحابها لن يستطيعوا تسديد ديونهم حين تهبط أسعار

القمح والزيت. أفهمت ياعزيزى ؟ .. لكن احرص أن يصدر القانون قبيل الحصاد بقليل . . نعم حتى لايكون أمامهم مجال للشكوى. . الموظف المختص ؟ لا . هذا ليس من عملك . سأبعث له بما يرضيه. دع هذا الأمر لى وما عليك إلا أن تكتب التقرير . . ماتقول ؟ . الصحف ؟ . حسنا ، سأوعز إليها أن تقوم بحملة تمهيدية : . شكرا يامسيو يعقوب . إلى اللقاء ياعزيزى . .

« تعود راشيل وقد زال مابوجهها من أثر الدموع »

شيلوك : الآن أنت راشيل حقا . . راشيل البسامة المرحة !

راشيل : « تتنصت » هذه سيارة عبد الله الفياض يا عم شيلوك . هذا صوت بوقها . .

شيلوك : أعطينى السوار ياراشيل؟

« تنزع راشيل السوار من معصمها وتعطيه لشيلوك فيعيده شيلوك فى حقه » .

شيلوك : انزلى يابنتى فاستقبليه ؟

« تخرج راشيل من الباب الخارجى » .

شيلوك : « يتناول سماعة التليفون ويدير الرقم بسرعة » آلو . . . مسيو كوهين إسحاق ... قد حضر الرجل فاحضر بعد نصف ساعة . . . شكرا »

« يضع السماعة ويتهيأ لاستقبال عبد الله الفياض » .
« يدخل عبد الله الفياض وراشيل » :

عبد الله : مساء الخير يامسيو شيلوك .

شيلوك : « ينهض لتحيته » مساء الخير يأستاذ عبد الله ؛ مرحبا بك . . . تفضل .

عبد الله : « يصافحه » لعلى تأخرت قايلا عن الموعد ؟

شيلوك : لا بأس ياسيدى . ولو تأخرت إلى نصف الليل لوجدتنى فى انتظارك .

عبد الله : « يجلس وتجلس راشيل بجانبه » شكرا يامسيو . شيلوك .

شيلوك : « يقدم له علبة السجائر » تفضل ياسيدى .

عبد الله : « يأخذ سيجارة ويشعلها » شكرا .

شيلوك : قومى ياراشيل أحضرى لحبيبك كأس ويسكى بالصودا .

عبد الله : شكرا يامسيو شيلوك . لا لزوم لذلك .

شيلوك : كلا لابد من هذا . أحضرى ثلاثة أكواب لأشرب معكما نخب شبابكما . « تقوم راشيل وتخرج » .

شيلوك : واحسرتاه على أيام الشباب ! تمتع يابنى قبل أن تكون عجوزا مثلى .

عبد الله : إنك وإن كبرت فى السن ماتزال عندك فتوة

الشباب ونشاطه يامسيو شيلوك .

شيلوك : لا تقل هذا ياسيدى فانى عجوز مرهق بهذه الأعمال المتعبة. تبا لهذا المكتب وأعماله ! ياليتنى أستطيع أن أعيش طليقا حرا كما تعيشان. « يبتسم » لكن حذار يابنى أن يدور بخلدك أننى أحسدكما على ما أنتما فيه من النعيم .بل أشعر حين أراكما سعيدين بشىء من العزاء عن شبابى الذاهب . « تعود راشيل حاملة معها الأكواب الثلاثة فى صينية كبيرة فتضعها على المنضدة وتقدم كوبا لعبد الله وكوبا لشيلوك وتأخذ الكوب الثالث » .

عبد الله : نخب صحتك يامسيو شيلوك !

شيلوك : نخب حبكما وشبابكما !

« يشرب الثلاثة أكوابهم » .

شيلوك : إنى والله لا أدرى لماذا أحبك كل هذا الحب ياأستاذ عبد الله .

راشيل : لكنى أدرى السبب ياعم شيلوك .

شيلوك : قولى يابنتى ماهو ؟

راشيل : إنك تحبه لأنك تحبنى .

شيلوك : أصبت ياراشيل . هذا صحيح. « لعبد الله » أتدرى ياسيدى أنه لو كانت لى ابنة من صلبى لما أحببتها

حبى لهذه الفتاة الجميلة فهى أعز على من بنتى .

عبد الله : لكنها قاسية أحيانا يامسيو شيلوك .

شيلوك : لا يروعنك هذا فإنما هو دلال الفتيات . .

« يتناول حق السوار ويفتحه » .

شيلوك : « انظر ياسيدى ؛ لقد بلغ من حبها لك أننى قدمت لها هذا السوار هدية منى لها فرفضت أن تقبله إلا أن يكون هدية منك . ياالجنون والحب !

عبد الله : « يتناول السوار من شيلوك » كم ثمن هذا يامسيو شيلوك ؟ .

شيلوك : زهيد جدا . مائة وخمسون جنيها .

عبد الله : قيد ثمنه على « يقدمه لراشيل » خذيه ياحبيبتى هدية منى .

راشيل : « تأخذه وتلبسه فى معصمها باسمة » شكرا .

شيلوك : ما أعجب شئون الحب ! رفضت أن تقبله منى وقبلته منك . والسوار هو السوار لم يتغير فيه شئ .

عبد الله : « ينظر فى ساعته » هل أعددت الشيك يا مسيو شيلوك ؟

شيلوك : تحت أمرك يا سيدى ، تريد خمسة آلاف جنيه ، أليس كذلك ؟

عبد الله : نعم .

شيلوك : ألا ترى معى أن هذا مبلغ كبير ينبغى أن لا تسحبه دفعة واحدة لئلا يضيع سريعا من يدك . يجب أن تقتصد قليلا فى نفقاتك يا بنى .

عبد الله : لا أريد أن أتعبك بكثرة التردد عليك .

شيلوك : كلا بل يسرنى أن أراك دائمـــا عندى وأقضى لك رغباتك .

عبد الله : أخشى كذلك يا مسيو شيلوك أن يفلح عمى كاظم فى دعوى الحجر على بالسفه ، فلا أستطيع التصرف فى مالى بعد ذلك .

شيلوك : اطمئن من هـــذه الناحية ، فإن ميخائيل جاد ذلك المسيحى المتعصب الذى اضطر لقلة كفاءته أن يترك منصبه الحكومى ويقترض من عمك نقودا ليفتح بها مكتب محاماة ، لا يمكن أن يقف أمام محامينا الأشهر كوهين إسحاق . لقد نجح كوهين فى رفع الوصاية عنك وسينجح بإذن الله فى معارضة طلب الحجـــر عليك .

عبد الله : إننى خائف يا مسيو شيلوك ، فقد بلغنى أن موقف ميخائيل قوى جدا فى هذه القضية .

شيلوك : إن كنت تخشى من النتيجة فنى وسعنا أن نكتب كمبيالات أخرى بتواريخ مختلفة . فنسحب مبالغها واحدة بعد واحدة كلما دعت حاجتك إليها .

عبد الله : هذه فكرة حسنة .

شيلوك : لكن يحسن بنا أن نأخذ فيها رأى محامينا أولا . غدا

سأعرضها عليه وسأخبرك برأيه فيها .

عبد الله : حسنا . أعطني الآن الخمسة الآلاف .

شيلوك : سمعا يا سيدى « يكتب كمبيالة بالمبلغ » هل لك أن توقع هذه الكمبيالة ؟

عبد الله : بكل سرور « يوقعها » .

شيلوك : « يخرج دفتر الشيكات ويكتب شيكا بالمبلغ » تفضل ياسيدى .

عبد الله : « يأخذ الشيك ويضعه فى جيبه » شكرا يامسيو شيلوك « ينهض » هيا بنا ياراشيل .

« يقرع الباب » .

شيلوك : من هناك ؟ ادخل .

« يفتح الباب ويدخل كوهين إسحاق المحامى . وهو كهل فى منتصف العقد الخامس من عمره ، مديد القامة شاحب الوجه يرتدى بذلة سوداء أنيقة ويتأبط حقيبته » .

كوهين : مساء الخير .

شيلوك : « ينهض » أهو أنت يامسيو كوهين ؟ هذه زيارة غير منتظرة ولكنها صدفة حسنة .

كوهين : « يصافح الثلاثة » مساء الخير يا أستاذ عبد الله ! مساء الخير يا آنسة راشيل !

شيلوك : تفضل ياسيدى .

كوهين : « يجلس أمام المكتب » إنها لفرصة طيبة أن أجد موكلى هنا عندك يامسيو شيلوك ، وأن أرى كذلك حبيبته الحسناء .

راشيل : « تكسر طرفها » شكرا ياسيدى .

شيلوك : أجل . كنا الساعة نذكرك و نود لو نعرف سير القضية .

كوهين : أخشى أيها الساده أن نخسرها هذه المرة .

عبد الله : « فى لهفة » نخسرها ؟

كوهين : لا تخف ياسيدى فسنطلب استئناف الحكم ،

شيلوك : مارأيك لو كتبنا كمبيالات أخرى يوقعها الأستاذ عبد الله ليسحب مبالغها كلما دعت حاجته إليها ، حتى نمنع بذلك وقوع ماله فى يد عمه إذا كسب عمه القضية ؟

كوهين : قد فكرت أنا فى هذا فعلا وجئت لأعرض هذا المشروع عليك .

شيلوك : هذا اتفاق عجيب فى الرأى . ولكن ألا ترى تأجيل هذه الخطوة حتى نرى مايكون من أمر القضية ؟

كوهين : أنا لا أنصح بالتأجيل ، فالتعجيل عندى أفضل .

شيلوك : مارأيك ياأستاذ عبد الله ؟

عبد الله : رأى المسيو كوهين أصوب .

شيلوك : لا علم لى بشئون المحاماه : أنتما أعرف بها منى .
عبد الله : لكن هذه الكمبيالات التى لم أسحب مبالغها بعد كيف أوقعها ؟
شيلوك : « يضحك » أما تثق بذمتى ياصديقى الأستاذ ؟
عبد الله : بلى ، أثق بذمتك ولكن . .
كوهين : لا داعى إلى هذا كله . فالحل بسيط . يكتب لك المسيو شيلوك إيصالات ضد هذه الكمبيالات تحتفظ بها عندك . فاذا احتجت إلى صرف كمبيالة أعطيته إيصالها فصرفها لك .
عبد الله : هذا جميل .
شيلوك : «يضحك» نعم هذا خير من تعريض ذمتى للتجارب !
كوهين : حيثما يوجد حسن النية فلكل مشكلة حل .
شيلوك : لكى نكتب الكمبيالات الباقيـــة يلزمنا تقويم رسمى لنصيب الأستاذ عبد الله فى أطيان عزبة الفياض ؟
كوهين : « يفتح حقيبته ويخرج رقعة كبيرة » هاهو ذاالتقويم الرسمى لأطيان الأستاذ عبد الله .
شيلوك : عجبا ! متى استصدرته ؟
كوهين : اليوم .
شيلوك : ـ ما أبرعكم معشر المحامين !

« يتناول التقويم ويقرأ » ... ٤٥٦٥ دونما . سعر الدونم الواحد ٢٠ جنيها المجموع ٩١٣٠٠ جنيه .

عبد الله : « يتطلع إلى التقويم » كم الثمن ؟

شيلوك : ٩١٣٠٠ جنيه . ثمن طيب يا أستاذ عبد الله على أساس سعر الدونم ٢٠ جنيها .

كوهين : « يخرج من حقيبته رقعة أخرى » وهذا عقد البيع يا مسيو شيلوك .

شيلوك : « يصطنع الدهشة » أوقد حررت عقد البيع أيضا يامسيو كوهين ؟
يالها من براعة مدهشة !

كوهين : لا عجب فى هذا يامسيو شيلوك . فقد خشيت أن تسبقنى الحوادث فلا أتمكن من إنقاذ موكلى من الورطة التى يريد خصمه إيقاعه فيها .

شيلوك : « يطالع عقد البيع » هذا جميل . « يسلمه لعبد الله » . راجعه ياسيدى على مهلك ريثما أراجع حسابك وأكتب لك الكمبيالات مما يبقى لك . « ينهمك شيلوك فى كتابة الكمبيالات والإيصالات ، بينما يراجع عبد الله عقد البيع مرة بعد مرة » .

كوهين : « لعبد الله » هل راجعت حسابك ياسيدى ؟

عبد الله : لم أراجعه بعد .

شيلوك : « يقدم له دفتر الحسابات » تفضل ياسيدى هاهو ذا حسابك فراجعه .

عبد الله : « ينتهى من مراجعة الحساب » مضبوط .

شيلوك : « يفرغ من الكتابة » خذ هذه الكمبيالات فوقعها يابنى .

« يوقع عبد الله الكمبيالات » .

شيلوك : وهذه إيصالاتها ممضاة منى .

« يتصفحها عبد الله ويقابل بينها وبين الكمبيالات ثم يعيد الكمبيالات إلى شيلوك ويضع الإيصالات، فى جيبه » .

كوهين : « يقدم عقد البيع لعبد الله » الآن تستطيع ياسيدى توقيع هذا العقد بعد أن استوفيت الثمن كله .

« يوقعه عبد الله بيد مرتعشة » .

كوهين : وأنت يامسيو شيلوك وقع هنا .

شيلوك : أمرك ياسيدى . « يوقع العقد » .

كوهين : أهنئك ياأستاذ عبد الله . فالآن انتصرت على خصمك . إن عمك قد يأخذ الحكم عليك بالحجر ولكنه لن يأخذ ملا واحدا منك . وسأجتهد بعد فى رفع هذا الحجر إذا حكم به عليك لتتمتع بحريتك الرسمية . ولن آخذ على هذا حينئذ أى أتعاب منك .

شيلوك : « يتضاحك » ستأخذ الأتعاب من الخصم يامسيو كوهين .

كوهين : « باسما » ذلك شئ آخر لا شأن للأستاذ عبدالله به .

عبد الله : « ينهض » هيا بنا يا راشيل .

راشيل : « تنهض » ليلتكما سعيدة .

عبد الله : ليلتكما سعيدة .

كوهين : حظا سعيدا يا أستاذ ! حظا سعيدا يا نسة .

شيلوك : إلى اللقاء .

عبد الله : إلى اللقاء . « يخرج متأبطا ذراع خليلته » .

« يبقى شيلوك وكوهين صامتين حتى يسمعا أزيز سيارة عبد الله فيشد أحدهما على يد الآخر بحرارة » .

شيلوك : بورك فيك يابطل ! لقد أنجزت الليلة عملا كبيرا .

كوهين : أجل لقد فزنا بصفقة عظيمة .

شيلوك : لن تهدأ نفسى حتى أضم إلى هذه الأطيان أطيان كاظم بك .

كوهين : بأى سبيل يامسيو شيلوك ؟ .

شيلوك : بسبيل المضايقة طبعا حتى يزهد فى ملكه .

كوهين : هذا صعب فيما أظن . فكاظم بك ليس بهين . بل إنى لأخشى أن يرفع علينا دعوة بالشفعة فى أراضى ابن أخيه لاتصالها بأراضيه .

شياوك : « يجيل أصابعه فى لحيته » فما العمل ياصديقى ؟ .
كوهين : أرى أن نعجل باستعمار هذه القطعة فورا .
شياوك : فى وسعى أن أبدأ ذلك من الغد .
كوهين : حسنا . سأسجل عقد البيع غدا — هل أعددت لهذه القطعة من يستعمرها ؟
شياوك : نعم سنعطيها إما للمهاجرين الجدد من بولونيا أو للمائتين المهربين .
كوهين : قضى الأمر يامسيو شياوك .
شيلوك : لكن قل لى أيكون من الصعب على كاظم باك أن ينجح فى قضية الشفعة إذا نحن عجلنا باستعمار هذه الأراضى ؟ .
كوهين : بالطبع . إذ نستطيع أن نتحكم فى الثمن بعد ذلك .
«يقرع الباب الخارجى قرعا شديدا » .
شياوك : « يجمع أوراقه مسرعا ويودعها فى درج المكتب » من ذا هناك ! ادخل « يفتح الباب ويدخل إبراهام وهو رجل فى الخمسين من عمره ضخم الجثة قوى البنية هو إلى الطول أقرب منه إلى القصر تدل ملامحه وملابسه البسيطة على أنه من رجال الأعمال العصاميين»
شياوك : « ينهض محاولا كتم اضطرابه » مسيو إبراهام .
ابراهام : «يصافح شيلوك وكوهين ببرود » مساء الخير مسيو

شيلوك . مساء الخير مسيو كوهين . « تجلس أمامها بغير اكتراث » .

شيلوك : مرحبا بالصديق العزيز .

إبراهام : لا تدعني صديقا يا شيلوك . فنحن أعداء .

شيلوك : « يتضاحك » نحن الليلة على الأقل أصدقاء وإلا لما تفضلت على بهذه الزيارة .

إبراهام : كأنك لا تدرى لماذا جئتك .

شيلوك : بالطبع لا أدرى يا سيدى ولكنى سعيد بزيارتك على كل حال ، فهل أستطيع أن أودى لك أى خدمة ؟ .

إبراهام : كان أجدر بك ياشيلوك أن تسألنى هل تستطيع أن تكف عنى أذاك ؟ .

كوهين : يظهر لى أنكما تصطنعان التشاجر لتحملانى على الانصراف لتبقيا وحدكما .

شيلوك : كلا يامسيو كوهين ، بل ابق معنا لعلك تصلح بيننا ، إذ يظهر لى أن المسيو إبراهام ثائر الأعصاب الليلة « يلتفت إلى إبراهام » قل لى ياسيدى أى أذى تعنى ؟ .

إبراهام : كأنك لاتدرى مافعلت عصابتك المجرمة بى وبعمالى اليوم !

شيلوك : أتراك تعنى أفراد الحامية اليهودية ؟ .

إبراهام : وهل في البلد عصابة مجرمة غير هؤلاء ؟ .

شيلوك : لا حق لك أن تسمي هؤلاء الشبان المتطوعين الذين يحمون مصالح اليهود في هذا البلد مجرمين .

إبراهام : بلى إنهم لمجرمون ولا عمل لهم إلا الإجرام .

شيلوك : لكن ماذا فعلوا اليوم حتى تسبهم هذا السب ؟ .

إبراهام : ألم تعلم أنهم أعتدوا علي وعلى عمالي ؟ .

شيلوك : كل ما أعلمه عن هؤلاء أنهم حريصون على القيام بواجبهم . فإذا صح ماتقول فلا بد أنك استخدمت في مصنعك عمالا من غير اليهود .

إبراهام : أجل استخدمت عمالا من العرب فما شأنكم أنتم بي ؟ أنا حر في استخدام من شئت .

شيلوك : لو لم تكن يهوديا لكنت حرا في استخدام من تشاء . أما وأنت يهودي فيجب أن تخضع لقراراتنا وهي قرارات تسري على كل يهودي في العالم .

كوهين : يجب أن نلتمس له عذرا ياسيو شيلوك . فلعله يجهل هذا القرار الخاص باستخدام العمال في فلسطين .

ابراهام : كلا لاأجهله . ولكني لا أعترف بهذه القرارات لأني لا أعترف بالصهيونية ذاتها .

شيلوك : قد كنت تؤمن بالصهيونية فيما مضى . ولكنك ارتددت عنها إيثارا لمصلحتك الخاصة على المصلحة العامة

للأمة اليهودية .

إبراهام : ليس فى الدنيا شئ اسمه الأمة اليهودية . إن هذه إلا خرافة .

شياوك : « حانقا » ماتقول ؟ خرافة ؟ .

إبراهام : نعم خرافة كبيرة ابتدعتها عقول صغيرة . إن اليهود دين وليسوا أمة .

كوهين : قد كانوا كذلك ياسيدى ، حتى قامت الحركة الصهيونية لتجعلهم أمة كالأمم .

إبراهام : إن هذه الحركة ستجر على اليهود أعظم النكبات .

شياوك : (محتدا) أجل قد ينكب بها خائن مثلك لا يهمه إلا الربح الشخصي . أفتستطيع أن تنكر أنك ما استخدمت العمال العرب إلا لأن أجورهم أقل من أجور العمال اليهود ؟

إبراهام : هبوا هذا صحيحا فما شأنكم بى . وماذا على إذا نظرت لمصالحى ؟ .

كوهين : إن هذا ياسيدى يعد خيانة للقومية اليهودية .

إبراهام : لكنى ياسيدى لا أعترف بهذه القومية المفتعلة ، فكيف تنسبون إلى خيانتها ؟

شياوك : إنها قد وجدت سواء أعترفت بها أو لم تعترف ..

إبراهام : لا وجود لها فى نظرى فلست مسئولا قبلها بشئ .

لا بل سأقاوم هذه القومية المزعومة بكل قواى . فإنى أعدها لعنة تصب على رؤوس اليهود دونها لعنات أنبياء بنى إسرائيل .

كوهين : بأى منطق تقول هذا ؟ أتعد قيام دولتنا واعتراف الأمم بكياننا القومى بعد ماقاسيناه من الاضطهاد الطويل لعنة علينا ؟

شيلوك : إن يكن هذا لعنة علينا فمرحبا بهذه اللعنة .

كوهين : أجل . مرحبا باعنة تنصفنا وترفع عن ظهورنا سياط الاضطهاد .

إبراهام : « عجبا » ما أوقحكم وأجرأكم على الحق ! بأى لسان تتحدثون أنتم عن الإنصاف ؟ ويلكم أيها البله المغفلون . أتنتظرون أن تنصفكم الأمم إذا انتهكتم انتم قوانين الإنصاف والعدل ؟ أم هل تتوقعون أن ترفع عن ظهوركم سياط الاضطهاد . إذا وضعتموها فى ظهور قوم لا ذنب لهم إلا أنهم كانوا الشعب الوحيد الذى أنصفكم وعاملكم بالعدل والحسنى يوم كانت الدنيا كلها تضطهدكم وتضطرم عليكم نارا . فهاذقتم طعم الأمن والدعة إلا فى كنف هذا الشعب الكريم ؟

كوهين : لقد شططت بك القول ياسيدى . فإنا لاننكر ماذكرت

من فضل العرب . ولكنا لانريد أن نضطهدهم كما تقول بل غايتنا التعاون معهم على مافيه خير الفريقين .

إبراهام : كذبتم أيها المنافقون . أتريدون اضطهادا أكبر من أن تغتصبوا بلادهم بقوة غيركم فتعاملوهم فيها معاملة السادة للعبيد ؟ وإلا فقولوا لى ما معنى هذا التفريق بين العامل العربى والعامل اليهودى فى الأجر ؟ ثم مامعنى هذا التحامل على العمال العرب وقد غبنتموهم فى الأجور . فما كفاكم ذلك حتى تمنعوا استخدامهم وتفرضوا بالقوة استخدام العمال اليهود الذين يتقاضون أجورا أكبر ؟ أهذا هو التعاون الذى لا تخجل ألسنتكم أن تتشدق به ؟ أليست هذه سياسة صريحة لإبادة العرب أصحاب البلاد الأصليين ليخلفهم هؤلاء الأوزاع الذين تجلبونهم جلبا من شتى الشعوب ومختلف الأصقاع ؟

شيلوك : إن الدولة المنتدبة هى التى فرقت بين العامل اليهودى والعامل العربى فى الأجور . فما ذنبنا نحن ؟

إبراهام : أنتم حملتم الدولة المنتدبة على هذا وعلى غيره من القوانين الجائرة بدعايتكم العالمية الزائفة . ولكنى أنذركم — وستعرفون صدق ما أقول — أن هذه

الدولة لن تبقى فى تدليلكم إلى الأبد . وسيأتى يوم تنقلب فيه عليكم وترفع حرابها عنكم . فانظروا حينئذ من يحميكم من جيرانكم الذين بادأتموهم بالعدوان والظلم ؟

شيلوك : « ساخرا » قل لى بخياتك يا مسيو كوهين . أيجوز أن تكون هذه لغة يهودى صميم ؟ .

إبراهام : « يستشيط غضبا » ماذا تعنى أيها العجوز الوغد ؟

شيلوك : لا تغضب فما عنيت شيئا مما سبق إلى ظنك !

كوهين : يعنى المسيو شيلوك أن هذه اللغة إنما تليق برجل عربى .

إبراهام : فاعلموا إذن أننى عربى بالوطن ويهودى بالملة .

شيلوك : فأنت إذن يهودى مزيف ! .

إبراهام : بل أنت اليهودى المزيف ! أما أنا فإسرائيلى فلسطينى تسلسل آبائى فى هذه البلاد منذ قرون . ولولا سخرية الأيام لما استطاع أمثالك يا شيلوك من الأجانب الدخلاء فى البلاد أن يتبجحوا على مثلى من أبنائها الأصليين .

كوهين : حسبكما شجارا يا صديقى . دعنا ننظر يا مسيو شيلوك لعلنا نستطيع أن نرضى أخانا المسيو إبراهام .

شيلوك : إنى على استعداد أن أرضيه إذا شاء التفاهم معى .

« يفتح الباب فجأة ويدخل زيكنانخ مرتديا معطفا أسود وعليه علامات الاضطراب . فما وقعت عيناه

على إبراهام حتى قصد توا إلى الباب الداخلي فتبعه شياوك ودخل معه وأوصد الباب خلفهما » .

كوهين : « يتبين الدهشة فى وجه جليسه إبراهام » لعل هذا طارق خير يا مسيو إبراهام جاء لينقذنا مما كنا فيه من الشجار البغيض .

إبراهام : « يتلعثم » هذا جائز يامسيو . . يا مسيو كوهين « يدخل شياوك فيعود إلى مجلسه على المكتب . ويدخل خلفه زيكناخ وقد خلع معطفه الأسود فظهر الساعة بملابس ضابط البوليس ووقف توا أمام إبراهام » .

زيكناخ : أرنى يا سيدى المسدس الذى معك .

إبراهام : « مدهوشا » ما شأنك به ؟ إنه مسدس مرخص .

زيكناخ : أرنيه من فضلك .

إبراهام : « يصعد النظر فيه ويصوبه » .

زيكناخ : ماذا تنتظر ؟ أرنى مسدسك .

إبراهام : « يخرج مسدسه من وسطه » تفضل .

« يأخذ زيكناخ المسدس وسرعان ما أطلق منه رصاصتين على الجدار الذى يجلس دونه شيلوك ، ثم انقلب إلى إبراهام فألقى القبض عليه »

إبراهام : « يحاول المقاومة ويصيح » ما هذا يا لصوص ؟

ماذا تريدون منى ؟ .

« يقترب شيلوك من كوهين فيسر إليه كلاما » .

شيلوك : وبل لك . أتزورنى فى مكتبى وتطلق على الرصاص يا مجرم ؟ .

إبراهام : « يصيح » أنت المجرم ! أنتم المجرمون ! .

زيكناخ : سأسوقك الآن إلى مركز البوليس فقل هذا الكلام هناك .

« يفتح الباب الخارجى اقتحاما ويدخل كساب جاد مأمور البوليس ومعه حارساه — زيكيناخ يؤدى التحية الرسمية لكساب » .

كساب : « لحارسيه » فتشا المنزل « يدخل الحارسان الباب الداخلى » .

إبراهام : ها أنت ذا جئت فأنقـــذنى يا حضرة المأمور من هؤلاء المجرمين .

كساب : صه . اسكت يا هذا « يلتفت لزيكناخ » ما هذا ؟

زيكناخ : هذا الرجل حاول الاعتداء بمسدسه على المسيو شيلوك فألقيت القبض عليه .

كساب : ماذا جاء بك هنا يازيكناخ ؟ .

زيكناخ : كنت مارا بهذا الحى فسمعت طلقة النار فأسرعت بالحضور . فوجدت المعتدى قد أطلق رصاصتين

ووجدته في عراك شديد مع المسيو كوهين المحامي . ولولا وجود المسيو كوهين لكان قد قتل المسيو شيلوك .

إبراهام : لا تصدقه ياحضرة المأمور . فإنه هو الذي أخذ مني المسدس فأطلق الرصاصتين على ذلك الجدار ليلصق بي تهمة الاعتداء على شيلوك .

شيلوك : يالك من مجرم خطير . أتحاول النجاة من يد العدالة بمثل هذا التلفيق ؟

كساب : اسكت يامسيو شيلوك وانتظر حتى نأخذ شهادتك .
« يفحص المسدس وينظر إلى أثر الرصاصتين على الجدار »
« لإبراهام » لماذا أشهرت مسدسك ؟ .

إبراهام : ماشهرته ياحضرة المأمور . وإنما جاء هذا الضابط المأجور فطلب مني أن أريه مسدسي فقلت له إنه مرخص . قال لي أرني إياه فأخرجته له ، فاختطفه من يدي وأطلق الرصاصتين على الجدار ثم ألقى القبض علي .
« يعود الحارسان من الباب الداخلي » .

أكساب : هل فتشتما المنزل كله ؟ .

أحد الحارسين : نعم ياحضرة المأمور فلم نجد أحداً.

كساب : هل غلقتما الأبواب كلها ؟ .

أحدهما : نعم ياحضرة المأمور .

كساب : اسمح لى يامسيو شيلوك أن أجلس على مكتبك لأفتح المحضر .

شيلوك : « يخلى مكانه » تفضل ياحضرة المأمور .

كساب : « يجلس على المكتب وينشر أوراق المحضر أمامه » ابقوا جميعا مكانكم حتى آخذ أقوالكم .

« يكتب سطورا على أوراقه بسرعة عظيمة » .

« يوجه السؤال للجميع » من الذى دخل الساعة إلى المكتب آخر من دخل قبيل مجيئنا ؟

« يسكت شيلوك وكوهين وزيكناخ متظاهرين بأنهم لم يفهموا سؤال كساب » .

إبراهام : « والقيد فى يده » هذا الضابط المأجور هو آخر من دخل ياحضرة المأمور .

زيكناخ : نعم أنا دخلت هنا حين سمعت طلقة النار . فوجدت هذا الجانى فى عراك مع المسيو شيلوك والمسيو كوهين . ولعلكم جئتم أيضا لما سمعتم الطلقات .

كساب : « يخط بقلمه كلمات ثم ينظر إلى زيكناخ » كلا ما جئنا لهذا . ولكنا كنا نطارد رجلا ارتكب جريمة قتل وقد لمحناه دخل هذا المنزل .

كوهين : هذا أمر عجيب .

شيلوك : لم يدخل عندى غير هؤلاء الثلاثة يا حضرة المأمور . فقد كان عندى المسيو كوهين . ثم دخل علينا إبراهام هذا وفى عينه الشر فأخذ يناقشنى فى الصهيونية . ولما احتدم بينى وبينه الجدال شهر مسدسه على فأمسك المسيو كوهين بيده . فانطلقت رصاصتان منه وقعتا على الجدار .. وما لبث الضابط زيكناخ أن جاء مسرعا فألقى القبض عليه .

كوهين : يظهر أن الذي تطاردونه يا حضرة المأمور دخل فى منزل آخر من المنازل المجاورة .

كساب : « بلهجة جافة » كلا إننى متأكد من دخوله هـذا المنزل « يلتفت لشيلوك » أهذه كل أقوالك يا مسيو شيلوك ؟ .

شيلوك : نعم يا حضرة المأمور .

كساب : « نخط بقلمه » وأنت يا مسيو كوهين أتوافق على هذه الأقوال ؟ .

كوهين : نعم أوافق على جوهرها يا حضرة المأمور .

زيكناخ : هل يأذن لى حضرة المأمور بأن أسوق هذا الجانى إلى المركز ؟ .

إبراهام : يصيح مقاطعا « لا يا حضرة المأمور . إننى برى

ياحضرة المأمور . هذه مؤامرة دبرت ضدى .

كساب : « يشير لإبراهام أن يسكت ثم يلتفت إلى زيكناخ » كلا يازيكناخ . لايبرح أحد منكم مكانه حتى أتم تحقيق .

زيكناخ : أمرك ياحضرة المأمور .

كساب : « لإبراهام » ماذا تظن الدافع لهؤلاء على تدبير هذه المؤامرة ضدك ؟ .

إبراهام : لاأدرى ياحضرة المأمور .

كساب : هل كنت تتوقع هذه المؤامرة حين جئت إلى هنا ؟

إبراهام : كلا لم أكن أتوقعها قط .

كساب : فما الذى جاء بك إلى هنا ؟ .

إبراهام : جئت لأشكو إلى شياوك اعتداء بعض الحاميات اليهودية على وعلى العمال العرب الذين يشتغلون فى مصنعى .

كساب : لماذا لم تشتك هذا الاعتداء إلى مركز البوليس ؟ .

إبراهام : قد شكوتهم مرارا إلى المركز فكانت شكاواى تحفظ دائما . فرأيت اليوم أن أكلم هذا الذى بيده تدبير هذه الحاميات وتصريفها ليكف أذاها عنى وعن عمالى . ولكنه بدلا من أن ينصفنى اتهمنى بخيانة القومية اليهودية .

كساب : ثم ماذا حدث ؟ .

ابراهام : ثار بينى وبينه جدل فى الصهيونية لأنى أرى أنها مضرة بمصالح اليهود . ولاسيما اليهود الفلسطينيين الأصليين .

كساب : هل غضبت لرأيك فشهرت عليه مسدسك ؟ .

إبراهام : كلا يا حضرة المأمور لم يكن فى الأمر ما يدعونى إلى هذا قط . وإنما كنا فى نقاش كلامى محض حتى دخل زيكناخ هذا وعليه علامات الاضطراب فاختلى بشياوك فى الغرفة المجاورة . ثم ما لبث أن عاد فطالب المسدس منى فقلت له إنه مرخص .. فألح على أن أريه إياه فلما أخرجته له اختطفه منى فأطلق الرصاصتين على الجدار ثم وضع القيد فى يدى

كساب : « يخط بقلمه فى أوراقه » ثم ماذا ؟

إبراهام : ثم ما لبثتم أن دخلتم أنتم .

زيكناخ : هذا كذب يا حضرة المأمور اختلقه ليبرىء نفسه من تهمة الشروع فى القتل .

كساب : « مقاطعا » اسكت يا زيكناخ . « لإبراهام » ألم يدخل أحد مع زيكناخ ؟ .

إبراهام : لا يا حضرة المأمور .

كساب : هل دخل زيكناخ بهذه الملابس الرسمية ؟
زيكناخ : « مقاطعا » ماذا تعني بهذا السؤال يا حضرة المأمور ؟
كساب : لا تقاطعني في تحقيقي ولا تفه بكلمة حتى أسألك .
« يسكت زيكناخ على مضض » .
إبراهام : « تلتمع عيناه كمن تذكر شيئا غاب عن ذهنه » أجل نسيت يا حضرة المأمور أن أقول لك إنه كان يرتدي معطفا طويلا أسود حين دخل، ثم رجع بهذه الملابس الرسمية بعد ما اختلى بشياوك في الغرفة المجاورة .
شياوك : لا تصدق كلامه يا حضرة المأمور فإنه يكذب .
كساب : أرجوك يا مسيو شياوك أن لا تقاطع التحقيق .
« لإبراهام » هل يمكنك التعرف على ذلك المعطف إذا رأيته ؟
إبراهام : نعم . عليه شارة الإرهابيين إن لم تخني الذاكرة .
كساب : « لأحد حارسيه » فتش الغرفة المجاورة يا حسام .
« ينهض شياوك ليصحب الحارس » .
كساب : إلى أين يا مسيو شياوك ؟
شياوك : أريد أن أدله على المكان المطلوب .
كساب : شكرا لا داعي إلى ذلك . ابق مكانك .
شياوك : « يجلس ممتعضا » إني أحتج على هذه التصرفات في بيتي .

كساب : « تحدجه بنظرة هائلة » بعد أن أتم عملى قدم احتجاجاتك
إلى من تشاء .
« يكتب فى أوراقه ثم ينظر إلى كوهين » هل كان
زيكناخ يرتدى معطفا أسود حين دخل ؟ .

كوهين : « بعد تردد » لا أتذكر يا حضرة المأمور .
« يعود حسام وبيده معطف أسود » .

حسام : وجدت هذا يا حضرة المأمور ملقى فى قاع دولاب
بالغرفة المجاورة .

كساب : أكان الدولاب مفتوحا ؟

حسام : لا بل كان مقفلا . ولكنى وجدت مفتاحه مرميا
على الأرض .

كساب : « يتناول المعطف فيفحصه ويفتش جيوبه ويستخرج
منها منديلا أحمر وفرد قفاز فيضعهما أمامه . ثم
ينشر المعطف أمام ابراهام » أهذا المعطف الذى
رأيته ؟

إبراهام : نعم هو نفسه وهذه الشارة عينها .

كساب : « يرمى المعطف لزيكناخ » ارتده يازكناخ .

زيكناخ : « ممانعا » ماتقصد من هذا ياحضرة المأمور ؟

كساب : إنى آمرك بارتداء هذا المعطف .

زيكناخ : « يرتدى المعطف » أمرك .

كساب : « يعطيه المنديل الأحمر » تلثم بهذا المنديل .
زيكناخ : لا أعرف كيف أتلثم .
كساب : ساعده ياحسام .
« يلثمه حسام بالمنديل » .
كساب : « لمعاونيه حسام وناصر » مارأيكما ؟
ناصر : هيئة الرجل بعينها .
حسام : بالضبط .
كساب : اخلع عنه اللثام ياحسام .
« يخلع حسام اللثام عن وجه زيكناخ ويعيده لكساب » .
كساب : « لزيكناخ » أرنى مسدسك .
زيكناخ : « يعطيه مسدسا » تفضل .
كساب : « يفحص المسدس » هذا مسدس آخر . أين مسدسك الحكومى ؟
زيكناخ : « يعطيه المسدس الحكومى بعد تردد » ها هو ذا .
كساب : « يفحصه ويشم ماسورته » أين أطلقت الرصاصات الخمس الناقصة ؟
زيكناخ : « بعد تردد » أطلقتها على نفر من الإرهابيين اعترضونى فى ناحية المروة : فاعتصموا بالفرار .
كساب : هل أصبت أحدا منهم ؟ .

زيكناخ : « يعود إليه شيء من الثقة بنفسه » كلا ولكن وقع من أيديهم هذا المعطف وهذا المسدس فالتقطتها .

كساب : هل كتبت محضرا بذلك ؟

زيكناخ : لم أكتبه بعد .

كساب : متى كانت هذه الحادثة ؟

زيكناخ : « بعد تردد » حوالى الساعة الثامنة .

كساب : اذكر حركاتك فى الفترة التى بين وقوع الحادثة ومجيئك إلى هنا .

زيكناخ : رجعت من ضاحية المروة فعرجت على المنزل لأطمئن على صحة والدتى المريضة فقضيت فيه فترة من الزمن ، ثم خرجت قاصدا مركز البوليس لأكتب المحضر وأقدمه ، وبينما كنت مارا بهذا الشارع إذ سمعت طلقة النار فأسرعت بالمجئ إلى هنا وكان ماقصصته عليك من قبل .

كساب : إذا فى تمام الساعة التاسعة كنت فى منزلكم ؟

زيكناخ : هذا صحيح . .

كساب : ما اسم والدتك ؟

زيكناخ : « بعد تردد » هنريتا .

كساب : من الدكتور الذى يعالجها ؟

زيكناخ : الدكتور يعقوب ناحوم .

كساب : هل لديك تليفون فى المنزل ؟

زيكناخ : « بعد ارتباك وتردد » نعم ولكن قلما نستعمله .

كساب : مارقمه ؟

زيكناخ : « بشئ من الحدة » ماتصنع به ياحضرة المأمور ؟ ليس فى المنزل إلا والدتى وهى مريضة لا تستطيع القيام إلى التليفون !

كساب : أليس فى المنزل أحد غيرها ؟

زيكناخ : لا أحد . . إلا الخادمة وهى جاهلة لا تعرف كيف تجيب التليفون .

كساب : « يقدم له ورقة وقلما » حسنا . اكتب لى رقم التليفون .

زيكناخ : « يكتب الرقم » لكن هذا سيقلق والدتى العجوز المريضة ياحضرة المأمور .

كساب : « يأخذ الورقة » لاتخف . لن نزعج السيدة والدتك . « يتناول السماعة ويدير الرقم » آلو . . . منزل المسيكو زيكناخ . . . أوه المسيو زيكناخ غير موجود . أنا الدكتور يعقوب . كيف حال السيدة هنريتا ؟ حسنا . مسى لى عليها . . . متى نحضر المسيو زيكناخ ؟ . . . متى خرج من المنزل اليوم ؟ . . . حوالى الساعة الخامسة ؟ . . ألم يعد

بعد ذلك إلى المنزل ؟ . . . أو ه لم يعد بعد ذلك . . .
لا . لا شيء ، قولى له حين يرجع الليلة بن الدكتور يعقوب ناحوم يود أن يراه . . شكراً « يضع السماعة » « يلتفت إلى زيكناخ » قد تبين كذبك وتلفيقك . كنت الساعة التاسعة فى عزبة الشيخ سعد الحوراني . ألبسه القيد ياحسام .

زيكناخ : عجبا ماذا تقصد ؟! إنى لا أفهم شيئا مما تريد .

كساب : أنت قاتل الشيخ سعد وعائلته وقد قتلتهم بمسدس الحكومة .

زيكناخ : هذه تهمة ملفقة . لا أعرف الشيخ سعد هذا ولم أسمع به فى حياتى . أنا برىء .

كساب : قد قامت البراهين القاطعة على أنك القاتل .
« لناصر » أعطنى فرد القفاز الذى معك ياناصر .

ناصر : « يناوله إياه » هاهو ذا ياحضرة المأمور .

كساب : « يقارنه بفرد القفاز الموضوع أمامه » وهذا برهان جديد . هذا فرد القفاز الذى وجدناه فى المعطف يطابق تماما الفرد الذى وجدناه فى مكان الحادثة .

زيكناخ : قد قلت لكم إن المعطف ليس لى .

كساب : « ينهره » كفى كلاما . قيده يا حسام .
« يحاول زيكناخ الامتناع عن لبس القيد » .

كساب : لا تقاوم البوليس .

زيكناج : أنا من البوليس . لا يمكن القبض على هكذا .

« يلبسه حسام القيد » .

كساب : أجل . أنت من البوليس وهذا يضاعف جريمتك . إذ ارتكبتها بمسدس الحكومة وفى أثناء عملك الرسمى .

« يلتفت إلى شيلوك وكوهين » وأنتما متهمان بتضليل البوليس والتستر على مجرم هارب .

كوهين : أى تضليل ياحضرة المأمور وأى تستر ؟ إننا لم نكن نعلم عن الجريمة التى تذكرها شيئا .

كساب : حسنا . دافعا عن أنفسكما حين تطلبان .

إبراهام : وهما متهمان أيضا بالتآمر ضدى ليلصقا بى تهمة الشروع فى قتل .

كساب : سيجرى التحقيق فى هذا أيضا يامسيو إبراهام .

« يجمع أوراقه وأشياءه وينهض » .

« لحارسيه » سوقا هذين المتهمين إلى المركز . .

إبراهام : « يسوقه ناصر » لكنى برئ ياحضرة المأمور وقد تبين لك كذب هؤلاء وتلفيقهم .

كساب : « يقترب منه » أجل . قد تحقق عندى أنك برىء ، ولكن الإجراءات الرسمية يجب أن تأخذ مجراها .

لا تخف يا مسيو إبراهام .

« يخرج حسام يسوق معه زيكناخ ، ثم ناصر يسوق معه إبراهام . ثم يخرج خلفهم كساب » .

« يقفل شيلوك الباب ثم يرتمى على مقعده متهالكا » .

كوهين : سأحضر لك كوب ماء يا مسيو شيلوك « يخرج من الباب الداخلى » .

شيلوك : « يتنهد » آه آه ! يالها من ليلة مشؤومة ! كساب جاد . . هذا العدو اللعين . « يعود كوهين مسرعا فيسقى شيلوك » .

كوهين : تجلد يا مسيو شيلوك فالمسألة هينة .

شيلوك : « يفرغ من شرب الماء » شكرا يا صديقى العزيز . شكرا . . « يضع الكوب على المكتب » .

كوهين : هل أحسست الآن بشىء من الراحة ؟ .

شيلوك : نعم نعم .

كوهين : أهو هذا الشيخ سعد الذى أبى أن يبيع ضيعته فى وادى السراوة ؟ .

شيلوك : « يعود له نشاطه » نعم هو بعينه . لقد لقى الليلة حتفه هو وكل عائلته ! .

كوهين : أظن أنه سيسهل على الشركة الآن ابتياع أرضه .

شيلوك : نعم سيكون وادى السراوة غدا فى قبضتنا ، لكن

مسكين زيكناخ ! .

كوهين : هل رجع فى هذا التدبير إلى رأيك ياموسيو شيلوك ؟

شيلوك : « يلتفت يمنة ويسرة » بالطبع ياموسيو كوهين .

كوهين : لكن كيف انتهى أمر هذا التدبير إلى كساب جاد؟

شيلوك : هذا مالا أستطيع أن أجد له تفسيرا .

كوهين : أترى أن ذلك قد وقع اتفاقا وصدفة ؟

شيلوك : ما أظن ذلك ولكن هذا المأمور العربى المسيحى من أشد الناس وطأة على الصهيونية . وهو يهتم اهتماما بالغا بتعقب أعمالنا والكيد لخططنا بما له من السلطة البوليسية فيجب التخلص منه ومن مضايقاته بأى سبيل .

كوهين : سيأتى يوم يترك فيه منصبه فى مركز البوليس ، كما ترك أخوه منصبه فى المجلس البلدى .

شيلوك : لكن هذا يختلف عن أخيه ميخائيل ، فميخائيل رقيق الحس فما كاد يشعر بغلبة الأعضاء اليهود فى المجلس حتى استقال من منصبه . أما هذا فبارد الطبع بليد الحس ولن يترك منصبه إلا إذا جر برجليه وأخرج منه قهرا .

كوهين : لن تعجزك الحيلة ياموسيو شيلوك .

شيلوك : دعنا من أمر كساب الآن وقل لى أولا كيف ننقذ

زيكناخ . إنه شاب نشيط لا نستغنى عن خدماته قط . وثبوت هذه التهمة عليه سيشوه سمعة رجال البوليس اليهود فى البلاد . وربما يكون لذلك من الأثر ما يحرمنا الاستعانة بهم فى شئوننا الصهيونية . وإنى لا أدرى كيف نستطيع العمل إذا فقدنا معونة هؤلاء .

كوهين : صدقت يا مسيو شيلوك . إن تبرئة زيكناخ لبمكان عظيم من الأهمية .

شيلوك : فما رأيك ياعزيزى كوهين ؟ ماذا تقترح ؟

كوهين : سنرى ماذا يكون من أمر النيابة أولا .

شيلوك : كلا بل يجب تدبير مخرج له من الآن . فكر يانابغة القانون فكر . إن لم يسعفنا نبوغك الآن فى هذه الساعة الحرجة فلا حاجة بنا إليه .

كوهين : ليس ثم إلا سبيل واحد فيما أرى .

شيلوك : « متحمسا » ماهو ياعزيزى كوهين ؟ ماهو ؟

كوهين : أن نلصق هذه التهمة بأحد شبابنا الإرهابيين ونجعل أحد أفراد البوليس اليهود يقبض عليه ، ثم يعترف الشاب الإرهابى بالجريمة وبذلك تثبت براءة زيكناخ .

شيلوك : مرحى ياعزيزى كوهين ! هذا رأى جميل . « وتلتمع عيناه ببريق غريب ويشد بيده على يد

كوهين « صبرا ياعزيزى كوهين . فقد عن لى الساعة رأى آخر .

كوهين : خير يامسيو شيلوك .

شيلوك : سنتخذ هذا أيضا ذريعة للطعن فى كساب جاد ونتهمه بالتحامل على رجال البوليس اليهود ومحاولة إلصاق التهم بهم . فهو بذلك لا يصح أن يترأس عليهم .

كوهين : هذا مدهش يامسيو شيلوك .

شيلوك : ليس هذا فحسب . بل يجب أن نحاكم هذا المأمور اللعين على التهمة التى ألصقها بضابطنا الشاب ثم ثبتت براءته منها .

كوهين : « يهتز طربا » ماهذا النبوغ يامسيو شيلوك ! .

شيلوك : لا ياسيدى لافضل لى فى ذلك فأنت صاحب الرأى الأول . وإنما استمددت هذا من ذلك الرأى .

كوهين : هذا توفيق عجيب ، فسنضرب عصفورين بحجر

شيلوك : واحد . أجل فلننفذ هذا الرأى الآن .

« ينهض إلى مكتبه ويتناول السماعة ويدير الرقم »

آلو . . . بنيامين ليشع ! . . .

(ينزل الســــتار)

الفصل الثالث

فى قصر آل الفياض « نفس المنظر فى الفصل الأول « الوقت حوالى الساعة الخامسة بعد الظهر .

« كاظم وكساب داخلين من الباب الخارجى »

كاظم : تفضل يا كساب .

« يجلس كساب ويجلس كاظم إلى جانبه »

كاظم : ألم تر ميخائيل اليوم ؟ .

كساب : كلمته بالتليفون وهو الساعة قادم .

كاظم : أحسنت . على ماذا استقر عزمك ؟

كساب : على الالتحاق بالثوار الليلة .

كاظم : الليلة ؟

كساب : نعم لا أستطيع البقاء فى البلد بعد اليوم . ألم يخبرك ميخائيل أمس بأن شيلوك قد استأنف الحكم ببراءتى ولن يستريح قلبه حتى يثبت على تهمة التلفيق ضد زيكناخ .

كاظم : لعنة الله عليهم ! أما كفاهم أنهم برءوا ذلك الضابط اليهودى القاتل ؟

كساب : كلا إنهم يريدون كذلك إبعاد المأمور العربى من طريقهم ، حتى يفتنوا فى ضروب الإجرام كما يشتهون دون أن يتعقب جرائمهم أحد :

كاظم : كأنك قد قدمت استقالتك ؟

كساب : لم أقدمها بعد ولكنى قد كتبتها وستصل إلى المركز غدا وأنا فى الجبل .

كاظم : إذا أرافقك الليلة .

كساب : إلى أين ؟

كاظم : إلى الجبل .

كساب : لكن . . . .

كاظم : لا . لاتحاول تثبيطى يا كساب . فقد صممت على هذا وما دعوتكما اليوم إلا لأخبركما بهذا العزم !

كساب : لكن عملك هنا لايقل عن عملك مع المجاهدين . إنك تعالج فقراء البلد مجانا وتخفف آلامهم . فمن لهم بعدك ؟

كاظم : إن المجاهدين أحوج من هؤلاء القاعدين إلى طبيب للعناية بجرحاهم . فمن يدرى لعل كثيرا منهم يموتون بالنزيف لعدم وجود طبيب .

كساب : صدقت . ولكنا كنا سنعتمد عليك فى القيام على أسرنا وتعهدهم بالرعاية مدة غيابنا فى الجبل . ومن يدرى

لعلنا لانعود إلى أهلنا أبدا .

كاظم : وددت لو أن ميخائيل يرضى بالبقاء هنا ليتولى القيام بهذه المهمة .

كساب : إنك تدرى أن ميخائيل هو أشدنا شوقا للحاق بالمجاهدين . فقد عقد العزم على هذا منذ منع من مزاولة المحاماة بتهمة الاشتغال بالسياسة و التحريض على الثورة . وما بقى هنا إلى اليوم إلا لتصفية أعمال مكتبه .

كاظم : أجل قد علمت أنه لن يرضى بالبقاء . فياليتنا نستطيع أن نعهد بهذا الأمر إلى عمى الشيخ جاد .

كساب : إن والدى مريض لا يمكن الاعتماد عليه يا كاظم .

كاظم : سيعافى بإذن الله .

كساب : أنت أعلم بحاله منى وقد فحصته بنفسك . فهل تعتقد بحق أنه سيقوم من علته هذه ؟

كاظم : نعم إذا خف عنه أثر الصدمة . لا ينبغى أن نيأس من رحمة الله يا كساب .

كساب : ماأحسبه يحتمل هذه الصدمة طويلا يا كاظم . إنك لا تعرف مقدار تعلقه بأراضيه التى ورثها عن أبيه فهى أعز شىء عليه فى الدنيا . وقد استولى عليها شيلوك فى لمح الطرف .

كاظم : فلنكل هذا الأمر إلى حلمى باشا فهو يتولى عائلاتنا جميعا .

كساب : والذين لا رصيد لهم فى البنك ؟

كاظم : لا تقلق ياكساب فإننا أسرة واحدة . ومواردى تسع الجميع .

كساب : ما أكرمك ياكاظم ! إنا والله لاندرى متى نستطيع أن نوفيك شكرك .

كاظم : حين يستقل وطننا إن شاء الله وتزول عنه هذه النكبة العظمى .

« يدخل ميخائيل فينهض كاظم ليستقبله » .

كاظم : مرحبا . تفضل ياميخائيل . هاهو ذا كساب قد سبقك .

ميخائيل : أتدرى ماذا أخرنى عن المجئ إلى الآن ؟

كاظم : خير إن شاء الله .

ميخائيل : ولد لنا عزيز علينا غره الشيطان فسقط فى الذنب . وقد جاء اليوم نادما مستغفرا ورجانى أن أشفع له عندك .

كاظم : من هو ؟

ميخائيل : عبد الله ابن أخيك .

كاظم : وماذا يريد هذا الشقى منى ؟

ميخائيل : أن تعفو عنه.

كاظم : كيف أعفو عنه وما أساء إلى وإنما أساء إلى نفسه وإلى وطنه ؟

ميخائيل : أما جنايته على نفسه فحسبه ما التى فيها من ألم الفقر والتشرد . وأما جنايته على الوطن فقد عزم على أن يكفر عن خطيئته .

كاظم : حسنا . إجلس أولا ياميخائيل .

ميخائيل : كلا لا إجلس حتى تقبل شفاعتى .

كاظم : حسنا ! سأقبلها فاجلس .

ميخائيل : هاهو ذا بالباب ينتظر الآن . « يتوجه إلى الباب الخارجى » ادخل يابنى « يدخل عبد الله فى هيئة منكسرة فيقبل على عمه ليصافح يده » .

كاظم : « يمتنع عن مد يده إليه » ويل لك يامجرم ! ماجاء بك اليوم هنا ؟ أتريد أن تلصق بنا عارا جديدا ؟

عبد الله : « يرتمى على قدمى عمه يقبلها باكيا » اصفح عنى ياعماه . ندمت على ماكان منى وتبت إلى الله توبة نصوحا .

كاظم : «معرضا عنه» مانفع هذه التوبة الكاذبة ، وما دفعك إليها إلا الجوع ونضوب المال عندك ؟

عبد الله : كلا ياعمى مازال عندى مبلغ من النقود لم أصرفه

بعد . هذه ثلاثة إيصالات بألف وخمسمائة جنيه لم أتسلم قيمتها بعد من شياوك « يخرج الإيصالات من جيبه ليعطيها لعمه ولكن عمه يتناولها فيعطيها لميخائيل » .

ميخائيل : « ينظر فيها » هذه إيصالات ضد كمبيالات كتبها شياوك عليك . أليس كذلك ؟

عبد الله : نعم . « يردها ميخائيل إلى عبد الله » .

كاظم : فيم أبقيت على هذا المبلغ ؟ أردت أن تتخذ منه تذكارا لأراضيك التي بعتها لليهود ؟ اذهب إلى خليلتك اليهودية فاصرفه عليها .

عبد الله : لقد هجرتها يا عمى منذ زمان .

كاظم : هجرتها أنت أم هي التي هجرتك إذ لم يعد في يدك ما تطمع فيه ؟

عبد الله : كلا ياعمى . . إنها تعرف المبلغ الذى بقى لى عند شياوك وإنما أنا الذى هجرتها .

كاظم : لعلك سئمتها . فاذهب فاختر لك خليلة أخرى من بنات اليهود .

عبد الله : صدقنى ياعمى . إنى قد ندمت وتبت .

كاظم : إن تكن صادقا فيما تقول فعسى الله أن يتوب عليك . ولكن ماذا تريد الآن منى ؟

عبد الله : ما أريد منك شيئا إلا أن تعفو عنى .

كاظم : هبنى عفوت عنك فماذا يفيدك عفوى ؟

عبد الله : إنى قد عزمت على اللحاق بالمجاهدين فى الجبل . وأخشى أن ألقى الله وأنت ياعماه ساخط على « ينتحب » .

كاظم : « يتأثر فيترقرق الدمع من عينيه » قم يابنى فقد عفوت عنك .

عبد الله : « مايزال مكبا على قدمى عمه » أعطنى يدك ياعمى أقبلها .

كاظم : « يمد يده إليه فيقبلها عبد الله بدموعه » انهض يابنى . غفر الله لك .

عبد الله : « كما هو » وشيئا آخر أريده منك ياعماه !

كاظم : ماهو يابنى ؟

عبد الله : أن تكتب إلى أهل نادية وتخبرهم بأننى تبت عن خطيئتى وانضممت إلى المجاهدين فى سبيل الله .

كاظم : « يبتسم » أما يزال أمر نادية يعنيك يا عبد الله ؟

عبد الله : كيف لا وأنا أحبها يا عمى ؟

كاظم : أتظن أنها ما تزال تحبك بعد أن بلغها عنك ما بلغها ؟

عبد الله : « يبكى » لا أشك أنها كرهتنى واحتقرتنى حين بلغها أمرى . ولكن حسبى أن ينتهى إلى علمها أننى تبت آخر الأمر وكفرت عن سيئتى بالجهاد لعلها

تسامحني وتعفو عني . فاكتب إليها يا عماه . أتوسل إليك .

كاظم : لك عندى ماتحب يابنى هايطمئن بالك . ادخل الآن إلى خالتك جليلة فسلم عليها وقل لها أين القهوة للضيوف .

عبد الله : « ينهض فرحا » سمعا ياعمى . « يخرج من الباب الداخلى » .

كاظم : لقد اتفقنا أنا وكساب على أن نلحق الليلة بالجبل . فمتى تلحق بنا أنت ياميخائيل ؟

ميخائيل : سل عبد الله ابن أخيك يخبرك .

كاظم : ماذا تعنى ؟

ميخائيل : قد اتفقت معه على المسير الليلة أيضا . إذ خشيت إن بقى عبد الله هنا يوما واحدا أن تغتاله جمعية المجاهدين السرية كما قتلوا خليل الدواس ، فقد بلغنى أنهم أدرجوا اسم عبد الله الفياض فى القائمة السوداء .

كاظم : « مشفقا » ماذا يكون أمره إذا عرفه المجاهدون فى الجبل ؟

ميخائيل : سأقدمه لقائد المجاهدين وأشفع له عنده . ولا شك أنه سيقبل شفاعتى .

« يعود عبد الله حاملا معه صينية القهوة فيقدمها للحاضرين ثم يجلس قبالتهم -- يدق جرس التليفون فيشير كاظم إلى عبد الله فينهض عبد الله إلى الجهاز فيمسك السماعة » .

عبد الله : آلو . . نعم منزل كاظم بك . من حضرتك ؟ فوزى بك ! ! حسنا انتظر لحظة من فضلك . « يعلق السماعة ويقبل على عمه مضطربا » عمى . . عمى . .

كاظم : « ينهض » ماذا أصابك ؟

عبد الله : لا شئ ياعمى لا شئ . . كلم فوزى بك . .

كاظم : من فوزى بك ؟

عبد الله : فوزى بك . . . من مصر . . . والد نادية .

كاظم : « ينطلق إلى التليفون ويأخذ السماعة » آلو . أنا كاظم النقيب . . أهلا أهلا فوزى بك شرفتم البلاد . . . على الرحب والسعة . أنا وزوجتى نرحب بكم وبعائلتكم الكريمة . أين أنتم الآن ؟ حسنا انتظرونى— الساعة أحضر إليكم . . لكن هذا لا يليق . علينا نحن أن نسعى لاستقبالكم . . هذا كرم منكم فليكن ما تشاؤون . أنا وزوجتى فى انتظار تشريفكم . . إلى اللقاء « يضع السماعة » .

كاظم : « لعبد الله » من السائق أن يجهز السيارة الكبيرة حالا .

عبد الله : سمعا « ينطلق ويخرج من الباب الخارجى » .

كاظم : « لضيفيه » جاءنا ضيف كريم من مصر . . فوزى بك وعائلته .

ميخائيل : والد ناديه خطيبة عبد الله ؟

كاظم : نعم .

كساب : لهذا ماج عبد الله واضطرب !

كاظم : انتظرانى لحظة . سأخبر حرمى لتتهيأ لاستقبال الضيوف . « يخرج من الباب الداخلى » .

كساب : ما أظن كاظم بك يتمكن الليلة من المسير .

ميخائيل : بالطبع لن يترك ضيوفه .

كساب : هذه مفاجأة غريبة لعبد الله . ترى حضرت معهم حبيبته نادية ؟

ميخائيل : لاشك . لا يعقل أن تتخلف عن أبيها وأمها .

« يعود كاظم ويجلس » .

كاظم : أليس عجبا أن يجئ أحباء عبد الله فى اليوم الذى تاب فيه ؟

كساب : « ضاحكا » لا شك أن هذه علامة صدق التوبة .

ميخائيل : بل علامة قبولها إن شاء الله .

« يدخل عبد الله من الباب الخارجى » .

عبد الله : السيارة جاهزة ياعم.

كاظم : قل للسائق يحضر .

عبد الله : سمعا ياعمى . « يخرج » .

ميخائيل : مسكين عبـــد الله . إنه يتحرك كالمجنون من الفرح .

كساب : تراه ينوى اللحاق بالحبل بعد أم قد نسى عزمه ؟

كاظم : كلا لا ينبغى أن يراه الضيوف هنا .

كساب : لماذا ؟

كاظم : لأنهم إنما جاءوا على حسبان أنى قد طردته من البيت وتبرأت منه . « يدخل عبد الله وخلفه السائق رجب » .

كاظم : تعال يارجب .

رجب : « يتقدم فى أدب » نعم سيدى البك .

كاظم : إذا رأيت الضيوف قد حضروا هنا ، فاذهب بالسيارة إلى فندق الملك داود واتصل بالمدير وقل له إن فوزى بك وعائلته سينزلون فى بيتنا ، واطلب أمتعتهم فأحضرها معك . أفهمت ؟

رجب : « يخرج مفكرة جيبه ويكتب » فوزى بك ياسيدى ؟

كاظم : نعم فوزى بك من مصر . « يخرج أوراقا مالية من محفظته ويعطيها لرجب » خذ هذه وادفع منها حساب الفندق والبقشيش للفراش .

رجب : «يتناولها» سمعا ياسيدى . « ينسحب رجب ويخرج».

كاظم : « لعبد الله » اسمع يابنى . ينبغى أن لا يراك الضيوف هنا ، فإذا حضروا فالزم أنت غرفتك .

عبد الله : « مكتئبا » ألا أحييهم ياعمى تحية فحسب قبل أن أنطلق الليلة إلى الجبل ؟

كاظم : قد لا تسرهم رؤيتك هنا يابنى وهم يعلمون أننى قد طردتك من المنزل وتبرأت منك ؛ وما أحسب نادية ترضى بالمجىء لو تعلم أنك هنا عندى .

عبد الله : أما تسمح لى أن أرى نادية ياعماه ؟ « يبكى » .

كاظم : بأى وجه تقابلها يابنى ؟

عبد الله : سأراها لحظة فقط ياعمى لعلها حين تعلم توبتى تعفو عنى .

كاظم : لا يابنى لا ينبغى أن نزعج ضيوفنا . دع الأمر لى . سأشرح لهم قضيتك وأتلطف فى استعطافهم عليك . اعتمد على عمك .

عبد الله : أمرك ياعمى . « ينصرف خارجا من الباب الداخلى »

كساب : مسكين عبد الله . !

ميخائيل : حال مؤلم !

كاظم : مؤلم حقا ، ولكن ماذا أصنع غير هذا ؟

كساب : والآن ألا تأذن لنا فننصرف يا كاظم ؟

كاظم : كلا ، بل ابقيا حتى تريا ضيفنا العزيز . إن فوزى بك من كبار الوطنيين المخلصين فى مصر .

ميخائيل : أجل نعرف ذلك عنه ويسرنا أن نراه ولكن . . .

كاظم : « مقاطعا » لا ياصديقى . لا أشك أنه سيبتهج كثيرا حين يراكما عندى . هل تعرفان أنه شقيق عربى باشا؟

كساب : عربى باشا القانونى العظيم؟

كاظم : نعم أعظم قانونى فى العرب .

ميخائيل : بل هو من القانونيين المعدودين فى العالم . ما عرفت أن فوزى بك شقيقه إلا منك الآن .

« تسمع حركة سيارة من الخارج » .

كاظم : « ينهض » يظهر أنهم أقبلوا . « يقف على الباب الداخلى » جليلة ! جليلة ! هلمى فقد أقبل الضيوف .

« تدخل جليلة فتحيى ميخائيل وكساب ثم تسير خلف زوجها نحو الباب الخارجى فيخرجان » .

كساب : لا تدعنا نمكث طويلا ياميخائيل . فعلينا أن نجلس مع أولادنا قليلا قبل أن نتركهم إلى الجبل .

ميخائيل : سيكون مسيرنا الساعة التاسعة فما يزال عندنا فسحة من الوقت .

« يدخل كاظم وفوزى بك وخلفهما جليلة هانم وضيفتاها سلمى هانم ونادية » .

كاظم : تفضلوا . . هذان السيدان منا وليس بغريبين .

« ينهض ميخائيل وكساب فيصافحان فوزى بك ويحييان السيدتين فتردان التحية بالإيماء » .

جليلة : « للسيدتين » تفضلاياحبيبتىّ ، إن هذا اليوم والله ليوم عيد بقدومكم . .

« تتقدمهما نحو الباب الداخلى فيخرجن »

«يجلس الرجال الأربعة يتوسطهم الضيف الكريم» . .

كاظم : أقدم لك يافوزى بك صديقى المجاهد الوطنى ميخائيل جاد .

فوزى : إن صدق ظنى فهو رئيس بلدية القدس سابقا . أليس كذلك ؟

كاظم : هو بعينه . . أتعرفه يافوزى بك ؟

فوزى : كيف لا وهو الذى ضرب باستقالته من منصبه الحكومى مثلا رائعا فى الوطنية ؟ إننا فى مصر نتتبع قضيتكم ياكاظم بك . تشرفت يأستاذ ميخائيل .

ميخائيل : « يحنى رأسه » نحن سعداء بلقائك يافوزى بك .

كاظم : « مشيرا إلى كساب » وأقدم لك شقيقه الأصغر صديقى المجاهد الوطنى كساب جاد .

فوزى : أعرفه أيضا . أليس هو صاحب الحادثة المشهورة مع الضابط اليهودى الذى قتل بمسدسه الحكومى عائلة

عربية بأكملها ؟

كساب : هذه مجاملة كريمة منك يافوزى بك . كم نحن سعداء برؤيتك .

فوزى : بل أنا السعيد والله بلقائكم .

ميخائيل : إنك تعرف عنا كل شئ يافوزي بك .

كاظم : نعم كما لوكنت عائشا بيننا .

فوزى : لا غرو فإنا نتتبع كل حركاتكم الوطنية ونتابع أخبارها فى صحفنا الحرة .

كاظم : أجل إننا مدينون للصحافة المصرية بمناصرتها لقضيتنا وتشجيعها لنا .

فوزى : إنى ما زلت أعتبر الصحافة المصرية مقصرة فى واجبها نحو هذا القطر الشقيق الباسل . ولكنكم لو تعرفون ما تكابده فى هذا السبيل من جهود اليهود ومحاولتهم التأثير عليها بمختلف الوسائل كيلا تنشر شيئا عن القضية الفلسطينية لعذرتموها بعض العذر .

ميخائيل : نعم نعرف أن أصابع اليهود تلعب فى كل مكان .

فووزى : من أبسط وسائلهم مثلا أن يرفعوا سعر الورق على الصحيفة الذى لا تخضع لرغباتهم ، ويحرموها كذلك من إعلاناتهم التجارية . ومع ذلك ما استطاعوا أن يشتروا إلا ضمائر قليل من الصحفيين .

كاظم : أنسانى الحديث واجب السؤال عن عربى باشا شقيقكم ، كيف حاله ؟ .

فوزى : بخير ، يسركم حاله . وقد حملنى تحياتى الطيبة إليكم وود لو يصحبنا فى هذه الرحلة لولا مشاغله الكثيرة .

كاظم : ياليته فعل ، إذا لزادنا شرفا وسعادة .

فوزى : إنه قد عزم فعلا على أن يصطاف معنا هذه السنة فى لبنان ولكنه عدل عن الفكرة فى آخر لحظة لكثرة مشاغله . ولا أفشى له سرا إذا قلت لكم إنه قد أخذ منذ بضعة أشهر يدرس قضية فلسطين ليكتب عنها كتابا .

« تدخل الخادمة بالشاى والبسكويت فتصف الأطباق على المنضدة وتنصرف » .

كاظم : « يقدم الشاى لضيوفه » هـــذه بشارة عظيمة يا فوزى بك .

ميخائيل : أجل إنه لفوز عظيم لقضيتنا أن يتولاها هذا القانونى العالمى .

كساب : كلما دب اليأس إلى نفوسنا أرسل الله لنا بارقة نطالعها فى الأفق فتتجدد آمالنا . ولا شك أن هذه البشرى التى زفها إلينا فوزى بك من تلك البوارق السعيدة .

فوزى : قد كان يسعده أن يحضر بنفسه إلى فلسطين ليبحث مع زعمائها نقطا تهمه فى القضية ، فلما عجز عن المجئ كلفنى أن أبحثها له ، ولاشك أننى سأجد بغيته عندكم . .

كاظم : إننا طوع أمرك يافوزى بك .

فوزى : أشكركم . ستكون لنا إن شاء الله جلسة أخرى لهذه المسألة . أما الآن فاسمح لنا ياكاظم بك بالانصراف .

كاظم : إلى أين يافوزى بك ؟

فوزى : « ضاحكا » إلى الفندق .

كاظم : لا والله لا تنزلون إلا عندنا .

فوزى : شكرا ياكاظم بك . دعنا على راحتنا فى الفندق ، وسنختلف إليكم ونكون معكم فى كل حين .

كاظم : لا والله لا أدعكم تبرحون منزلكم هذا وتحرموننا هذا الشرف . ولو رضيت أنا لما رضيت حرمى . ستجدون هنا إن شاء الله كل مايريحكم ، فالمنزل واسع وقلوبنا أوسع .

فوزى : معاذ الله أن نشك فى هذا ياكاظم بك ، ولكن . . .

كاظم : « يضحك » على أى حال لم يبق لك خيار فى هذا يافوزى بك .

فوزى : « مستغربا » . . . .

ميخائيل : يعنى أن أمتعتكم قد حملت إلى المنزل فهى الآن هنا ولا يمكن إخراجها منه .

فوزى : عجبا ! متى كان هذا التدبير ؟

كاظم : هذا سر المهنة يافوزى بك . .

فوزى : « باسما » إن كرمكم لا يقف فى سبيله شئ ، ولا يتحرج أن يمكر إذا اقتضى الحال .

كاظم : لا تعجب من مكرنا يافوزى بك فإنا نعيش بين اليهود . !

كساب : هذا بعض ماتعلمناه منهم . .

فوزى : اخفضوا أصواتكم لايسمعكم اليهود ، فيسجلوا هذا الفضل عليكم ويعدوه من مآثرهم فى فلسطين ؟

« يضحك الجميع هنيهة ثم يسودهم نوع من الوجوم »

فوزى : « بصوت فيه نغمة من الأسى » قل لى يا كاظم بك ماذا فعل الله بابن أخيك ؟ .

كاظم : « يتنهد » إنى والله لأشعر بخجل شديد مما صدر منه ، ولا سيما حين أذكر ماكان يربطه بكريمتكم الحسيبة المهذبة من صلة الخطوبة التى كنا نؤمل أن ننال بها شرفا كبيرا ، فكسانا بحمقه وسوء تصرفه عارا وحزنا .

فوزى : هون عليك يا كاظم بك ، فليس هذا الذى صدر من

عبد الله يبدع فى أمثاله من الشباب . . . وإن كانت بوادى أمره حين كان بيننا لا تنذر بشىء من هذا السلوك . فقد كنا كثيرا مانقارن بين سلوكه وسلوك بعض الشبان الطائشين عندنا فنعجب بجده واستقامته .

كاظم : أجل ، ما كنا نتوقع بعض هذا منه ، ولكن الوسط الفاسد يافوزى بك هو الذى دفعه إلى هذا السقوط الشنيع . لقد حاولت بكل قواى أن أنقذه فلم أوفق لأن أصابع اليهود كانت تعترض لى كل جهد وتفسد على كل تدبير . فلما بصرت به ينحدر إلى الهاوية رأيت من واجبى أن أخطركم بأمره حين لم تبق لى عن ذلك مندوحة .

فوزى : إنا نشكرك ياكاظم بك ونذكر لك هذا الفضل ، وإن كنا تألمنا جميعا لذلك النبأ السىء . ولا أكتمك أن ابنتى ذهلت للنبأ ولم تكد تصدقه لما كانت تعرف فيه من الاستقامة والخلق الكريم . فكانت صدمة لم تحتملها أعصابها فلازمها مرض عصبى من ذلك اليوم .

كاظم : مسكينة ! والله إنه لايستحق منها بعض هذا الاهتمام .

فوزى : إنك لاتعرفها يا كاظم بك . إن نادية من ذلك الطراز

المثالى من الفتيات اللائى يعشقن الكمال ويتعلقن بمثل أعلى فى الحياة . فكانت صـدمة الواقع لها من الشدة والعنف بقدر مابينه وبين ذلك المثل من التفاوت البعيد .

كاظم : ويل هذا الولد الشقى : لقد زادنى ماسمعته منك الآن ألما على ألم .

ميخائيل : ونحن والله لانملك إلا المشاركة فى هذا الأسى الشديد .

فوزى : اعذرونى أيها السادة فإنى أب وللأبوة ضعفها . قد يكون ماذكرته سرا من أسرار الأسرة لا ينبغى أن أفشيه لكم لولا مالمسته منكم من صدق الود وما أفضتموه على من الشعور بأنكم لستم أجانب عن الأسرة .

كاظم : « متأثرا » نشكرك على هذه الثقة الغالية يافوزى بك ، وإنا فى الواقع لنشعر بأن الآنسة نادية هى ابنتنا كما هى ابنتك . نسأل الله أن يسبغ عليها نعمة الشفاء بحوله وقوته .

ميخائيل : إن هواء لبنان الجميل كفيل بتجديد صحتها إن شاء الله .

فوزى : هذا الأمل إن شاء الله . لقد نصحها الطبيب بتجديد الهواء من قبل ولكنها لحرصها على مواصلة الدراسة

لم تشأ أن تقطعها فى سنتها الختامية ، فما رضيت بالرحلة إلا بعد أن ظهرت نتيجة نجاحها فى امتحان الليسانس.

كاظم : بارك الله فيها وأقر بها عينك يافوزى بك .

ميخائيل : ليسانس الحقوق فيما أظن ، أليس كذلك ؟ .

فوزى : نعم . إنها شديدة الإعجاب بعمها ومن ثم كان غرامها بدراسة الحقوق . وعمها — حفظه الله — يحبها كثيرا ويجلس معها الساعات الطوال يشرح لها دروسها ويبين لها خفايا القانون ومعضلاته .

ميخائيل : لاشك عندى أنها ستكون نابغة عظيمة فى القانون ، مادام عرفى باشا هو الذى تولى تثقيفها بنفسه .

فوزى : إنها لم تنل ماكانت تطمع فيه من الأولية فى ترتيب الناجحين هذا العام ، ولعل لضعفها العصبى شأنا فى ذلك . ولكن عمها كثيرا مايشيد بنبوغها ويقول إنها حجة فى القانون الدولى . وأنا شخصيا لا أدرى مبلغ هذه الشهادة من الصحة لجهلى بموضوعها وأخشى أن يكون فيها شئ من المبالغة لحبه الشديد لنادية .

كاظم : مهما يكن من شئ فلا بد أن تكون على جانب عظيم من النبوغ أنطق عمها الكبير بهذه الشهادة العظيمة .

ميخائيل : مافى ذلك شك .

فوزى : لقد طال بنا الحديث عن نادية وشغلنا عما كنا فيه من السؤال عن عبد الله الفياض ، فماذا صار من أمره يا كاظم بك ؟ .

كاظم : « يتنهد » آه ماذا أقول فيه ؟ على قدر ماسرنا الحديث عن الآنسة نادية يسوءنا الحديث عن عبد الله الفياض . بعد أن بدد أمواله ومكن اليهود من الاستيلاء على أراضيه جاء إلى نادما مستغفرا فلم يسعني إلا قبوله لعله يصلح ما أفسد من أمره . وكنت أود أن لا أقبله أبدا بعد ما كان منه ما كان . بيد أني غلبني الضعف فقد كنت أعتبره كابني إذ ليس لي ولد من صلبي وهو وريثي الوحيد . ماذا أصنع يافوزى بك ؟ إني بليت به . . بليت به .

فوزى : إن تصرفك هذا هو عين الحكمة والسداد . وأرجو أن تكون توبته توبة صادقة .

كاظم : صديقي ميخائيل يعتقد هذا وهو الذى شفع له عندى ، أما أنا فأرجو الله أن يجعل ظن ميخائيل فى محله .

ميخائيل : لقد بلوت أمره فتيقنت صدق توبته . ويكفى دليلا على ذلك عزمه على الانضمام إلى الثوار المجاهدين فى الجبل ليكفر كما يقول عن خطيئته .

فوزى : هذا جميل .

كساب : ويدل على صدقه عندى أيضا أنه حين جاء نادما مستغفرا لم يكن قد ضيع كل ماله فلم يزل فى يده مبلغ كبير .

فوزى : فأين هو الآن ياكاظم بك ؟ .

كاظم : هو هنا فى المنزل ، ولكنى أمرته أن يلزم غرفته ولا يظهر لكم .

فوزى : لا ياسيدى ، دعنا نراه . إنه على كل حال قد تاب.

كاظم : بأى وجه يقابلكم ؟

فوزى : إذا كان يرغب هو فى رؤيتنا فائذن له ، وإلا فلا داعى لإحراجه .

ميخائيل : لا بل قد توسل إلى عمه آنفا أن يأذن له ليسلم عليكم ويراكم لحظة قبل مسيره الليلة إلى الجبل .

فوزى : أهو الليلة سائر إلى الجبل ؟

كاظم : نعم مع صديقى هذين .

فوزى : أنتما ذاهبان إلى ا . . . . . .

كاظم : نعم هذا سر من أسرار الثورة الوطنية ، ولكن لا بأس من إفشائه لمثلك يافوزى بك .

فوزى : أواه ! لقد ألهبتم الساعة دمى حماسة وشوقا إلى الجهاد. وددت والله لو أسير معكم الليلة فأشفى غلة كامنة فى كبدى لولا الموانع والقيود . « يغير لهجته » أين

عبد الله؟ دعني أراه يا كاظم بك ، دعني أراه .

كاظم : « ينهض » أمرك يا فوزى بك « يخرج » .

كساب « : إن شعورك هذا يا فوزى بك ليشد من عزيمتنا ويزيدنا قوة على قوة .

ميخائيل : بارك الله فيك وأكثر فى إخواننا أبناء الأقطار الشقيقة من أمثالك .

فوزى : ليس هذا الشعور بدعا منى ، فإنى أعتقد أن كل عربى فى مختلف الأقطار يتمنى فى قرارة نفسه لو يسعده الحظ فيشترك فى الجهاد لإنقاذ هذا البلد المقدس .

« يعود كاظم ومعه عبدالله » .

فوزى : « ينهض لاستقبال عبد الله ببشاشة » أهلا بك يا بنى . ها نحن أولاء جئنا نزورك إذ أبيت أن تزورنا .

« يصافحه عبد الله » .

عبد الله : مرحبا بكم يا فوزى بك . ما أكرمكم ! إنى والله لشديد الخجل لا أدرى بأى وجه أقابلكم .

فوزى : « يجلس » تفضل يا عبد الله . لقد سرنى يا بنى أنك عدت إلى ما كنت عليه من الجد والاستقامة ، ولا يسعنى إلا أن أرجو لك التوفيق والنجاح .

عبد الله : أشكرك يا عمى فوزى بك على عطفك وكرمك .

ولكم على عهد الله أن لا تسمعوا عنى بعد اليوم إلا ما يسركم .

فوزى : « يبتسم » ألا تأخذنى معك إلى ساحة الجهاد ؟

عبد الله : أستغفر الله يا عمى فوزى بك.. إنك مجاهد طول حياتك . أما أنا فإنما أردت أن أكفر عن خطيئتى وخيانتى لوطنى .

فوزى : بارك الله فيك .

كساب : ألا ترى أن الوقت قد أزف يا ميخائيل ؟

ميخائيل : صدقت . إئذن لنا بالانصراف يا كاظم بك .

فوزى : إلى أين ؟

كساب : لنرى أهلينا قبل أن نتركهم إلى الجبل .

ميخائيل : بودنا أن نستمتع بمجلسك أكثر من هذا يا فوزى بك وأن نقوم بواجبنا من الاحتفاء بك . فاعذرنا لهذا الظرف العارض ، وفى كاظم بك الخير والبركة .

فوزى : شكرا لكما ، لقد سعدت بهذه الجلسة القصيرة معكما . أرجو الله أن يوفقكما ويسعدنا برؤيتكما على حال أحسن وأسعد .

كساب : وأنت يا عبد الله ألا تسير معنا الآن ؟ .

ميخائيل : إن شئت أن تبقى قليلا هنا فافعل ، على أن توافينا فى منزل كساب الساعة التاسعة. احذر أن تتأخر يا بنى .

عبد الله : لا لن أتأخر عن الساعة التاسعة .

« ينهض ميخائيل و كساب و يصافحان فوزى بك وينصرفان يشيعهما كاظم إلى الباب » .

كاظم : لقد أتعبناك يا فوزى بك ، أفلا تريد أن تتخفف من ملابسك وتستريح ؟

فوزى : شكرا . لامانع عندى . « ينهض ليتبع كاظم إلى الداخل ولكنه يقف ويلتفت إلى عبدالله » لعلك يا عبد الله تريد أن ترى نادية .

عبد الله : « متلعثما » ياليت لى ذلك قبل أن أمضى لسبيلى .

فوزى : « ضاحكا » ماذا تريد أن تقول لها ؟ .

عبد الله : لاشئ إلا أن أرجوها أن تسامحنى .

فوزى : حسنا . سأكلم خالتك سلمى لتدبر لك ما تريد .

كاظم : تفضل يا فوزى بك . « يخرج ويخرج معه فوزى بك » .

« عبدالله وحده يذرع البهو جيئة وذهابا » .

« يعود كاظم » .

كاظم : تلطف معها يا بنى واعلم أنها مصابة بضعف عصبى ، فحاول أن لا تذكر لها شيئا يزعجها .

عبد الله : سمعا يا عماه . « يخرج كاظم »

صوت جليلة : إن شئتما جلسنا قليلا فى البهو فقد خرج الضيوف . تفضلا .

« تدخل جليلة هانم وسلمى هانم ونادية » .

جليلة : أأنت هنا يا عبدالله ؟ هلم إذن سلم على خالتك سلمى هانم وعلى الآنسة ناديه .

سلمى : أهلا عبد الله ! . كيف حالك يا بنى ؟ .

عبد الله : « يتقدم إليها فيصافحها » سلمك الله يا خالتى . ما أسعدنا بتشريفكم .

سلمى : أين كنت ؟ لماذا لم تسلم علينا من قبل ؟ أتتهرب منا يا عبد الله ؟ .

عبد الله : معــاذ الله يا خالتى ، وإنما كنت خجلان من مقابلتكم .

سلمى : لا لا تخجل فقد بلغنا أنك عدلت عن لهوك ورجعت إلى ماكنت عليه من الجد والاستقامة . ألا تسلم على نادية وتهنئها بشهادة الليسانس ؟

عبد الله : « يتقدم إليها ليصافحها ولكنها تشيح بوجهها عنه » شرفت بلادنا ياآنسة نادية . . . أهنئك بشهادة الليسانس »

نادية : « يحمر وجهها ولا تجيب » .

جليلة : تفضلا ياحبيبتىّ « تأخذ بيد ناديه وتجلسها وتجلس إلى جانبها وتجلس سلمى هانم » .

سلمى : اجلس ياعبد الله .

« يجلس عبد الله أمامهن » .

نادية : « تلتفت لأمها غاضبة » لماذا لم تخبرونى بالحقيقة ؟ لماذا لم تقولوا لى إنه موجود هنا فى المنزل ؟ أين والدى ؟ لن أمكث هنا .

عبد الله : « ينهض » اسمحى لى يا خالتى بالانصراف ، فإنى لا أريد أن أزعج الآنسة نادية .

سلمى : كلا يابنى اجلس قليلا معنا . لا ينبغى أن تقوم من هنا وهى ساخطة عليك . « يجلس عبد الله » .

سلمى اهدئى قليلا يانادية . لا يليق بنا أن نجرح شعور مضيفينا الكرام ، كونى عاقلة يابنتى .

جليلة : لا تلوميها ياسلمى هانم ، فلها الحق كل الحق فيما فعلت . فعبد الله يستأهل منها ومنا جميعنا أكثر من هذا .

سلمى : هذا صحيح ، ولكنه تاب عن ذنبه والله يقبل التوبة عن عباده .

جليلة : « لنادية » على كل حال لا تقلقى ياحبيبتى العزيزة . لن يبقى عبد الله فى المنزل فهو ذاهب الساعة إلى الجبل ليقاتل مع المجاهدين . وإنما أراد أن يسلم عليك وعلى والدتك قبل أن يمضى لسبيله .

عبد الله : كنت أود أن أنال عفوها قبل أن أذهب

لأستريح من عذاب الضمير .

سلمى : سدد الله خطاك وأرجعك سالما إلى أهلك لا تبتئس يابنى فإن المستقبل أمامك لتثبت أنك جدير بعفو نادية وثقتها أيضا .

نادية : كلا لا أستطيع أبدا أن أثق بمثله .

سلمى : « تغمز لجليلة خفية وتنهض » هل لى أن أكلمك على انفراد ياجليلة هانم ؟

جليلة : بكل سرور ياسلمى هانم . « لنادية » عن إذنك ياحبيبتى . « تنهض نحو الباب الداخلى » .

نادية : « تتحرك فى مقعدها حائرة » .

سلمى : مكانك يابنتى لحظة صغيرة ونعود إليك . « تخرج مع جليلة » .

عبد الله : « مضطربا » سامحينى ياحبيبتى نادية .

نادية : كيف تجرؤ على أن تدعونى هكذا ؟ قل هذا الكلام لصاحبتك اليهودية .

عبد الله : إنى معترف بذنبى وما أطمع أن تولينى ثقتك بعد الذى كان منى . كلا لا أستحقها منك يانادية. ولكنى أردت أن أكفر عن ذنبى بالجهاد فى سبيل الله والوطن ، وأخشى أن أموت وقلبك ساخط على .

نادية : وما علاقة الجهاد بسخطى أو برضاى ؟ أهذا

كلام رجل يريد أن يجاهد فى سبيل الله والوطن

عبد الله : إنك لا تستطيعين أن تتصورى هول العذاب الذى يقاسيه ضميرى ، كلما تذكرت أننى خنت عهدك وأسأت إلى أكرم فتاة على وجهه البسيطة .

نادية : إن أسأت إلى أحد فما أسأت إلا إلى نفسك ووطنك .

عبد الله : صدقت يانادية ، قد أسأت إلى نفسى ووطنى وأنت نفسى ووطنى ! تذكرى يا نادية أنك طالما أحببت فلسطين وطالما دافعت عنها بقلبك ولسانك وقلمك ، وأمامك الآن جندى خاسر من أبنائها قد غره الشيطان فخانها ثم هداه الله إلى التوبة ، فهو الساعة ماض ليريق دمه فى سبيلها . أفلا تشيعينه بكلمة عفو صغيرة تربط على قلبه وتهبه العزيمة والصبر ويلقى الله بها راضيا جذلان ؟

نادية : « بلهجة فيها شئ من الرقة » إن الذى يبتغى رضا الله لا يعنيه رضا الناس .

عبد الله : ما أحسب أن الله يرضى عنى مابقيت أنت ساخطة على . أتوسل إليك بحق فلسطين الشهيدة إلا ماعفوت عنى !

نادية : فلسطين الشهيدة ! ماذا جعلها شهيدة الآن . . .

عبد الله : « مقاطعا » نعم خيانة أمثالى من أبنائها . صدقت

يانادية صدقت .

« تدق الساعة معلنة الثامنة والنصف »

عبد الله : « ينهض » هاهى ذى ساعة المسير قد أزفت ، فعلىّ أن أنطلق لميعاد رفاقى الماضين إلى الجبل . حنانيك يانادية . أتوسل إليك بحق فلسطين المجاهدة إلا ما أرسلتها كلمة طاهرة من فمك الطاهر تفتح لى بها أبواب السماء !

نادية : « لا تجيب » . . .

عبد الله : أيهون عليك يانادية أن أمضى دون أن أسمع كلمة العفو منك ؟ إن كان هذا يرضيك فلا أبالى . « يتحرك ليمضى » .

نادية : « تنهض من مقعدها » ماذا تريد منى أن أقول لك ؟

عبد الله : « يلمع فى عينيه السرور » أحسن الله إليك يانادية . قولى لى : امض لسبيلك فقد عفوت عنك .

نادية : « ترتسم بسمة خفيفة على شفتيها » حسنا . امض لسبيلك فقد عفوت عنك . أيكفيك هذا ؟

عبد الله : إن كان لى أن أطمع فى شىء آخر فأعطينى يدك لأصافحها .

نادية : « بلهجة صارمة » كلا لا أضع يدى فى يد تلوثت بخيانة الوطن !

عبد الله : صدقت يانادية . حسبى كلمة العفو التى أنعمت بها على . أما يدى فسأطهرها بالدم ! أستودعك الله يانادية . أستودعك الله . « ينسحب ويخرج »

« تخطو نادية خطوتين أو ثلاثا نحو الباب الذى خرج منه عبد الله ، ولكنها تتراجع حتى تلوذ بجانب المقعد الطويل فتكب عليه باكية تنتحب »

« تدخل جليلة هانم وسلمى هانم منطلقتين فتنحنيان عليها تواسيانها »

ـ ينزل الستار ـ

الفصـــل الرابع

نفس المنظر الثانى « فى مكتب شيلوك » غير أن النوافذ قد أرخيت عليها الستائر . الوقت : الساعه العاشرة ليلا .

يظهر شيلوك جالساً على مكتبه وقد جلس عن يمينه كوهين المحامى وبنيامين رئيس الدعاية ، وعن يساره جوزيف رئيس الجمعيات الإرهابية وجاك رئيس لجنة شراء الأراضى .

شيلوك : واحر قلباه من هذا اليهودى اللعين ! إنى لأمقته أشد مما أمقت البريطانيين والعرب .

كوهين : بعض اهتمامك به يامسيوشيلوك : فهو أحقر من ذلك .

شيلوك : إنك لاتدرى ماذا صنع بى اليوم حين مقابلنا فى بنك باركليز .

كوهين : ماذا صنع بك ؟

شيلوك : نادانى باسمى مجردا عن كل لقب ، وقد وضع منديله فى أنفه واصطنع الغنة فى صوته كأنه

يقلدنى ، وحوله فرقة من أتباعه ينظرون إلىّ وعلى وجوههم بسمات السخرية ، فقال لى على مسمع من جميع موظفى البنك وغيرهم كلمة لن أنساها طول حياتى .

كوهين : ماذا قال ؟

شيلوك : قال لى ساخرا : كيف حال القط اليوم بعدما بدأ صدر الأسد يضيق بألاعيبه ؟ أيكف عنها أم يظل فى دلاله حتى يركله الأسد برجله ؟ إبراهام يجرؤ أن يسخر بى هكذا أمام الناس !

بنيامين : له أن يجرؤ على أكثر من هذا . لم لا وقد ولته الجمعية اللاصهيونية فى أمريكا رئاسة فرعها فى الشرق ؟

جاك : نعم منذ خرج من سجنه وهو يعمل ضدنا بنشاط ، والجمعية ترسل له الأموال من أمريكا .

بنيامين : لماذا لا تعيدونه إلى سجن لا يخرج منه أبدا ؟

جوزيف : قد كان التخلص منه سهلا فيما مضى ، أما اليوم فإنه لا يخرج إلا محفوزا بفرقة من أتباعه يحرسونه :

كوهين : هون عليك يا مسيو شيلوك : لا تكترث به ولا بأقواله .

شيلوك : ما أطول بالك يا مسيو كين وما أبرد طبعك !

إن الذى جرح قلبي فى مقال إبراهام هو أنه يقول الحقيقة الواقعة . أواه ! هذه الدولة التى كانت تدللنا أمس قد قلبت لنا ظهر المجن اليوم .

كوهين : لا نستطيع أن نحكم على الأشياء حكما صحيحا فى مثل هذه الظروف الاستثنائية ، فالدولة الآن مشغولة عنا وعن غيرنا بما هى فيه من صراع الحياة والموت. فلا تتشاءم إلى هذا الحد يا مسيو شيلوك .

شيلوك : كيف لا أتشاءم وهذه فرصة كان ينبغى لنا أن نربح منها لا أن نخسر فيها ؟ لقد نصرناها فى الحرب الماضية وأخذنا منها وعد بلفور فهل نقبل أن ننصرها فى هذه الحرب لتنزع من أيدينا ذلك الوعـــد ؟

جاك : إن صح تشاؤمك يامسيو شيلوك فعلى جهودنا العفاء .

جوزيف : لن يكون لنا وطن أو تقوم لنا دولة أبدا .

كوهين : فماذا نصنع ؟ أننصر أعداءنا النازيين ؟

شيلوك : آه يا ليت ألمانيا اليوم كما كانت من قبل ولم تبتل بهذه البدعة السخيفة من كره اليهود ، إذاً لنصرناها اليوم لنقضى على هذه الإمبراطورية العجوز المتداعية الأركان . إن ألمانيا تريد السيطرة على العالم ، فكم كان يكون ربحنا منها لو أنها قبلتنا فى معسكرها . إذن لسيطرنا من ورائها على العالم كله ، وإذن

لأربنا هؤلاء العرب كيف نطردهم لا من فلسطين وحدهـا بل من كل هذه الأقطـار الغنية التى لا يستحقونها ، ليرجعوا إلى صحرائهم التى نشأوا فيها .

كوهين : ولكن هذا ليس فى إمكاننا اليوم .

شيلوك : أجل وا أسفاه ! قد أخفقت الجهود التى بذلها سـفراؤنا فى ألمانيا ليقنعوها بالعدول عن بدعتها السخيفة ، على أن نساعدها فى صراعها هذا . فلم يبق أمامنا — يا للنكبة — إلا مناصرة أعدائها . وهذا ما شجع هؤلاء على الميل عنا فى هذه المرة .

كوهين : لو كان باب الخيار مفتوحا أمامنا ، أكان من صالحنا أن نميل إلى معسكر ألمانيا ؟

شيلوك : ليس فى هذا من شك .

كوهين : لكن خصـومنا العرب المفتوح لهم هذا الباب على مصراعيه لم يشاءوا أن يناصروا ألمانيا بالرغم من اجتهادها أن تستميلهم إلى جانبها بكل الوسائل ، حتى فى تلك الفترة التى كانت الأمور كلها تدل فيها على أن ألمانيا ستكسب الحرب . فبم تعلل تصرفهم هـذا ؟

شيلوك : إما أنهم كانوا أغبياء جدا فلم يتبينوا أقوم السبيلين لهم ، وإما أنهم كانوا من الدهاء والخبث بحيث

أدركوا أن سياسة بريطانيا مقضى عليها فى المستقبل أن تتحول لمصلحتهم . وبعد فمالى ولتعليل تصرف العرب ؟ إن حالهم على كل حال يختلف عن حالنا ، فهم يخشــون على بلادهم من الاستعمار الإيطالى ، وهم كذلك يتشدقون بالديمقراطية ، ويدعون أن قرآنهم يحبذها ويدعو إليها .

جاك : وقد نالوا أيضا الكتاب الأبيض .

شيلوك : نعم فاتنى أن أذكر هذا الكتاب الأسود !

كوهين : لكن هذا الكتاب الأبيض لم يرض أمانيهم . وقد أجمعوا على أنه عليهم لا لهم .

شيلوك : هذا صحيح ! ولكن نفوسهم اطمأنت به قليلا على مصير فلسطين . هذا كاف لتخدير أعصابهم وحملهم على الرضا بتأجيل المطالبة ببقية أمانيهم إلى ما بعد الحرب .

جوزيف : كم تمنيت لو أن عرب فلسطين عادوا لثورتهم لما شعروا أن الكتاب الأبيض قد خيب أمانيهم .

شيلوك : آه ياليتهم فعلوا ، إذا لواتانا الحظ .

كوهين : أجل ، كان يكون ذلك فى مصلحتنا ، ولكنهم لسوء حظنا التزموا الهدوء والسكينة بحجة أنهم لا يريدون أن يشغبوا على حليفتهم فى هذا الظرف الحرج ..

شيلوك : قد بذلنا جهودا كبيرة لاستفزازهم ليعودوا للثورة ، فذهبت جهودنا سدى . ويلهم ! لقد كسبوا بثورتهم الكتاب الأبيض وسيكسبون بسكينتهم هذه زيادة العطف على قضيتهم . أما نحن فماذا تلنا ؟ وماذا ننال إذا بقينا على هذا الحال ؟

كوهين : ماذا تريدنا نعمل ؟

شيلوك : لقد جاء دورنا الآن لنقوم بالثورة .

كوهين : ماذا تعنى بالثورة ؟ أتعنى ثورة سافرة كثورة العرب ؟

شيلوك : « محتدا » لماذا نقلدهم فى كل شىء ؟ ألم أقل لك إن حالنا يختلف عن حالهم ؟

كوهين : إن كنت تعنى الحركة الإرهابية فهذه الآن قائمة .

شيلوك : هذه الحركة العرجاء لا تشفى غليلى . يجب أن نجعلها قوية مجلجلة تهز الدنيا هزا !

جوزيف : نحن مستعدون للعمل فمرنا نطعك يامسيو شيلوك !

شيلوك : يجب أن تعرف أننى أكره الحركات الفاشلة . فعليك أن تحكم التدبير جيدا إذا شئت أن نعتمد عليك .

جوزيف : إنى أبذل كل ما فى وسعى لإنجاح تدابيرى .

شيلوك : هذا لا يكفى ، فليس المهم بذل كل ما فى وسعك بل المهم هو نجاح التدبير . أما تدرى أن إخفاقك فى

اغتيال الحاكم العام قد كلفنا ثمنا كبيرا ؟

كوهين : ولكنه أفاد على كل حال يامسيو شيلوك . أليس الغرض منه إظهار استيائنا من الحكومة البريطانية وإعلان احتجاجنا على سياستها ولفت أنظار العالم إلينا وإلى ظلامتنا ؟ وهذا كله قد تحقق .

شيلوك : صدقت ، ولكن نحب أن نشعر بتلك اللذة العجيبة التى يحس بها المظلوم ، حين يصبح يوما فيقال له إن ظالمه قد ذهب فى رحلة إلى العالم الآخر لن يعود منها أبدا ! أريد أن أشم رائحة الدم وعينى تشتهى أن ترى حمرته !

جوزيف : نحن طوع أمرك يامسيو شيلوك ولا داعى لتأنيبك إيانا ، فإنا نعتقد أننا لم نقصر فى واجبنا ، ونحن إلى كلمات التشجيع منك أحوج منا إلى كلمات اللوم والتعنيف .

شيلوك : يجب أن لا يكون الاغتيال السياسى فى فلسطين وحدها ، بل فى غيرها أيضا من البلاد . يجب أن نحدث حدثا كبيرا فى مصر !

جوزيف : قل لى من تريد هناك ؟

شيلوك : ألم تفهم بعد من أريد ؟ الوزير البريطانى . لكن تذكر أن النتيجة وحدها هى التى تعنينى .

جوزيف : لك عندى ماتحب يامسيو شياوك .

شياوك : لايصلح لهذا إلا شبان مدربون تدريبا تاما من الذين لايهابون الموت ، بل يرونه غنما فى سبيل الوطن القومى والدولة اليهودية . فهل عندك الآن أحد من هؤلاء ؟

جوزيف : عندى شابان ربيناهما على هذا من نعومة أظفارهما ، فلو رميت بهما أسدا هائجا ما هاباه . ولو أردنا هدفا طائرا لأصاباه . أتحب أن تراهما ؟

شياوك : كلا لا ينبغى أن يريانى .

جوزيف : لماذا ؟ لا تخش منهما على السر ؟

شيلوك : قد يقبض عليهما فيبوحان باسمى حين يعضهما ألم التعذيب فى الاستنطاق .

جوزيف : كلا لا تخف ، فقد أجرينا عليهما تجارب من هذا القبيل فجازا الامتحان بنجاح . ولقد سلطنا عليهما أقوى منوم مغناطيسى فلم يخضعا له وظلا محتفظين بيقظتهما وإرادتهما .

شيلوك : إذن فأحضرهما غدا لأراهما .

جوزيف : بكل سرور يامسيو شيلوك . ولكننا فى حاجة إلى المعلومات التى تهمنا عن الشخص المطلوب لنبنى عليها تدبيرنا .

شيلوك : هذه المعلومات التى تطلبها موجودة عندى فليطمئن بالك .
جوزيف : عجبا متى أستقيتها ؟
شيلوك : منذ نقل سلفه وتولى هذا الوزير العجوز مكانه .
جوزيف : قل لى يامسيو شيلوك هل على الشابين إذا نفذا الاغتيال أن ينجوا بأنفسهما أم يستسلما للبوليس ؟
شيلوك : لماذا يستسلمان للبوليس؟ دعهما يأخذا حظهما من النجاة إن استطاعا فقد نحتاج إليهما فى مهمة أخرى .
جوزيف : ربما لايعرف البريطانيون إذًا أن هذا الاغتيال كان من تدبيرنا فيضيع ماقصدناه من إشعارهم باستنكارنا وسخطنا .
شيلوك : لن نخسر بهذا شيئا ، بل قد تلصق التهمة بمصر فيحدث هذا هياجا فى الرأى العام البريطانى ضد العرب وضد السياسة الجديدة فى تشجيع الجامعة العربية ، فإن لم يحدث هذا الأمر المطلوب فنى وسع جمعياتنا الإرهابية بعد ذلك أن تنشر بلاغا بأن هذا الاغتيال كان من أعمالها احتجاجا على سياسة بريطانيا الجائرة علينا .
كوهين : لا أكتمكم أيها السادة أننى مازلت على رأيى فى وجوب الكف عن هذه الحركة الإرهابية لأنى

لا أزال أرى عطف بريطانيا على قضيتنا ، وأطمع في تشجيعها إياها في المستقبل .

شيلوك : إن اتجاه سياسة بريطانيا يمكن إدراكه من الآن ، وهذه الجامعة العربية تحدد هذا الاتجاه .

كوهين : قد تكون هذه لعبة تلعبها بريطانيا على العرب لتقضي بها مآرب لها عندهم . فهي تخشى على مركزها في الشرق الأوسط لا من أعدائها فحسب بل من أحلافها أيضا . وتريد أن تؤمن طريقها إلى الهند بضمانات وثيقة ؛ وقد رأت أن الأمنية العظمى التي تهفو لها قلوب العرب جميعا هي هذه الوحدة التي يتغنى بها شعراؤهم ويحلم بها كتابهم ومفكروهم . فإذا لوحت لهم بها فإنهم لن يتأخروا عن قضاء رغباتها والانضمام إلى لوائها وبذل كل شيء في سبيلها .

شيلوك : لكن هذه اللعبة قد أصبحت حقيقة واقعة . أما تراها قد جازت دور المشاورات إلى دور المؤتمرات ؟ ثم ألا ترى أنها أصبحت في البلاد العربية السياسية القومية التي لا تتأثر باختلاف الحكومات الحزبية ؟ هذه مصر مثلا تسقط فيها حكومة الوفد التي بدأت المشاورات وتخلفها حكومة خصومه ، فلم تزحزح

عن سياسة الاتحاد العربى بل سارت فى سبيلها بهمة وعزيمة . وتأتى بعد هذا يامسيو كوهين فتقول لى إنها لعبة ؟

كوهين : لو تتبعنا تاريخ السياسة البريطانية فى الشرق لعلمنا أن بريطانيا لا تستطيع أن تشجع مثل هذه السياسة إلى النهاية . تذكر يامسيو شيلوك أنها هى التى قضت فى الماضى على حركة محمد على باشا وابنه ابراهيم باشا حين حاولا إقامة هذه الوحدة العربية .

شيلوك : لا أجهل هذا . بل أعرف أن بريطانيا ظلت طوال العصور تقاوم هذه الحركة وتتوجس منها شراً . وما كان تشجيعها لنا فى تأسيس الوطن القومى فى فلسطين إلا عقبة من العقبات التى تضعها فى طريق هذه الحركة . ولكنى لا أشك اليوم قط أن هذه السياسة العتيقة قد تغيرت فى العهد الأخير واتخذت اتجاها آخر مضادا لاتجاهها الأول . إن بريطانيا لا تنظر إلى الجامعة العربية كلعبة . فهى تدرك أنها لعبة خطرة تخشى على نفسها منها إذا هى انقلبت يوما ضدها . ولكن دعاة السياسة العربية من البريطانيين قد نجحوا فى إقناعها بوجوب تغيير سياستها إذا أرادت الاحتفاظ بمركزها فى الشرق

العربي الذى لا تستطيع التفريط فيه بحال من الأحوال. لقد أقنعوها بأن العرب أصدقاء كرماء ولكنهم خصوم ألداء . فإذا شئنا أن يكون لنا نصيب من النجاح فلنعرفها كذلك بأننا أيضا كعرب أصدقاء كرماء وخصوم ألداء .

كوهين : مازلت مصرا على أن سياسة التألف والمسالمة أنفع لنا وأجدى على قضيتنا من سياسة العنف والإرهاب. انظر إلى مشروع اللواء اليهودى كيف نجح نجاحا باهرا فى استمالة الرأى العام فى الأمم المتحالفة نحونا ، فقد كسبنا بهذا المشروع كسبا عظيما .

شيلوك : صحيح ماتقول ؟ فهذا الجانب نراعيه أيضا ولكننا لا نستغنى قط عن سياسة الشدة والإرهاب من من ناحية أخرى . فلها أثرها الفعال فيما يخص بريطانيا وغيرها من الأمم المتحالفة . وللواء اليهودى غرض أهم وأبعد من هذا . هو الاستعانة بهذه الفرقة العسكرية فى صراعنا مع العرب فى المستقبل . فهو نواة للجيش اليهودى فى فلسطين .

كوهين : ألا تظن أنهم سيسرحونه بعد انتهاء الحرب الأوربية ؟

شيلوك : سنتشبث ببقائه لحمايتنا فى فلسطين ، ولن نجد صعوبة فى ذلك بخلاف مالو أردنا تكوين جيش

لنا لاوجود له من قبل .

بنيامين : ألا توافقونني جميعا أن واجبنا الأول هو توسيع نطاق دعايتنا فهي الوسيلة المأمونة التي لا ضرر منها على الإطلاق ، بل فيها الفائدة المحققة ؟

كوهين : لا شك أن الدعاية هي الدعامة التي قامت عليها الصهيونية .

شيلوك : إننا ماقصرنا في الإنفاق عليها ولكنها لم تأتنا بنتائج حاسمة .

كوهين : أتنكر يامسيو شيلوك ماقدمه مكتب الدعاية في إنجلترا من الخدمات ؟

شيلوك : ماذا فعل لنا أخيرا ؟

بنيامين : حسبه أنه استطاع أن يشتري أسهما جديدة في معظم صحف حزب العمال علاوة على الأسهم التي يملكها إخواننا اليهود البريطانيون . واشترى كذلك بعض الأسهم في صحف حزب الأحرار .

شيلوك : وصحف المحافظين ؟

بنيامين : أعترف بأن نجاحنا محدود في هذا السبيل لصعوبة استمالة هؤلاء إلينا لأنهم يعلمون من شؤون الشرق الأوسط مالايعلمه غيرهم ، بل إن منهم لأعداء ألداء لقضيتنا وحسبكم أن تذكروا الجنرال سوردز

ذلك العدو اللدود للصهيونية والصديق الحميم للعرب .

شياوك : فماذا فعل مكتبكم إذن ؟

بنيامين : لقد حاولنا بكل سبيل أن نستميله إلينا فلم نفلح .

جوزيف : كان علينا أن نتخلص منه حين كان هنا فى الشرق . إذًا لما ارتفع صوته هناك .

شياوك : أعرفتم إذًا أن سياسة العنف هى الحاسمة ولا تغنى عنها مكاتب الدعاية ؟

بنيامين : لا حق لك أن تلوم الدعاية يامسيو شياوك مابقيت محدودة هكذا كما هى اليوم . يجب تعزيزها وتوسيع نطاقها حالا .

كوهين : ولا سيما وقد بدأ العرب يفكرون فى إنشاء مكاتب للدعاية العربية فى إنجلترا وأمريكا .

بنيامين : نعم ، هذه المكاتب ستنافس دعايتنا فى استمالة الرأى العام فى تلك البلاد ، فالشعب البريطانى نفسه يجهل مسائل الشرق جهلا تاما مما ساعدنا فى الماضى على استغلاله لمصلحتنا ، فماذا يكون الحال لو عرف الحقائق؟ وقل مثل هذا عن الشعب الأمريكى . أفلا توافقنا يا مسيو شيلوك على وجوب المبادرة بتعزيز دعايتنا وتوسيع نطاقها ؟

شيلوك : بلى ، ولكن هذا يقتضى منا مالا كبيرا ، وأنتم تعرفون

أنه لا يرد إلينا من أمريكا - وهي المصدر الأكبر لصندوقنا - إلا خمسة ملايين دولار . فهل نصرفها كلها على الدعاية ؟

بنيامين : كلا ولكن يجب رفع الاعتماد المقرر للدعاية .

شيلوك : أعلى حساب أبواب الإنفاق الأخرى ؟

جاك : حذار أيها السادة أن يكون هذا على حساب لجنة شراء الأراضي . فإن كانت الدعاية دعامة لوطننا القومي فشراء الأراضي هو أسه المتين . وإن ذكرتم مكاتب الدعاية العربية المزمع إنشاؤها فاذكروا أن العرب يفكرون في مشروع أشد خطرا على قضيتنا من أي مشروع سابق أو لاحق .

كوهين : أتعني مشروع صندوق الأمة العربية لإنقاذ أراضي فلسطين ؟

جاك : نعم . فلعمري لئن نجح هذا المشروع فعلى أمانينا العفاء .

شيلوك : صدقت يا مسيو جاك . إن نجح هذا المشروع فسيكون ضربة قاضية علينا . ولكني أحب أن أوجه إليك وإلى زملائك سؤالين بسيطين فأجيبوني عليهما .

جاك : تفضل يا مسيو شيلوك .

شيلوك : أترى لو قام بهذا المشروع عرب فلسطين وحدهم . أكان يرجى له النجاح فيما يقصد إليه ؟

جاك : كلا ، ولكن الدول العربية ستكتتب فيه وتحذر شعوبها حذوها ، فلا مناص من نجاحه وشدة خطره .

شيلوك : وهل يستطيع عرب فلسطين أن يقوموا وحدهم بنفقات مكاتب الدعاية العربية ؟

بنيامين : بالطبع لا يستطيعون ذلك ، ولكن الدول العربية ستقوم بالإنفاق .

شيلوك : فقل لى الآن يا مسيو كوهين ، أما تزال تعتقد أن الجامعة العربية لعبة ؟

كوهين : إنك دائما صاحب الرأى الأعلى يا مسيو شيلوك .

شيلوك : أتوافقنى إذن على أن واجبنا الأول هو العمل على تغيير هذا الاتجاه الجديد فى السياسة البريطانية ؟

كوهين : نعم .

شيلوك : فاعلموا إذن أن ليس لذلك إلا سبيل واحد . أتدرون ما هو ؟

جوزيف : الإرهاب !

شيلوك : بورك فيك يا مسيو جوزيف !

جاك : (ينظر فى ساعته) الساعة الآن الثانية عشرة فلننصرف أيها السادة .

شيلوك : على أن تعودوا غدا أيها السادة فى نفس الموعد لندرس مسألة الميزانية .

جاك : أجل يجب التفكير فى وسائل أخرى لزيادتها .

بنيامين : يجب أن نكتب إلى أغنيائنا فى بلاد الشرق، أن يرفعوا مقادير إعاناتهم .

كوهين : هل جاءتك أنباء جديدة من المندوب الذى بعثته إلى اليمن ؟

شيلوك : لا ، لا ينتظر فراغه من جمع الاشتراكات والإعانات قبل شهرين .

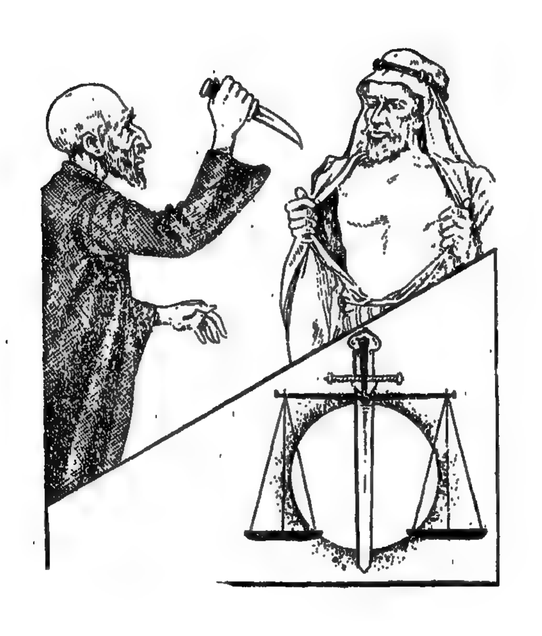
« ينهض الجميع »

شيلوك : « يخرج أوراقا من درجه ويسلمها لجوزيف » خذ هذه يا مسيو جوزيف

جوزيف : ما هذه ؟

شيلوك : المعلومات !

(ستار الختام)



المسرحية الثانية :

الحـــــــل

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ تأذّن ربك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم .

(قرآن كريم)

أشخاص المسرحية الثانية

المستشارون الدوليون الاثنا عشر (يختار من بينهم الرئيس)

الجنرال سودرز	ممثل بريطانيا	أمام المحكمة الدولية
شيلوك	ممثل اليهود الصهيونيين	» » »
كوهين	معاون شيلوك	» » »
إبراهام	ممثل اليهود اللاصهيونيين	» » »
ميخائيل جاد	ممثل عرب فلسطين	» » »
عبد الله الفياض	معاون ميخائيل جاد	» » »
الأستاذ فيصل	ممثل جامعة الدول العربية	» » »

(بالنيابه عن عمه عربى باشا الذى عجز عن الحضور لمرضه)

عربى باشا : القانونى المصرى العظيم . يحضر فى الفصل الأخير منضما إلى الهيئة الدولية .

نادية : (فى الفصل الأخير) زوجة عبد الله الفياض — مندوبة الجامعة العربية (الأستاذ فيصل سابقا .)

سفراء الدول ومندوبوها — رجال الصحافة وغيرهم

المكان : محكمة القدس

الزمان : المستقبل

الفصل الأول

المنظر : قاعة محكمة كبيرة فى فلسطين قد اجتمع فيها أعضاء (هيئة التحكيم الدولية) المؤلفة من قضاة سياسيين نزهاء ، اختيروا من مختلف دول العالم للنظر فى قضية فلسطين وحلها حلا حاسما . وقد جاءت هذه الهيئة بناء على اقتراح الدولة المنتدبة على فلسطين ، وعدد أعضائها اثنى عشر ينتخب من من بينهم الرئيس . وقد اختير لتمثيل اليهود الصهيونيين شيلوك يعاونه المحامى كوهين . ولتمثيل اللاصهيونيين إبراهام . ولتمثيل عرب فلسطين ميخائيل جاد . يعاونه عبد الله الفياض . ولتمثيل الجامعة العربية عرفى باشا . (ينوب عنه لعجزه عن الحضور بسبب مرضه فيصل ابن أخيه) ولتمثيل الدولة المنتدبة الجنرال سوردز .

يرفع الستار عن المحكمة فى إحدى جلساتها الأخيرة . وقد جلس أعضاء الهيئة فى أماكنهم من المنصة . وظهر دونهم عن اليمين أعضاء سكرتيرية

المجلس . وظهر فى الصف الأول أمامهم ممثلو الأطراف المحتشدة من العرب واليهود والإنجليز . وقد اكتظت القاعة بالناس وظهر الصحفيون فى الأماكن المعدة لهم . وسفراء الدول ومندوبوها فى شرفات القاعة .
(الوقت الساعة التاسعة صباحا) .

الرئيس : الكلمة الآن للمندوب البريطانى .

سوردز : « ينهض » ياحضرات المستشارين . اسمحوا لى اليوم أن أرد على كلمة وجهها إلينا المسيو شيلوك فى نهاية جلسة أمس . وقالها قبله زعيم صهيونى متطرف . إذ كان يدلى بشهادته فى لندن . تلك الكلمة التى يلمح فيها إلى رواية تاجر البندقية الشهيرة . وأحب قبل الرد عليها أن أرجو المسيو شيلوك أن يعيدها على مسامعنا .

شيلوك : « ينهض » إنى على استعداد أن أعيدها ألف مرة ومرة . لقد وعدتمونا برطل من اللحم فأعطونا ذلك الرطل !

سوردز : أيها السادة . لقد فكرت البارحة فى هذه الكلمة فعجبت كيف يحتج بها رجل يهودى فى عصرنا هذا كما احتج بها سلفه من قبله بقرون . وعجبت كذلك أن يتفق الشخصان فى اسم واحد . فياليت شعرى

هل كان شاعرنا وليم شكسبير ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ؟

شيلوك : ماذا تعنى ياجنرال سوردز ؟

سوردز : أعنى أن هذه الكلمة حجة على شيلوك الجديد لا له ، كما كانت حجة على سلفه من قبل لا له .

شيلوك : إنما هو مثل ضربته للمطالبة بحقنا الثابت لا أكثر ولا أقل .

سوردز : وأنا إنما أعنى هذا المثل أيضا . فقد ألححنا عليكم أن تصالحوا العرب فهو خير لكم . فأبيتم إلا أن تتمسكوا بصك بلفور . فياليت شعرى هل نجد فى شكسبير الحكم العدل الذى يحل لنا القضية التى أمامنا فى هذه المحكمة . على نحو ماحلت به أختها فى محكمة البندقية ؟

شيلوك : لسنا من البلاهة والغفلة بحيث نرضى أن نحتكم فى قضيتنا الكبرى إلى خيالات شاعر متهوس . فكلنا يعلم أن الشخصية التى تدعوها سلفنا إن هى إلا شخصية خيالية لا وجود لها فى الحقيقة . وإنما هى من تصورات ذلكم المسيحى المتعصب المتحامل على شعب الله المختار .

سوردز : ولكنها بالرغم مما تزعم صورة صحيحة للرجل

اليهودى الشحيح الجشع الحاقد على الإنسانية .

شيلوك : قولوا عنا ماشئتم فلن ننسى قط اضطهاد الإنسانية لنا واحتقارها إيانا فى مختلف العصور .

سوردز : لعلكم أستوجبتم ذلك منها بحرصكم وجشعكم .

شيلوك : كلا ، بل تحسدوننا على ماآتانا الله من الغنى والثروة بذكائنا ونشاطنا .

سوردز : هذا اعتراف منك بأن شيلوك البندقية صورة صحيحة للرجل اليهودى .

شيلوك : هبنى أعترف بهذا جدلا فماذا يعاب على ذلك الرجل ؟ ألم يتصرف تصرفا قانونيا ؟

سوردز : يعاب عليه أنه كتب ذلك الصك الجائر باقتطاع رطل من لحم إنسان .

شيلوك : « يتنهد » إنسان ! من ذلك الإنسان ؟ أليس مسيحيا متعصبا يبصق فى وجهه ويدعوه كلبا ويقف له بالمرصاد ليحبط أعماله التجارية ؟ .

سوردز : إنما كان يفعل ذلك لينقذ الناس من جشعه . كان أنطونيو يقرض المحتاجين من أهل البندقية لئلا يقعوا فى مخالب ذلك المرابى الجشع .

شيلوك : هذه وجهة نظر أنطونيو . ولكن ماذنب شيلوك إذ كره ذلك التاجر المسيحى المتعصب لقومه ؟

ألم يلحق به أضرارا جسيمة ؟ ألم يؤلب الناس عليه ليكرهوه مع احتياجهم إليه ؟ ألم يحرمه بصنيعه هذا أرباحا تجارية طائلة ؟

سوردز : تذكر أن ذلك الصك الذى كتبه على أنطونيو كان منتهى الظلم والعدوان .

شيلوك : هبه كما تقول . فقد رضى به أنطونيو وهو صاحب الشأن .

سوردز : إنما أكرهته الظروف على قبوله .

شيلوك : فهمت ماذا تعنون . لعلك تريد أن تقول إن الظروف هى التى حملتكم على إعطاء وعد بلفور ؟

سوردز : نعم . ظروف الدفاع عن حريتنا وحرية الشعوب العالمية فى الحرب الكبرى الأولى .

شيلوك : هب هذا الفرض صحيحا . أفليس لشيلوك البندقية وبالتالى لنا نحن أن نستغل هذه الظروف ؟

سوردز : ليس إلى هذا الحد . إن أنطونيو مارضى بالصك إلا على سبيل التأكيد بأنه سيرد له حقه . وكذلك لم نعطكم وعد بلفور إلا لنؤكد لكم بأن ستعيش جالية من اليهود فى فلسطين آمنة مطمئنة على حقوقها المدنية والثقافية مع العرب .

ميخائيل : « ينهض معترضا » اسمحو لى أن أعترض على هذا

التشبيه فهو غير صحيح ، لأن أنطونيو كان يملك ما أعطى وليس كذلك بلفور .

سوردز : أعرف وجه اعتراضك وأقر بصحته . وإنما أضرب هذا المثل جدلا فقط على فرض أن بلفور كان يملك ما أعطى .

ميخائيل : أشكرك « يجلس » .

شيلوك : « لسوردز » ماهذا ؟ أتريد أن تقول أيضا إن وعد بلفور كان جورا ؟

سوردز : نعم ، كان جورا أكرهتنا الظروف عليه .

شيلوك : فكيف أقرت عصبة الأمم وهي هيئة العدل الدولية هذا الجور ؟

سوردز : كما أقرت محكمة البندقية العادلة ذلك الصك الجائر من الوجهة القانونية الشكلية .

شيلوك : وهل القانون إلا شكله ؟

الرئيس : كلا يا مسيو شيلوك . إن للقانون روحه التي تحقق العدالة .

شيلوك : أنى يستطاع تحديد هذه الروح يا سعادة الرئيس ؟

الرئيس : يستطيع القضاء البصير العادل تحديدها يا مسيو شيلوك .

كوهين : يبدو لى أيها السادة أن الكلام فى هذا خارج الموضوع ، فإن محكمة البندقية لم تأخذ بالروح وإنما أخذت بالشكل .

سوردز : لقد حاولت أن تأخذ بالروح فأبى شيلوك إلا التمسك بحرفية الشكل .

كوهين : فهل أجيب إلى طلبه أم لا ؟ « يجلس كوهين »

سوردز : نعم أجيب إلى طلبه .

شيلوك : فعلام إذن نتحدث عن روح القانون ؟

سوردز : عليك يامسيو شيلوك أن تجيبنى هل حققت محكمة البندقية ما ابتغاه شيلوك حين رفض روح القانون ؟

شيلوك : « يصمت قليلا » . . .

سوردز : تذكر رواية تاجر البندقية جيدا .

شيلوك : إننى أتذكرها جيدا ياجنرال سوردز . فنحن اليهود لاننسى قط أولئك الشعراء والكتاب الذين أساءوا إلى شعبنا بقاذورات أقلامهم . لقد تحملناها صابرين ولكنا لا ننساهم .

سوردز : أتذكر مصير شيلوك حين رفض الصلح وتمسك بالعدالة ؟

شيلوك : إن موقفنا وموقف شيلوك مختلفان . وقد قلت لكم إن شاعركم الكبير لم يصور الرجل اليهودى تصويرا صحيحا .

سوردز : كيف ؟

شيلوك : إن اليهودى الصميم لا يخدع من حقه . كما خدع شيلوك الذى اخترعه خيال شكسبير المريض .

سوردز : أخشى أن تخدعوا أنتم أيضاً كما خدع سلفكم .

شيلوك : هذا مستحيل .

سوردز : ما رأيك إن أثبتنا لك أن الموقفين لايختلفان فى الصميم ؟

شيلوك : كيف تثبت ذلك ؟

سوردز : إن شيلوك تمسك باقتطاع رطل اللحم من جسم أنطونيو . فلما قيل له خذ رطلك من اللحم بشرط أن لا تريق قطرة من الدم عجز وأبلس وأدرك خطأه . وتمنى لو قبل الصلح ولكن بعد فوات الأوان . وإنى لأخشى أن يكون مصيركم كمصير شيلوك : تريدون اقتطاع فلسطين وهى فى مكان القلب من جسم الوطن العربى . وتصرون على ذلك جاهلين أو متجاهلين أن ذلك يستحيل بدون أن تريقوا قطرات من الدماء .

شيلوك : هذا مايؤكد قولى إن شيلوك هذا لم يكن يهوديا صحيحا . وإلا لما عجز وأبلس ولاستطاع أن يحتج على قضاته الجائرين المتحاملين عليه ليهوديته .

سوردز : بم كان يحتج عليهم ؟

شيلوك : بأنه مادام قد كتب له فى الصك بحقه فى اقتطاع رطل من لحم ذلك المسيحى فى أى جزء يختاره من جسمه . فقد ثبت له الحق بمقتضى هذا الصك فى امتلاك الجسم كله والتصرف فيه كما يشاء . لأن حياته قد أضحت حينئذ تحت رحمته .

سوردز : عجيب هذا المنطق .

شيلوك : قد يكون عجيبا ولكنه صحيح .

سوردز : ولكن شيلوك لم يقل هذا ولم يحتج به .

شيلوك : ذلك لأن شاعركم الكبير قد أخطأ فى تصويره كما قلت لكم .

سوردز : حسنا . لو كنت فى مكان شيلوك هذا . هل تعتقد أنك كنت تستطيع أن تقنع قضاة البندقية بوجهة نظرك هذه ؟ .

شيلوك : نعم إذا التزموا هم الإنصاف والعدل .

سوردز : فما كنت تصنع بأنطونيو ؟ أكنت تقتله ؟

شيلوك : كلا . إن القوانين السماوية تحرم قتل النفس إلا بالحق . ونحن معشر اليهود أول من يرعى القوانين السماوية التى جاء بها أنبياؤنا ورسلنا .

« يتضاحك الجميع » .

شيلوك : « مغضبا » عجباً ماذا يضحك هؤلاء ؟

الرئيس : لا شئ يامسيو شيلوك لا شئ . « يشير للحاضرين بالتزام الهدوء » .

سوردز : إذن فماذا كنت تصنع بأنطونيو ؟

شيلوك : كنت أتصرف فيه كما أشاء . أبيعه إن شئت أو أستخدمه فى أعمالى إن شئت ، وفى هذا الحال أطعمه وأكسوه وأعامله بالحسنى وأعنى به كما أعنى بكل ما هو فى ملكى .

سوردز : أحسنت يامسيو شيلوك . قد فهمنا ماذا كنت تصنع فى قضية البندقية . فقل لنا كيف تعالج قضية فلسطين التى بين أيدينا ؟

شيلوك : كنت أظن أنك أدركت ما أعنى .

سوردز : أدركت شيئا منه وأستزيدك توضيحا له ، ولعل المجلس يوافقنى على هذا الالتماس .

شيلوك : قضيتنا هذه واضحة وعلاجها بسيط . إننا لن نأخذ رطل اللحم فحسب . فلو أردنا ذلك لما استطعنا اقتطاع الرطل إلا باراقة الدم ولا حق لنا فى هذا ، بل لا مصلحة لنا فيه .

سوردز : هل تعنى أنكم ستأخذون الوطن العربى كله لتقيموا فيه الدولة اليهودية ؟

شيلوك : ستقوم الدولة اليهودية فى فلسطين ، ولكننا لن نقتطعها من الوطن العربى لأن هذا الوطن سيكون المجال الحيوى لها ولنشاطها .

سوردز : ولكن ليس فى وعد بلفور ماينص على هذا الذى تزعم .

شيلوك : إن لم يشتمل عليه نصا فقد اشتمل عليه ضمنا . وليس كل يهود العالم من صنع شكسبير فتخدعوهم عن حقهم الثابت . وليس هؤلاء القضاة النزهاء الموقرون من صنع خياله المريض فيتحاملوا علينا معشر اليهود .

سوردز : حسبى هذا الآن فلأدع الكلام لغيرى فى المجلس

الرئيس : اطمئن يامسيو شيلوك . فأعاب ظننا أن الله هو الذى خلقنا وليس شكسبير !

« ضحـــك »

عبدالله الفياض : « ينهض » قد رأيتم ياحضرات المستشارين ماذا يبيته اليهود للعرب جميعا من وراء وطنهم القومى فى فلسطين : إنهم لا يريدون فلسطين وحدها ولكنهم يريدون استعمار الشرق العربى كله وما فلسطين إلا القلعة الحصينة لهذا الاستعمار . وقد كان اليهود يجمجمون بهذه الحقيقة حتى أفصح عنها مندوبهم هذا فظهرت سافرة !

شياوك : أجل أيها السادة قد آن أوان التصريح بمطالبنا كلها ولا داعي للدوازبة بعد اليوم . إنا نريد الحل الكامل ولن نقنع بأنصاف الحلول .

عبد الله : لتشهد الجامعة العربية . وليشهد العرب جميعا فى المشرق والمغرب . وليشهد العالم أجمع أننا عرب فلسطين لم نقم بجهادنا الطويل لحماية وطننا الصغير من الخطر اليهودى إلا لأنه جزء لا يتجزأ من الوطن العربى الكبير . فاذا هان على العرب أن يفقدوا هذا الجزء من وطنهم فمسئولية ذلك عليهم وحسبنا أننا قد قمنا بواجبنا نحو أنفسنا ونحوهم .

الرئيس : هون عليك أيها الشاب العربى فلم تصل المسألة بعد إلى هذا الحد. وما أظن اليهود كلهم يوافقون المسيو شيلوك على رأيه الخطير .

شياوك : كلا ياسعادة الرئيس . إن اليهود جميعا يرون هذا الرأى وعندى تفويض تام منهم قد أودعته عند كاتب الجلسة تحت رقم ٤ دوسيه .

إبراهام : «ينهض» كلا أيها السادة أنه كاذب فيما يقول . فعقلاء اليهود لا يوافقونه على دعواه بل يتبرأون من الصهيونية ويرونها خطرا على مستقبل الشعب اليهودى .

شياوك : إن هؤلاء شرذمة قليلون لا يؤبه لرأيهم وإن سائر

اليهود معنا حتى يهود اليمن وبين أيديكم تفويض الجماعات اليهودية فى العالم كله لى .

إبراهام : إذن فمن حقنا أنا والجماعة التى أمثلها من اليهود أن نستثنى من القرارات التى يصدرها المجلس على اليهود .

شيلوك : كأنكم تريدون أن تشاركونا فى المغنم ولا تشاركونا فى المغرم .

إبراهام : كلا لا نريد أن نشارككم لا فى المغنم ولا فى المغرم .

فيصل : « ينهض » أيها السادة أرى من الضرورى فى هذا الحال أن يعمل إحصاء دقيق لهؤلاء الذين هم على رأى المسيو إبراهام حتى لا يختلط الفريقان .

إبراهام : قد عمل الإحصاء الذى يقترحه الأستاذ فيصل وهو مودع عند كاتب الجلسة تحت رقم ١٢ دوسيه ومعه وثيقة التفويض التام لى منهم .

فيصل : هذا جميل يا مسيو إبراهام « يجلس »

شيلوك : « لإبراهام » قد اخترتم أن تحل عليكم لعنة أبينا ابراهيم فنحن برآء منكم .

إبراهام : إن لعنة أبينا ابراهيم لن تحل إلا على رءوس الصهيونيين الذين سيصبون بجهلهم وحمقهم لعنة العالم كله على شعب إسرائيل .

شيلوك : أسكت يا كلب اليهود !

إبراهام : اخرس يا خنزير اليهود !

الرئيس : كفا عن هذه المهاترة فما جئنا لسماع مثلها . الكلام الآن لمندوب العرب .

« يجلس شيلوك وإبراهام » .

ميخائيل : « ينهض » يا حضرات المستشارين . إن من عجائب الاتفاق — كما أشار إلى ذلك المندوب البريطانى المحترم — أن يكون خصمى هذا سميا لشيلوك البندقى الذى صوره الشاعر الأكبر شكسبير فى روايته الخالدة ، وأن يكون مطلب هذا كمطلب ذاك . وقصارى الفرق بينهما أن مطلب شيلوك القديم يتعلق بحياة فرد كريم من تجار البندقية . أما شيلوك الحديد فيتعلق مطلبه بحياة شعب كريم يربو عدد أفراده على سبعين مليونا هم أحفاد أولئك الذين بنوا الحضارات العظيمة الأولى فى الشرق ، يوم كانت الإنسانيـة تتخبط فى دياجير الجهالة على صعيد البربرية ، فقادوا الإنسانية — وما يزال فى وسعهم أن يقودوها — إلى الخير والحق والجمال ، بما امتازوا به من سلامة الفطرة والشهامة والكرم والإيثار .

أيها السـادة ، قد سمعتم خصمى هذا يخطىء

شكسبير فى تصويره الرجل اليهودى مستدلا على ذلك بأنه جعله مُخدَعاً . واليهودى فى زعمه لا يُخدع : ولعمرى ما أخطأ شكسبير وهو أعظم شاعر خبر سرائر النفس البشرية . ولكنه قصر فى تصوير ما امتاز به اليهودى من مكر وخبث وحقد على الإنسانية وإقفار من الرحمة واستغلال لفريسته إلى أبعد الحدود : وعذر شكسبير فى ذلك أنه لم ير هذا الطراز الصهيونى الجديد . يطالب شيلوك هذا برطل اللحم كما طالب به قبله أحد زعماء الصهيونية المتطرفين حين دعى للشهادة فى لندن سنة ١٩٣٧ .

ولا عجب فاليهود لا يرون بأسا فى المطالبة برطل لحم من جسم إنسان حى لأن القيم الأخلاقية العليا لا تخضع عندهم إلا للمادة . ولما هو أحط من المادة وأعنى الانتقام الدنىء من البشر . إنهم كانوا ولا يزالون — حتى يرث الله الأرض ومن عليها — أضعف وأجبن من أن يحملوا السلاح ويرغموا الناس به على مايريدون . فهم لذلك يعتمدون على ذهبهم الذى جمعوه من امتصاص دماء الشعوب ليستأجروا به حرابا تحميهم وتنفذ لهم رغباتهم . أو يتصيدون بذلك الذهب مادة من مواد القانون الذى شرعه

الناس لإقامة العدل بينهم ولحماية المصالح والنفوس .
حتى إذا ماسنحت لهؤلاء فرصة الحصول على
التزام من الالتزامات تمسكوا به تمسك الغريق
بالطوف . لا ليحموا مصالحهم به ويقفوا عند ذلك .
بل ليتعدوا الحدود التي شرع القانون للوقوف
عندها . فلا يبالوا بعد ذلك أن يقتطعوا رطل
لحم من جسم إنسان حي لاذنب له إلا أنه ليس
من شعب الله المختار .

أيها السادة . إن شكسبير لم يشهد هذا الطراز
الصهيوني الحديد . ولذلك جعل بين شيلوك وأنطونيو
خصومة قديمة . فقد كان أنطونيو لا يخبط أعمال
شيلوك التجارية ويحول باقراضه للمحتاجين من أهل
البندقية بينه وبين مكاسبه من الربا فحسب . بل
كان أيضا يهينه ويشتمه على الملأ ويبصق في وجهه .
فجعل لشيلوك بذلك شيئا من العذر في حفيظته
الشديدة على أنطونيو . أما نحن العرب فإنا لم نحل
بين اليهود وبين مكاسبهم التجارية والربوية . ولم
نضطهدهم ولم نبصق في وجوههم . بل آويناهم ؛
حين كانت الدنيا كلها تضطهدهم وتطاردهم .
وفتحنا لهم صدور بلادنا ولم نستأثر بالمصالح

الكبيرة دونهم . فكان منهم فى دولاتنا المتعاقبة الوزراء وأصحاب المناصب الرفيعة . والتاريخ على ما أقول شهيد . حتى جاءت الصهيونية فلم تتورع أن تطالب برطل اللحم من جسم هذا الشعب الكريم . وكل حجتها أنها أخذت صكا يخولها هذا الحق . ويا ليتها أخذت هذا الصك منا فى ساعة من ساعات اضطرارنا لإعطائه . إذا لكان الأمر أهون . ولكنها أخذت هذا الصك من طرف ثالث أجنبى عنا فرض انتدابه علينا بالقوة ولم نعترف به قط فى يوم من الأيام . وهذا الطرف الثالث يعترف بأن الظروف قد أكرهته على إعطاء هذا الصك فيما لا يملك . حين قام ليواجه الطغيان فى الحرب الكبرى الأولى ويدافع عن حريته وحرية الشعوب بكل سبيل ممكن . حتى ارتكب بعض ما لا ينبغى ارتكابه فى سبيل الوصول إلى غرض جليل يهون فيه كل شىء .

أيها السادة . إن ألمانيا كانت عند ذاك على وشك أن تعرض على الصهيونيين مثل هذا الصك لتجعلهم فى صفها وتضمن تأييدهم ومناصرتهم لها بما لهم من النفوذ الاقتصادى والسياسى فى العالم ، لولا

أن الطرف الثالث سبقها إلى ذلك .

شياوك : « ينهض مقاطعا » هذا كذب صريح على الصهيونيين أراد به خصمي هذا تشويه سمعتنا السياسية .

ميخائيل : إن يكن هذا كذبا . فعلى غيرى يقع وزر هذا الكذب إن يكن هذا كذبا ، فالكاذب هو زعيم الصهيونيين الأكبر الدكتور وايزمان الذى صرح بهذه الحقيقة فى شهادته التى قدمها سنة ١٩٣٧ وفى استطاعة المجلس أن يراجعها ليتأكد من صحة ما أقول .

الرئيس : نعم هذا صحيح . استمر ياأستاذ ميخائيل .

« يجلس شياوك مغضبا » .

ميخائيل : فالصهيونيون أيها السادة كانوا يساومون الدول بنفوذهم المالى والسياسى أيتها تعطيهم الصك باقتطاع رطل اللحم من جسم الشعب العربى . وعذر الدولة التى قبلت هذه المساومة الدنيئة أنها كانت تحارب حرب الحياة والموت من أجل حريتها وحرية الشعوب العالمية ، وأنها لو رفضت هذه الصفقة الشائنة لسبقها أعداؤها إليها ، فبيدى لا بيد عمرو :

الرئيس : ماذا تعنى بهذه الجملة الأخيرة ؟

ميخائيل : « يبتسم » هذا ياسعادة الرئيس مثل عربى قديم

يضرب لمن يحيط به عدوه فتدفعه الأنفة إلى أن يقتل نفسه بيده قبل أن يقع فى يد عدوه فيقتله أو يهينه .

الرئيس : شكرا . استمر فى حديثك .

ميخائيل : ياحضرات المستشارين . هذه هى الظروف التى أعطى فيها بلفور وعده المشئوم للصهيونيين . فما لبث الصهيونيون أن استغلوا هذا الصك إلى أبعد حدود الاستغلال . فما اكتفوا بما تضمنه الصك من إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين حتى تجاوزوه — كعادة اليهود دائما — إلى المطالبة بجعل فلسطين كلها دولة يهودية وطرد أهلها العرب من مسلمين ومسيحيين منها . والاستيلاء على المسجد الأقصى وغيره من المقدسات الإسلامية والمسيحية . لابل هم ينوون أبعد من هذا كله ، كما نطق بذلك اليوم لسان مندوبهم . هذا إذ صرح ـ وأنتم شهود ـ بأنهم لا يريدون اقتطاع رطل اللحم بل الاستيلاء على الجسم كله . وقد استطاعوا بمالهم من النفوذ المالى والسياسى أن يتحكموا فى صك الانتداب فيجعلوه عبارة عن وضع البلاد فى أحوال اقتصادية وسياسية ـ من شأنها أن تساعد على قيام الوطن القومى لليهود فى فلسطين ـ أو بالحرى ـ

على قيام أكبر مؤامرة سياسية فى التاريخ للقضاء على أمة بريئة لتحل محلها أمة أخرى تجمع من حثالة الشعوب ونفايات الممالك .

شيلوك : « ينهض » أحتج على هذه الشتيمة المقذعة لليهود .

ميخائيل : قد ورد هذا الوصف فى شهادة الدكتور وايزمان التى أشرت إليها آنفا . فإن اعتبرتم هذا الوصف شتيمة مقذعة لليهود فلوموا زعيمكم فهو الذى شتمكم .

« نجلس شيلوك كاظما غيظه »

ميخائيل : أيها السادة . لم يطق الشعب الفلسطينى صبرا على تلك التدابير المنظمة للقضاء عليه . فقام بثورته الكبرى سنة ١٩٣٦ وكل سلاحه إيمانه وعدالة قضيته . لا ضد الطائرات والدبابات وحدها التى تمسح قراه مسحا لتقوم على أنقاضها مستعمرات يهودية جديدة . بل ضد سلاح أخطر منها هو سيل من الذهب الشيلوكى تجود به يد ما عرف التاريخ قديمه وحديثه أنها جادت لبنى الإنسان بخير قط . وتفيض به أصابع خمس لو شاء المكر والخبث والأنانية والجشع والحقد أن تتجسد فى صور محسوسة لما اختارت غير هذه الأصابع الخمس !

ثم غام الأفق السياسى فى أوربا بنذر انبعاث الطغيان الألمانى من جديد فى صورته النازية الضارية. واحتاجت الدولة المنتدبة إلى استقرار الأمن فى بلاد الشرق العربى لحماية ظهرها فى هذا الصراع العالمى الجبار الذى لم يشهد التاريخ أعظم منه: فعمدت إلى أصدقائها من ملوك العرب وأمرائهم وزعمائهم فتوسطوا لدى المجاهدين فى فلسطين ليكفوا عن الثورة. ووعدوهم بأن الدولة المنتدبة ستنظر فى حل قضيتهم وإنصافهم. فعز على الأريحية العربية فى فلسطين أن ترفض شفاعة ملوكها وزعمائها الأكرمين. كما عز على الأريحية العربية فى غيرها أن ترفض هذا التوسط الكريم لدولة يطمع العرب دائما فى صداقتها الكريمة الحرة. هكذا وقفت الثورة وجاءت لجنة بيل الملكية للتحقيق. ثم تلاها مؤتمر لندن حيث دعا العرب واليهود للإدلاء بشهاداتهم. وأختصر الحديث فيما تعرفونه جميعا وأكتفى بذكر النتيجة ألا وهى إصدار الدولة المنتدبة الكتاب الأبيض سنة ١٩٤٠ كقرار نهائى لحل هذه القضية. وقد رفض الغرب الاعتراف بهذا الحل لأنهم يرونه مجحفا بحقوقهم ومخيبا لآمالهم.

ولكنهم — وقد رأوا حليفتهم العظمى فى أحرج موقف مرت به فى تاريخها كله - كانوا أكرم من أن يشغبوا عليها وهى مشغولة بما هى فيه من صراع الحياة والموت . فالتزموا السكينة والهدوء —لا بل ساعدوها وأحلافها بكل مافى وسعهم ليضمنوا لها ولأحلافها النصر . وقد فعلوا هذا لأنهم أولا لا يطيقون أن يروا الدكتاتورية النازية تنتصر على الديمقراطية التى تسرى روحها فى دمائهم من أقدم عهود الجاهلية . والتى نادى بها قرآنهم الخالد منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا . ولأنهم ثانيا تأبى عليهم شهامتهم أن يستغلوا ذلك الظرف الحرج الذى وقعت فيه حليفتهم العظمى ليطالبوها بحقوقهم قبلها بله أن يساعدوا أعداءها عليها .

لقد نسى العرب ما بينهم وبينها من خصومة ، فساعدوها بكل مايملكون من مال وجهد وإخلاص حتى تم لها ولأحلافها النصر . هذا أيها السادة مافعل العرب . وهم يطمعون أن تقابل حليفتهم العظمى شهامتهم بشهامة مثلها ، فإنه لايقدر الكريم إلا الكريم . هذا ما فعل العرب أيها السادة فماذا فعل اليهود فى ذلكم العهد العصيب ؟ .

أما استغلالهم للموقف فقد أوحى إليهم بتنظيم الجماعات الإرهابية فى فلسطين . وتدبير الاغتيالات السياسية لزعماء الدولة المنتدبة وضباطها . وما تلك المحاولة الغاشلة لاغتيال حاكم فلسطين العام إلا مثال صغير لإجرامهم ؛ واسألوا وادى النيل أى يد خضبت ثراه بدماء ذلك الشيخ الوقور اللورد موين ؟ وأما مكرهم فقد ألهمهم إنشاء اللواء اليهودى لمساعدة جهود الحلفاء الحربية فى ظاهر الأمر . أما غرضهم الحقيقى فما أظن أحدا فى المجلس بحاجة إلى أن أشرحه له . وأما خبثهم فقد سول لهم أن يستغلوا نفوذهم السياسى والاقتصادى فى دولة من الدول الحليفة الكبرى . فيجعلوا تأييدهم لأحد حزبيها المتنافسين على الحكم فى فترة الانتخابات محل مساومة دنيئة ليفوز به أى الحزبين يساعدهم على اقتطاع رطل اللحم . وما أشك أن انصياعها لهذه المساومة لم يكن راجعا إلى فساد الذمة عندها وخراب الضمير الإنسانى . وإنما كان راجعا إلى ضغط الظروف السياسية من جهة . وإلى جهلها من جهة أخرى بحقيقة الأمر فى قضية فلسطين هذه التى يعدها العرب قضيتهم الأولى بحق . والتى هى فى

الواقع من القضايا الإنسانية الكبرى .

ياحضرات المستشارين . أما وقد وصلت إلى هذه النقطة من الحديث فلا أستطيع أن أبرىء قومى العرب من التقصير فى الدعاية الواجبة لقضيتهم الكبرى . وتنوير أذهان الشعوب بحقيقة موقفهم العادل وحقهم الثابت . وتصوير ما يتهددهم من الخطر الصهيونى الساحق الماحق . فتركوا المجال بذلك لليهود ليداسوا على العالم . ويتخذوا من اضطهاد النازية لهم قميص عثمان يستدرون به دموع العالم — الذى يجهل حقيقة الأمر — على ماحل بهم من ويلات النازية . ولكى يجأر هذا العالم بوجوب فتح أبواب فلسطين الشهيدة لشذاذهم وأفاقيهم ليجعلوا منها حقلا لتجاربهم الإجرامية المنكرة ، ولينفذوا — بأسرع ما يمكنهم — جريمتهم الكبرى من إبادة أهلها المسيحيين والمسلمين من العرب .

الرئيس : ما معنى قميص عثمان ؟ أهذا مثل عربى آخر ؟

ميخائيل : نعم يا سعادة الرئيس . كان عثمان بن عفان الخليفة الثالث من خلفاء المسلمين قد قتل فى ثورة أهلية ، فتنازع الحكم بعده على ومعاوية ، وقد استغل معاوية الظرف الذى وقعت فيه الحادثة فأشاع فى الشام

اتهام على بأن له يدا في قتل الخليفة الشهيد ، واتفق أن وقع في يده القميص الذى طعن فيه عثمان فأخذ ينشره على عيون الناس في المنبر ، ليحملهم على نصرته في المطالبة بدمه من على وحزبه . فذهب ذلك مثلا .

الرئيس : هـــذا إذن كقميص يوليوس قيصر الذى استغله أنطونيو ليحرض الناس على بروتس وجماعته ؟

ميخائيل : نعم يا سعادة الرئيس مثله تماما .

الرئيس : شكرا . استمر في حديثك .

ميخائيل : أجل أيها السادة قد فعل اليهود كل هذا وتناسوا أن هؤلاء العرب الذين يريد اليهود بهم هذه الجريمة الكبرى ، كانت عيونهم تندى بالدمع عطفا عليهم يوم جمدت عيون الدنيا كلها ، وتحجرت قلوبها قسوة عليهم ، وأكلتها أيديها شهوة لضربهم وإيجاعهم . وما أدرى اليوم - وقد شهدنا من لؤم اليهود ما شهدنا - أكانت الدنيا مخطئة يومئذ أم كان العرب هم المخطئين . بيد أنى واثق على كل حال أن العرب ليسوا على ما أسدوا من خير قط بنادمين يا حضرات المستشـــارين . ها نحن أولاء اليوم وقد احتفلنا بيوم النصر ، وانهار تحت ضربات حلفائنا البواسل ذلك البناء المشمخر من الطغيان النازى ، وقبر

معه اضطهادهم لليهود فأمكنهم أن يعودوا إلى تلك البلاد الواسعة الغنية التى كانوا يعيشون فيها من قبل . فليت شعرى ـ بعد قميص عثمان ـ أى قميص مخضب بالدماء يلوحون به فى عيون العالم ليستدروا به عطفه على القتلة وسفكة الدماء وجالبى الشرور والآثام الخلقية والاجتماعية والسياسية ، ليرتكبوها فى هذه الأرض الطاهرة التى باركها الله وقدسها موسى والمسيح ومحمد ، والتى تهفو إليها قلوب الملايين من المسلمين والمسيحيين ؟ .

« تحاسس ميخائيل »

كوهين : « ينهض » يا حضرات المستشارين . إن حق اليهود فى فلسطين ثابت بالكتاب المقدس . وقد قامت فيها مملكة إسرائيل العظيمة . وظهر فيها أنبياء بنى إسرائيل . ونحن ورثة داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء والرسل .

ميخائيل : « ينهض » إننا معشر المسيحيين لا نعترف بأن اليهود حملة الكتاب المقدس . فقد تبرأ الكتاب المقدس منهم ومن أعمالهم ، ولعنتهم أناجيل العهد الجديد بما أجلبوا على سيدنا المسيح وقاموا من دعوته ، وبما رموا سيدتنا مريم العذراء من الفرية والبهتان العظيم .

ولا نقرأنهم ورثة أنبياء بنى إسرائيل وقد خالفوا تعاليمهم وعادوا سيدنا المسيح الذى تؤمن أنه وارثهم الوحيد دونهم . وكذلك يعتقد إخواننا المسلمون أن المسيح عيسى ابن مريم هو وارث أولئك الرسل ؛ وأن محمدا بعد ذلك هو وارث الأنبياء جميعا . فقد اتفق المسلمون والمسيحيون على حرمان اليهود من تلك الوراثة النبوية .

كوهين : ولكن أحدا لا يستطيع أن ينكر قيام الدولة الإسرائيلية فى فلسطين ؛ فحقنا فى ملكها ثابت بهذه الحجة التاريخية .

ميخائيل : لو صح المنطق الذى تزعمون لكان لإيطاليا أن تطالب بجزائر بريطانيا . لأن الدولة الرومانية كانت تملكها فى عهد من عهود التاريخ وهذا ضرب من الهذيان لا يقره عقل ولا منطق . وليس اليهود فى ادعائهم حق وراثة الدولة الإسرائيلية بأحق من إيطاليا لو ادعت وراثة الدولة الرومانية . فإن الايطاليين ما برحوا منذ القدم مقيمين فى البلاد التى تقوم فيها عاصمة الدولة الرومانية . وعاصمتهم اليوم هى عاصمة الرومان أمس . وليس الحال كذلك بالنسبة لليهود الذين تفرقوا شذر مذر فى تخوم الأرض ، ولم

تقم لهم دولة جامعة طوال هذه القرون التى تقررت فيها مصاير الشعوب والبلاد . فقد سقط بهذا حقهم التاريخى المزعوم . فبأى حق بعده يطالبون بفلسطين التى يملكها أصحابها العرب قبل قيام الدولة الإسرائيلية وبعد اندثارها إلى اليوم ؟

ولو صح هذا المنطق الذى يزعمه اليهود لكان لنا معشر العرب أن نطالب اليوم بأسبانيا التى قامت فيها دولة عربية أعظم من الدولة الإسرائيلية فى فلسطين وأطول منها عمرا وأقرب منها عهدا . فهل فى الدنيا اليوم من يقرنا على هذا ؟

كوهين : إن العرب لهم أوطانهم التى يقيمون فيها . أما اليهود فليس لهم وطن . وهذا ظلم كبير ووضع شاذ لا مثيل له فى الشعوب .

ميخائيل : ليس للعرب إلا وطن واحد هو الوطن العربى الكبير ، وفلسطين جزء لا يتجزأ منه . أما أن اليهود ليس لهم وطن فهذا صحيح . والمسألة لا تعدو أحد أمرين : إما أن يكونوا هم الذين اختاروا هذا الوضع التاريخى الشاذ إذ اتخذوا دينهم وطنا لهم أينما حلوا من مشارق الأرض ومغاربها . وإما أن يكون ذلك من صنع التاريخ العام . وأيا ما كان الأمر فلا ذنب للعرب فى

ذلك حتى يكلفوا هم بالنزول عن جـــزء مهم من وطنهم لتصحيح هذا الوضع الشاذ . ويقبلوا أن تقوم فى قلب بلادهم دولة أجنبية عنهم لا تمت إليهم بصلة من صلات الدين والقربى واللغة والسلوك الأخلاقى .

كوهين : أيها السادة . إن بقاء اليهود على هذا الوضع المحزن لمأساة إنسانية . ومن العار على بنى الإنسان ولا سيما فى هذا العصر الذى استيقظ فيه الضمير العالمى أن تستمر هذه المأساة ! إن اليهود جنس من البشر لا تختلف عنهم صورة . ولا يقل عنهم ذكاء ومواهب . ولا يتخلف عنهم فى ركاب الثقافة والحضارة . ولا ينقص عنهم شعورا بحقه فى الحياة . ولكن اليهودى ما برح منذ القدم ينظر إليه بعين الريبة والحذر فى كل بلد يحل به كأنه من طينة أخرى غير طينة البشر . فــإذا تمكن بالرغم من ذلك من النجاح فى معترك الحياة بجده وذكائه عــد ذلك ذنبا عليه فكرهوه على الأقل إن لم يضطهدوه . وهكذا نشأت هذه المشكلة الإنسانية مشكلة اضطهاد اليهود التى بلغت ذروتها تحت أعلام النازية . ولقد فكرنا طويلا فى أسباب هذه الظاهرة الغريبة رغبة

فى علاجها وتسويتها فاهتدينا أخيرا إلى أن أسبابها ترجع إلى شعور اليهودى بالغربة والاستيحاش فى كل بلد يحل به . فينشأ عن ذلك إحساس حاد بعصبيته الجنسية وتشبث بالغ بها جريا على سنة تنازع البقاء مما أقام حاجزا بينه وبين الأجناس الأخرى من البشر . وقد كان للاضطهاد الذى يقع دائما عليه أثره فى تأجيج هذه العصبية الجنسية فى نفسه حتى أصبحت على مر الأيام طبيعة فيه . فإذا تمكنا من القضاء على العلة الأولى وهى الشعور بالغربة والاستيحاش . فقد تمكنا من القضاء على ما ترتب عليها من النتائج . أيها السادة ، إنكم ترون من هذا أن هذه المشكلة الإنسانية لا يمكن أن تحل إلا بإعطاء اليهود وطنا يقيمون فيه ويشعرون أنه وطنهم . وهذا ما فكر فيه الصهيونيون وجاهدوا من أجله ، وهم يطمعون فى الضمير العالمى أن يساعدهم على تحقيق هذا الغرض الإنسانى النبيل . وما كنا ننتظر من العرب - وهم من أكرم الشعوب التى عاملتنا بالحسنى فى مختلف العصور الماضية - أن يقفوا منا هذا الموقف المضاد لتقاليد أسلافهم الكريمة .

عبد الله : « ينهض » إننا أعرف من غيرنا بتقاليد أسلافنا

وشيمهم . إن العربى يكرم الضيف ويؤثره على نفسه وولده ويبذل روحه لحمايته . ولكنه يموت دون قلامة ظفره إذا حاول معتد أن يغتصبها منه .

فيصل : « ينهض » على رسلك أيها الشاب العربى . إنى أريد أن أبين لحضرات المستشارين ولهؤلاء السادة جميعا أننا معشر العرب قد تأثرنا جدا لما أصاب اليهود من الاضطهاد . ولست مبالغا إن قلت إن من الأسباب التى حملتنا على كره النازية إمعانها فى اضطهاد هذا الجنس من البشر مهما حاولت أن تبرر فعلها بمختلف الأعذار . وإنى ليهزنى الشعور بالزهو والفخر كلما تذكرت أن أمة من الأمم لا تستطيع أن تفخر علينا بأنها عاملت اليهود بأحسن بما عاملناهم فى مختلف عهود تاريخنا الطويل . ولكنى لا أستطيع أن أتصور وجود منطق فى الدنيا يجيز أن يكون اغتصاب جزء من وطننا جزاء وفاقا لهذا التسامح منا وهذا العطف النبيل . وبعد فهل يسمح لى المسيو كوهين أن أناقشه مناقشة هادئة فيما قاله ؟

كوهين : تفضل يا أستاذ فيصل .

فيصل : إنك تقول إن اضطهاد الناس لليهود يرجع إلى إحساسهم الحاد بالعصبية الجنسية . وهذا يرجع

بدوره إلى شعورهم بالغربة . وهذا لا يزول إلا إذا أعطى لهم وطن . أليس هذا خلاصة ما قلت ؟

كوهين : نعم .

فيصل : حسنا : فإذا أعطى لكم وطن فهل تبقون فى غيره من البلاد المختلفة . أم تتركونها لتعيشوا فى الوطن المعطى لكم ؟

كوهين : بالطبع سنعيش فى الوطن المعطى لنا .

فيصل : إذن ففلسطين لا يمكن أن تستوعبكم جميعا .

كوهين : لا حرج أن يعيش بعضنا فى البلاد الأخرى .

فيصل : فسيكون هذا وضعا غريبا . إذ لا توجد أمه تعيش أقليتها فى وطنها وأكثريتها فى بلاد الشعوب الأخرى . وعلى ذلك سيبقى الاضطهاد الذى تشكون منه .

كوهين : لكنه سيخف .

فيصل : قد أقررت إذن أن هذا ليس حلا تاما للمشكلة وإنما هو تلطيف لحدتها فى زعمك . وكان أولى بكم أن تفكروا فى الحل التام .

كوهين : ليس أمامنا غير هذا السبيل .

فيصل : لماذا لا تقترحون على الدول المتحدة أن تضمن لليهود حقوقهم فى كل بلد يكونون به من بلاد العالم ، وأن تتعهد لهم أن لا يمسهم أى اضطهاد فى أية

بقعة من بقاع الأرض دون أن تحتاجوا إلى إقامة الدولة اليهودية ؟

كوهين : ولكننا نحب أن نشعر بأن لنا وطنا هو وطننا ودولة هي دولتنا كغيرنا من الشعوب .

فيصل : في استطاعتكم أن تقترحوا على الدولة المنتدبة أن تعطيكم أرضا تسعكم من أستراليا مثلا وهي أخصب من فلسطين ولا ينازعكم فيها أحد .

إبراهام : « ينهض » اسمحوا لي أيها السادة أن أذكر المجلس بأن جماعتنا قد تقدمت بهذا الاقتراح الذي ذكره الأستاذ فيصل . ولكن الصهيونيين عارضوه وقاموا في سبيله « يجلس » .

كوهين : أجل إننا لا نوافق عليه . فقد عرض علينا مثله في أوغندا سنة ١٩٠٣ فرفضناه لأننا لانريد إلا فلسطين .

فيصل : إذا تسقط حجتكم في أنكم إنما تريدون لكم وطنا ليخفف كره الشعوب واضطهادها لكم ، فهذه الأمة العربية بأجمعها ومن ورائها المسلمون في الهند والصين وجزائر إندونيسيا وغيرها ستناصبكم العداء المر ، فيزداد هذا الاضطهاد الذي تشكون منه .

كوهين : لا حق للعرب والمسلمين أن يناصبونا العداء .

فيصل : المسألة هنا ليست مسألة حق . وإنما هي مسألة

الواقع . فهل تريدون منا أن نرغم العرب والمسلمين على حبكم ؟

كوهين : كلا بل سنجتهد نحن فى استغلال سخائم العرب بمختلف الوسائل حتى يرضوا عنا . فنعيش معهم على وفاق .

فيصل : لعل من الخير أن نسمع فى هذا رأى حضرة مندوب الدولة المنتدبة .

سوندز : يؤسفنى أن أقول إن تجاربنا الطويلة قد أثبتت لنا أن هذا ضرب من المحال . ولكنكم إذا استطعتم أن تحققوا هذا المستحيل فسيسرنا ذلك بالطبع «بجاس» .

ميخائيل : « ينهض » إن السخائم التى أشار إليها المسيو كوهين لم يزرعها فى صدور العرب إلا اليهود . وما زرعوها إلا بتحديهم لشعورنا ومساعيهم الجنونية لاغتصاب أرضنا لإقامة الدولة اليهودية فيها . ولا وسيلة فى أيدى اليهود لاستلال هذه السخائم إلا بالعدول نهائيا عن هذا التشبث الجنونى بالأمانى الباطلة . وإلا فإن هذه السخائم ستزداد قوة وعنفا على مر الأيام . وتلك نتيجة طبيعية حتمية لا نملك لها نحن ولا غيرنا صرفا أو تحويلا إلا إذا تغيرت نواميس الحياة . وإنى لأصرح على الملأ هنا أننا يسرنا جدا أن

تعود صلات المودة بيننا وبين اليهود كما كانت قبل أن تتلوث أذهانهم بفكرة الصهيونية اللعينة «نجاس».

إبراهام : « ينهض » أجل يا حضرات المستشارين . إننا أيضا نرغب أن تعود صلات المودة بين اليهود وبين أصدقائنا العرب كما كانت من قبل . ونعتقد أن صداقة العرب هي أثمن كنز يجب أن يحرص عليه اليهود بأي ثمن. ولئن كان العرب يلعنون الصهيونية مرة واحدة فإننا معشر اليهود اللاصهيونيين نلعنها ألف مرة ومرة . لأن ضررها سيقع على رءوس اليهود قبل العرب . هذا على فرض أنها سيقدر لها النجاح في المستقبل . فكيف وهي فاشلة لا محالة إلا أن أمكن تهويد العرب كلهم أو نقل أرض فلسطين من موقعها الجغرافي إلى بقعة أخرى في مجهل من مجاهل الأرض .

شيلوك : « ينهض متحمسا » أيها السادة . إن إبراهام هذا الذي يقول هذا القول أمامكم قد كان فيما مضى من أشد المخلصين المتحمسين للصهيونية . ولكنه ارتد عنها وانقلب لمصلحة خاصة آثرها على المصلحة العامة للشعب اليهودي . فهذا ومن على شاكلته في نظرنا خونة مارقون .

إبراهام :- نعم أيها السادة . هذه كلمة صدق أسجلها لشيلوك هذا . فلقد كنت فى شبابى مخدوعا ببهرج الصهيونية وكان لها فى أسماعنا رنين وفى قلوبنا إليها حنين ، ولكنى ما لبثت أن تبينت خطرها الكبير على بنى جنسى بحيث أننى لو لم أتحقق أن مصدرها هم اليهود أنفسهم لقطعت بأنها أكبر مؤامرة سياسية دبرت للقضاء على الشعب اليهودى بأسره . ولكن المثل يقول : عدو عاقل خير من صديق جاهل . أما اتهام شيلوك إياى بأننى انقلبت على الصهيونية لمصلحة خاصة آثرتها على المصلحة العامة للشعب اليهودى ، فإنى لا أنكر - وأنا فلسطينى من أسرة عريقة فى فلسطين - أن لى مصلحة خاصة فى مقاومة الصهيونية التى تجلب إلى بلادى شذاذ الآفاق من المهاجرين البولونيين والتشكوسلوفاكيين والألمان والهولانديين وغيرهم من أمم الأرض لينازعونا حقنا فى بلادنا ويستغلوا خيراتها دوننا . ولكنه كاذب فى دعواه أننى لا أراعى فى الوقت نفسه المصلحة العامة لليهود فى مقاومتى للصهيونية التى أعتبرها نكبة ستحل بهم إذا تحققت أغراضها الجهنمية . فإذا كان شيلوك ولفه من الصهيونيين يعتبرون هذا الاتجاه خيانة

منى للشعب الإسرائيلى فإنى أعتز بهذه الخيانة وإنى لواثق أن سيأتى يوم قريب أو بعيد يتبين فيه لليهود جميعا أينا كان الخائن وأين كان الأمين .

شيلوك : سوف ترى أنك حين يتحقق مشروعنا ستكون أول من يعض أصابعه ندما على مقاومتك ، لن ننسى حينئذ هذه الأقوال التى تتشدق بها اليوم .

إبراهام : عساك تهددنى بطردى من بلادى .

شيلوك : ليس القرار فى ذلك لى ولكن للدولة اليهودية .

إبراهام : إن أحدا لا يستطيع أن يخرجنى من مسقط رأسى ورءوس آبائى وأجدادى :

شيلوك : « يقهقة قهقهة عصبية » إن العرب يستطيعون ذلك إذا ترك لهم الأمر . وإنما نحن الذين نحميك ونبقى عليك .

إبراهام : قسما بإله إبراهيم وإسحق لأن يطردنى مواطنى العرب من فلسطين ـ وهم أصحاب الحق فيها ـ خير ألف مرة من أن يدخلى إليها أو يبقينى فيها أمثالك من الصهيونيين المغتصبين الأجانب .

الرئيس : « يشير على المتحاورين بالكف عن الكلام فيجلسان » يبدو لنا أننا كلما قلبنا النظر فى أعطاف هذه المشكلة

تبين لنا أن منشأها الأول هو تورط الدولة المنتدبة بإعطاء وعد بلفور . فهل لمندوبها المحترم أن يقول أيضا شيئا فى هذا المقام ؟

سوزدز : « ينهض » نعم يا سعادة الرئيس . ما يزال عندى شئ أقوله فى هذا المقام لأبسط به عذر حكومتى فيما تورطت به من إعطاء ذلك الوعد . لقد ذكرت لكم فيما مضى أن الظروف القاسية أجبرتنا على هذا التصرف حين قمنا لنواجه الطغيان الألمانى فى فورته الأولى ، ونحمى حريتنا وحرية الشعوب العالمية من خطره . وبقى على أن أذكر أن العرب كان حالهم فى ذلك العهد يختلف كل الاختلاف عن حالهم اليوم ، فلم يكن لهم إذ ذاك هذا الكيان البارز المستقل . ولذلك لم تكن الدولة تتوقع حدوث هذه المشكلة المعقدة . كما أن نص الوعد كان بسيطا جداً وقد تحقق لليهود فى فلسطين أكثر من مضمون ذلك الوعد ، لولا أن اليهود ألحوا الساسة البريطانيين إلى إعطاء وعود تفسيرية أخرى جعلت وعد بلفور أوسع مما كان فى حقيقته بحيث احتمل التعهد لهم بقيام دولة يهودية فى فلسطين . فتعقدت المشكلة أكثر من ذى قبل ، وأصبح اليهود غير قانعين بمدلول الصك الصريح ، إذ استندوا إلى

الوعود التفسيرية الأخرى للمطالبة بجعل فلسطين مملكة يهودية . وقد اجتهدنا أن ننجز لهم هـذا الوعد كما يريدون ، وأعترف أننا ضغطنا فى هذا السبيل بعض الضغط على العرب .

ميخائيل : « ينهض مقاطعا » اعذرنى يا جنرال سوردز إن قاطعتك فى حديثك لألفت نظرك إلى أنك لو قلت « كل الضغط » بدلا من « بعض الضغط » لرجوت أن تكون عباراتك أصح . إذ الواقع أن بريطانيا أقل الدول استعمالا للضغط إلا هنا فى فلسطين « يجلس » .

سوردز : معذرة يا أستاذ ميخائيل ، إنى ما قلت هذا إلا توخيا للخير على كل حال . أجل أيها السادة إننا ضغطنا ضغطا شديدا على العرب فى فلسطين ، ولكننا لم ننجح فى مسعانا لأننا اصطدمنا بصخرة الأمة العربية تقوم على بكرة أبيها فى وجهنا : مما جعل مضينا فى هذا السبيل مستحيلا ، لأن سـياستنا تقوم على وجوب استتباب الأمن والسلام فى هذا الجزء من العالم « يجلس » .

شيلوك : لابد لى أيها السادة أن أذكر حضرة المندوب البريطانى بحقيقة نسيها أو تناسـاها ، وهى أن بريطانيا هى

المسئولة عن قيام هذه الصخرة ، فهى التى اخترعت فكرة الجـــامعة العربية حين أرادت أن تتحلل من إنجاز وعدها لنا وتضعنا أمام الأمر الواقع .

سوردز : مهلا يا مسيو شيلوك ، إن الجامعة العربية قد كانت موجودة بالفعل ، وقد قامت فى القديم وتكرر قيامها فى التاريخ ، وآذن التاريخ بانبعاثها من جديد فى العصر الحاضر ، فهى من صنع التاريخ وليست من صنع أحد . وإن بريطانيا لأكثر تواضعا من أن تدعى أن فى وسعها عمل المعجزات « ضحك » : وقصارى الأمر أنها بحكم صلتها المتينة بالعرب قد سبقت غيرها من الدول إلى الاعتراف الرسمى بوجود هذه الجامعة ، لأن تجاربنا السياسية الطويلة فى حكم الشعوب قد علمتنا أن لافائدة من تجاهل الأمر الواقع ، وأن عاقبة ذلك وخيمة على من يقع فيه ، وأن دولة مهما بلغت من القوة والسلطان لا تستطيع أن تقوم فى وجه التاريخ ولا أن تقف دورة الفلك .

شيلوك : ولكن الجامعة العربية لم يبدأ قيامها إلا عقب تصريح وزير خارجيتكم فى مجلس العموم البريطانى بأن بريطانيا تنظر بعين العطف إلى أمانى العرب فى

تحقيق الوحدة العربية . أليس هذا دليلا قاطعا على أن بريطانيا هى التى شاءت أن تقيم هذه الصخرة فى طريقنا لما استغنت عنا وأرادت أن تتحلل من العهد الذى قطعته على نفسها لنا ؟

سوردز : إن تصريح وزير خارجيتنا الذى أشرت إليه هو ما عنيته آنفا حين قلت إن بريطانيا لم تخلق شيئا لا وجود له ، وإنما اعترفت رسميا بحالة قائمة جريا على سياستها فى الاعتراف بالحقيقة الراهنة والسير على هداها فى معالجة الأمور .

شيلوك : هل يستطيع المندوب المحترم أن يقول لنا لماذا لم تستمر بريطانيا فى سياسة تشجيع الدول اليهودية فى فلسطين حتى تصير حقيقة واقعة ، فتعالج الأمور على هداها ؟

سوردز : من الواضح فيما أظن أنى أعنى بالحقيقة الواقعة الأمر الراهن الذى لا اختيار لنا فى وقوعه ، ولا أعنى بها قط الأمر الذى فى مقدورنا إثباته ومحوه . وكل من يستعرض سياستنا السابقة فى فلسطين يدرك بوضـــوح أننا قد حاولنا أن نجعل قيام الدولة اليهودية فى فلسطين حقيقة واقعة كما اقترح المسيو شيلوك : ولكننا أخفقنا فى هذه التجربة ، لأن الحقيقة

الواقعة كما قلت — إنما تنشأ نشأً ولا تخلق خلقا .

شياوك : إننا لانستطيع أن نفهم هــذا القول . وما نعد هذه المغالطة إلا وسيلة للتنصل من الالتزام الثابت . ولكننا لن نتنازل عن وعد بلفور الذى نعده رسالة الحقوق والوثيقة التى تنطق بحق اليهود فى فلسطين . ونعتقد أن فى الدنيا دولا أخرى لاتستطيع أن تقر بريطانيا على هذا التلاعب بالعهود والمواثيق.

سوردز : هذه إشارة غير كريمة منك يامسيو شياوك ، ولكنى سأتحملها وأحملها على المحمل الحسن . إن بريطانيا لا تجهل أن فى الدنيا دولا غيرها تشاركها حق الهيمنة — أو بالحرى — واجب الهيمنة على سلام العالم . وبذلك دعت إلى عقد هذه الهيئة الدولية الموقرة لتعاونها على حل قضية فلسطين حلا حاسما يتفق مع الحق والعدل ، ويكون من شأنه استتباب الســلام . ولو صح ما اتهمتنا به من التلاعب بالمواثيق والعهود لما وضعناها بين أيدى هؤلاء المستشارين الدوليين لينظروا فيها ويصدروا قرارهم النهائى فى موضوعها .

شياوك : « محتدا » يا حضرات المستشارين ، لاشك أنكم توافقونى على أن من ينظر إلى موقف هذا المندوب

البريطانى لا يصعب عليه أن يتبين تحيزه للعرب ضد اليهود ، وكان أولى به أن يقف موقف الحياد على الأقل . ولكنى لا ألومه على ذلك ، إذ الواقع أنه يعبر تعبيرا صادقا عن رأى حكومته المتحيزة ، وقد عرفت كيف تختار الشخص المناسب .

الرئيس : يؤسفنى يا مسيو شيلوك أن أنبهك إلى أنه لا حق لك أن تمس شيئا كهذ لا يدخل فى اختصاصك .

شيلوك : بل هذا يدخل فى اختصاصى ياسعادة الرئيس . يجب أن تعلموا جميعا أن هذا الشخص قد عرف من قديم بميله للعرب والدفاع عن مصالحهم ، ولا حق لبريطانيا فى اختياره ليقف مندوبا مفوضا لها أمام هيئة تتسم بالنزاهة والعدل كهذه الهيئة الموقرة .

سوردز : يؤسفنى أن أذكر المسيوشيلوك بأن بريطانيا تعرف مصلحتها فى تعيين مندوبها ، ولا حق لأحد فى الاعتراض على تصرفاتها الخاصة بها . وحسبها أنها اختارت أحد أبنائها . وليعلم المسيو شيلوك أنه لو كان فى بريطانيا بريطانيون من الأصل العربى – كما فيها جماعة من الأصل اليهودى – لما كان عليها من حرج فى اختيار أحدهم مندوبا

عنها ليقف أمام هــذه الهيئة الموقرة . ولعل مما يسر المسيو شيلوك أن أنوه هنا بأن اللورد بلفور صاحب الوعد الذى يعتمد هو وقومه عليه من أصل يهودى . وما يدريك ياسيو شيلوك أن لا أكون أنا أيضا من هذا الأصل ، فإن كان لأحد الحق فى الاعتراض على تعيينى فذلك الحق للعرب لا لليهود .

شيلوك : لا يعنينى أن أعرف ما أصلك ، وكل ماأردت أن أسجله أن بريطانيا متحيزة ضدنا .

سوردز : إنى فى الواقع محرج من هذا الموقف ، ولعل من الخير أيها السادة أن أدع الرد فى هذا للعرب أنفسهم « يجلس » .

ميخائيل : « ينهض ضاحكا » أيها السادة ، قد تسألوننى ماذا يضحكنى فى هذا الموقف ؟ وجوابى على سؤالكم المثل القائل : إن شر البلايا مايضحك ؛ ومن يعش رجبا يشهد عجبا . يستطيع اليهود أن يتهموا بريطانيا بكل مايروق لهم إلا أن يوجهوا إليها تهمة التحيز ضدهم فى هذه القضية . فقد قامت سياستها ، منذ اللحظة الأولى التى انتدبت فيها على فلسطين ، على تدليل اليهود وتحقيق رغباتهم بكل وسيلة مشروعة

وغير مشروعة ، وعلى اطراح جانب العــرب ومعاملتهم كأنهم غرباء عن هذه البلاد . يشهد بذلك صك الانتداب نفسه فادرسوه . وسجلات الحكومة في مختلف دواوينها فراجعوها ، والقوانين المرتجلة الموضوعة لصالح اليهود ، والتي كان يجرى فيها التبديل والتحوير وفق رغباتهم دائما فابحثوها تجدوا أن صالح اليهود قد جعل أساسا للتشريع في فلسطين دونه كل أساس . ويشهد بذلك قيام الوكالة اليهودية حكومة — داخل الحكومة المنتدبة — مستقلة بدواوينها ومصالحها المختلفة ، تامة التكوين بمظهريها الداخلى والخارجى فاسألوها لم خلقت ؟ وأخيراً تشهد به تلك الدماء الزكية التي أراقها المجاهدون من العرب الأحرار وخضبوا بها سهول بلادهم وحزونها وتخالط صوته نغمة الحزن»— دم صديقى كاظم الفياض ، ذلك المجاهد الوطنى الكبير ، ودم شقيقى كساب جاد وغيرهما من الشهداء الأبرار . سلوا هذه الدماء لم أريقت ؟ تجبكم بصوتها الخالد الذى توسوس به الرياح فى هذه البلاد المقدسة ، أنها ماأريقت إلا للدفاع عن الكرامة الإنسانية أن يقضى عليها بأس الحديد

الغاشم أو بريق الذهب الزائف !

أيها السادة ، لا يظنن أحدكم أنى وقفت هنا للتنديد بسياسة حليفتنا وصديقتنا العظمى بريطانيا ، أو للومها وتعنيفها على ماوقع منها فى الماضى ، فمن يدرى لعل لها عذرا ونحن نلوم . وإنما وقفت لأشهد لها على الملأ بالبراءة من تلك التهمة العظيمة .. تهمة التحيز ضد اليهود براءة الذئب من دم ابن يعقوب . !

شيلوك : أيها السادة . هذه أمور تحتاج إلى المراجعة قبل التثبت من صحتها . أما دليلنا على تحيز بريطانيا فماثل أمامكم فى دفاع مندوبها هذا عن العرب أشد مما يدافع العرب عن أنفسهم . فأما الثورة التى قام بها العرب ضد الحكومة فما أحسبها مما يعزز مركزهم عندها .

ميخائيل : إن العرب ماقاموا بثورتهم تلك ليعززوا مركزهم عند بريطانيا ، بل ليسمعوها صوت الحق من أفواه جراحهم الدامية ! وكانت تلك الثورة وليدة الضغط الذى اعترف به حضرة المندوب البريطانى آنفا . وكفى العرب شرفا أنهم حين ثاروا على الحكومة المنتدبة ثاروا عليها كراما ، ونازلوها جهارا . ولما تعهدوا بوقف الثورة بروا بعهدهم

وما اكتفوا بأن يقفوا موقف الحياد من حليفتهم العظمى ، بل عاونوها وحلفاءها معاونة صادقة فعالة حتى تم لها ولحلفائها النصر ، وتركوا لغيرهم الاستغلال الدنئ للظروف ، بالدس والكيد فى الظلام ، وتنظيم الجماعات الإرهابية وتدبير الاغتيالات السياسية .

سوردز : « ينهض » أحب أن أعقب أولا على كلمة شيلوك فأقول إننى لا أدافع هنا إلا عن وجهة نظر حكومتى ، فإن كان فى هذا الدفاع مايؤيد أحيانا وجهة نظر العرب فلا يلومنى اليهود ، فإنى عاجز فى موقف دقيق كهذا عن تمويه الحقائق العارية وتوجيهها لصالح فريق ضد فريق . وبعد فقد سمعتم أيها السادة مايقول الفريقان عنا ورأيتم كيف أن مركزنا بينهما فى غاية الدقة والحرج .

« يسر الرئيس إلى المستشارين اللذين على جانبيه فيتهامس المستشارون لحظة ثم يعلن الرئيس انتهاء الجلسة ، وينهض وينهض سائر المستشارين معه ويخرجون من الباب الخاص الذى خلف المنصة ويخرج خلفهم رئيس السكرتارية ، ويخرج الناس من أبواب القاعـــة المختلفة وبينهم الجنرال

سورْدز ومندوبو اليهود ، بينما بقى فيصل واقفا يتحدث إلى ميخائيل وعبد الله الفياض وكان حديثهم خافتا حين كان الناس يخرجون من القاعة حتى إذا خلت القاعة أخذت أصواتهم تسمع بوضوح » .

فيصل : « لعبد الله الفياض » أليس من الجفاء أن أبقى بضعة أيام فى بلدكم سألتنى فى خلالها مرارا عن عمى عربى باشا وعمى فوزى بك وخالتى سلمى هانم ولم تسألنى قط عن الآنسة نادية التى كانت خطيبتك ، وأنت تعلم أنها كانت مريضة ؟ .

ميخائيل : أما أنا فقد سألتك عنها ياأستاذ فيصل .

فيصل : هذا حق ولكن الأستاذ عبد الله لم يسألنى عنها ولا بكلمة واحدة .

عبد الله : « يتلعثم » والله ياأستاذ فيصل مامنعنى من ذلك إلا علمى بأنك خطبتها ، فرأيت أنه قد يكون من الحرج أن أسألك عنها .

فيصل : ليس فى ذلك من حرج قط ، فقد خطبتها بعدما انفصم ما بينك وبينها ، وأرجو أن لا تكون واجدا علىّ فى هذا التصرف فهى ابنة عمى وأنا أولى الناس بها .

عبد الله : لا والله ما وجدت عليك، بل أشعر نحوك بكل حب وتجلة.

ميخائيل : أجل كلنا نحبك يا أستاذ فيصل ونقدرك.

فيصل : شكرا لكما. صدقانى أنى كنت سررت جدا حين بلغنى وأنا أطلب العلم فى أوربا، نبأ خطبة ابنة عمى على الأستاذ عبد الله الفياض لأنه من بيوتات فلسطين الكريمة. ولكنى ما لبثت أن تألمت جدا لما حدث، وظللت بعدها أرثى لحال ابنة عمى وأندب سوء حظها حتى إذا ما عدت إلى الوطن، رأيت من واجبى أن أطلب يدها لعلها تساوهمها القديم «يضحك» فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم؟

ميخائيل : معاذ الله يا أستاذ فيصل ما كان منك إلا الخير كل الخير

عبد الله : إنى أهنئك بها وأهنئها بك، وما أحسب إلا أن الله العادل قد عوضها بك خيرا منى، فكلما تذكرت ما كان منى فى حقها ازددت يقينا بأننى لا أستحقها.

فيصل : اعذرنى يا أستاذ عبد الله إن سألتك، أما تزال تحتفظ بخاتمها أم قد ضاع منك؟

عبد الله : «مرتبكا» بل هو محفوظ عندى.

فيصل : «يخرج من إصبعه خاتما» هذا خاتمك قد أوصتنى

نادية أن أسلمه إليك « يقدمه لعبد الله »

عبد الله : « يأخذه » شكرا يا أستاذ فيصل .

فيصل : هل لك أن تعطيني خاتمها لأعيده إليها ؟

عبد الله : « يحمر وجهه خجلا » كان على أن أرسله إليها من قبل ، ولكني وقد لبسته في ميدان الثورة عز على أن أخلعه من إصبعي ، وآثرت أن أحتفظ به أثرا يذكرني بخطيئتي وبالثورة التي ظننت أنني كفرت بها عنها .

فيصل : أهو هذا الخاتم الذي في إصبعك؟

عبد الله : نعم ، أتحب أن أخلعه لك ؟

فيصل : بودى أن أدع لك هذا التذكار ، ولكن القواعد المرعية لا تسمح بمثل هذا .

عبد الله : « يخلع الخاتم ويعطيه لفيصل » الحق معاك . تفضل .

فيصل : « يأخذ الخاتم » شكرا يا أخى . على كل حال ستضطر يوما إلى خلعه حين يأتيك خاتم جديد .

عبد الله : لا . لن يأتيني خاتم جديد .

فيصل : لماذا يا أخى ؟ إنك شاب بعد ولا بد لك من الزواج . أم تريد أن تشعرنى بأنك ماتزال تحب ناديه ؟

عبد الله : هذا سؤال يحرجنى الجواب عليه ، ولكنى قد عاهدت نفسى على أن لا أتزوج من بعدها أبدا .

فيصل : « يتضاحك » أيكون حبك هذا من ذلك النوع الذى

يصفه الشعراء بأنه حب بلا أمل ؟ وأولى بمجاهد مثلك أن يواجه الحقائق ولا يتعلق بوساوس الشعراء .

عبد الله : كلا ياأخي ؛ إنني لا أتعلق بوساوس الشعراء .

فيصل : فهذا يعني أنك ماتزال تطمع في نادية .

عبد الله : حنانيك يا أستاذ فيصل ! لا حق لك أن تؤلمني بمثل هذا القول . لقد قلت لك إنني لا أستحقها وإنني مسرور لما بك فكيف أطمع فيها ؟

فيصل : فما إصرارك على عدم الزواج إذن ؟

عبد الله : إني حين أردت أن أكفر عن خطيئتي في حق الوطن ، نذرت لله أن أجاهد في سبيله حتى أقتل . وحين أردت أن أكفر عن خطيئتي في حق ذلك الملاك الطاهر ، نذرت ألا أتزوج بعده أحداً ما حييت .

فيصل : لن تعدم فقيها يفتيك بأن الشطر الأخير من نذرك لايلزمك ، لأنه نذر غير مرغوب فيه من الوجهة الشرعية .

عبد الله : لقد ألزمت نفسي به ، فسأتقيد بكلمتي سواء ألزمني الشرع بها أو لم يلزمني .

فيصل : حالك هذا يؤلمني وسيظل يؤلمني مابقيت عليه .

عبد الله : أشكرك يا أخي على عطفك . وأؤكد لك أنني لا أرى في هذا ما يدعو إلى التألم لأنه جزاء عدل

يلذ لى أن أشعر دائما بأنى أستحقه .

فيصل : بالرغم من وقوف الأقدار هذا الموقف بيننا أرجو أن تعتبرنى دائما صديقك بل شقيقك الأصغر .

عبد الله : إنى أعتز بهذه الصلة الكريمة وأعدها كرما منك وشرفا لى .

ميخائيل : بل شرفا لنا جميعا معشر الفلسطينيين . إننا لن ننسى قط هذه المواقف المحمودة التى وقفها الأستاذ فيصل وعمه العظيم عربى باشا من قضيتنا ، وحسبها فخرا أن جامعة الدول العربية لم تجد أجدر منها بتمثيلها فى هذه الجلسات التاريخية العظيمة .

فيصل : « ينظر فى ساعته » أرانى شغلتكما بهذه المسائل الخاصة عما نحن فيه من القضية العامة . وإن على أن أذاكركما بالخطة التى رسمها عمى عرابى باشا وأوصانى بأن أتبعها ، ولا غنى لى عن الاستئناس برأيكما فيها .

ميخائيل : هذا حسن ، فهلم بنا إلى منزلنا لنتغدى معا ونبحث شئوننا فى هدوء .

عبد الله : منزلنا أولى بهذا فهو أهدأ وأقرب .

فيصل : يجب أن نكون على انفراد تام ، فلا تؤاخذنى يا أستاذ ميخائيل إذا آثرت أهدأ المنزلين ..

ميخائيل : كلا المنزلين منزلك على كل حال يا أستاذ فيصل .

عبد الله : هيا بنا « يتوجه الثلاثة نحو الباب للخروج » .

(ينزل الستار)

الفصل الثانى

المنظر : نفس المنظر فى الفصل الأول

الوقت : الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى

أحد المستشارين : «يتلو من ورقة فى يده» بعد المداولة واستعراض جميع النقط التى تناولها البحث فى الجلسات الماضية قررت (هيئة التحكيم الدولية لحل قضية فلسطين) اعتبار النقط الآتية أساسا لما يجرى من المناقشة بعد الآن ، فلا يمكن الخروج على هذه النقط :

أولا : أن حق العرب فى فلسطين ثابت بوجودهم فيها كأصحابها الأصليين منذ القديم حتى عهد الانتداب البريطانى . وهذا أمر لا يستطيع خصومهم اليهود أن ينكروه . وأن حق اليهود فى فلسطين يستند إلى وعد بلفور وما تلاه من الوعود التفسيرية من بدء عهد الانتداب إلى اليوم ، والعرب لا يعترفون بهذه الوعود.

ثانيا : تعارض هذان الحقان ، وقد حاولت الدولة المنتدبة أن توفق بينهما فلم تفلح لتمسك كلا الفريقين بحقه

كاملا غير منقوص .

ثالثا : اعترفت الدولة المنتدبة بأن مشكلة فلسطين مشكلة عالمية . وعززت اعترافها هذا بالدعوة إلى عقد هذه الهيئة الدولية لحلها .

رابعا : أن هيئة التحكيم الدولية رأت أن بقاء هذه المشكلة معلقة سيكون مصدرا دائما للقلاقل والاضطرابات ، وأن مهمتها تقضى عليها بحلها حلا حاسما .

خامسا : حيث أن الحكم بالحق الكامل لأحد الفريقين سيكون قاسيا على الفريق الآخر ، وحيث أن تاريخ العرب فى الماضى قد برهن على أنهم كانوا كرماء فى معاملتهم لمن يقيمون بينهم ممن يختلفون عنهم جنسا أو دينا ، وقد كان اليهود يعيشون بسلام فى غير فلسطين من البلاد العربية ، وحيث أن الهيئة لا تزال تطمع فى إمكان التوفيق بين الفريقين المتنازعين ، فقد رأت أن تبذل قصارى جهدها فى إيجاد صلح دائم يكفل لكلا الفريقين الطمأنينة والرخاء ويعيد الوفاق بين العرب واليهود .

شيلوك : « ينهض معترضا » لا وفاق حتى تقوم الدولة اليهودية فى فلسطين طبقا للصك الذى بأيدينا ، ولن نرضى قط بأنصاف الحلول .

الرئيس : اجلس يا مسيو شيلوك . لا تجوز المقاطعة الآن .
شيلوك : إننى آسف يا سعادة الرئيس « يجلس » . .
المستشار : « يستمر » وحيث أن آخر قرار أصدرته الدولة المنتدبة هو الكتاب الأبيض، فقد رأت هيئة التحكيم أن تتقدم بعرضه أولا لترى رأى المتنازعين فيه . فليقم مندوب اليهود .
« ينهض شيلوك »
الرئيس : ما رأيك فى الكتاب الأبيض ؟
شيلوك : قد رفضناه من قبل ولا نزال نرفضه ، ولن نقبله أبدا .
الرئيس : لماذا ترفضونه ؟
شيلوك : لأنه لا يحقق مطالبنا ، فهو يقيد الهجرة اليهودية ولا يسمح أن يزيد عدد اليهود على ثلث السكان . وهذا يعنى أن فلسطين ستكون دولة عربية فيها أقلية يهودية ، وغرضنا الأول هو إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ، ولا بأس أن تكون فيها أقلية عربية .
الرئيس : هذا يتنافى مع حقوق العرب .
شيلوك : إننا لا نعرف إلا حقنا ولا نطالب بغيره .
الرئيس : حسبك يا مسيو شيلوك اجلس . وليقم مندوب العرب .
« ينهض ميخائيل »

الرئيس : ما رأيك فى الكتاب الأبيض ؟

ميخائيل : قد رفضناه يا سعادة الرئيس ولا نزال نرفضه لسببين : أحدهما خاص بنا ، والآخر عام يتعلق بأغراض السلام العالمى . فالسبب الخاص هو أننا لا نقبل أن يعيش فى بلادنا قوم فرضوا علينا بالقوة فرضا ، لأننا نعتز بحريتنا ونؤمن بحرية الشعوب ، وهذا يمس هذه الحرية ويخالف كل القوانين الدولية . وأما السبب العام فهو أن الكتاب الأبيض على فرض أننا قبلناه لا يحل المشكلة ، لأن غرض اليهود كما صرح به مندوبهم الآن ليس مجرد الإقامة فى بلادنا بل جعلها مملكة يهودية . فلو فرضنا جدلا أننا عرب فلسطين قبلنا هذا الموضع الجائر ، فإن بنى جنسنا فى الأقطار المجاورة ومعهم المسلمون كافة فى الشرق والغرب لن يقبلوه . فستبقى العداوة إذًا بين العرب واليهود وتزداد أسباب النزاع والخصام ، وليس هذا من مصلحة السلام العالمى .

الرئيس : هذا كلام جميل يعجبنى فيه أنك لم توصد بـــاب المراجعة والمناقشة كما فعل خصمك . وهذا يدل على أنك راغب فى الصلح .

ميخائيل : نعم إذا أمكن هذا الصلح وتحققت به مصلحة السلام الدولى .

الرئيس : فلنسجل لكم هذه الروح الطيبة على خصومكم .

شيلوك : إن صاحب الحق الثابت لا يتسامح فى حقه ولا يقبل المساومة فيه لأنه حينئذ يخسر جزءا من حقه . وإنما يتسامح مدعى الحق الذى ليس له لأنه يربح على كل حال .

الرئيس : ما أراك مصيبا فيما قلت يا مسيو شيلوك . فإن الروح الطيبة التى يبديها أحد الخصمين لا تعنى قط أنه يطلب حقا ليس له ، وإنما تعد كرما منه وتسامحا .

شيلوك : إن اليهودى يا سعادة الرئيس لا يخدع عن حقه من أجل كلمات معسولة توجه إليه . أعطه حقه أولا ثم سمه إن شئت شحيحا متعنتا فأنت فى حل منه .

الرئيس : إنك تتحدث يا مسيو شيلوك كما لو لم تسمع قرارنا البدائى الذى تلى عليكم آنفا . فالفقرة الأولى منه تنص على حق العرب الثابت بالاستيطان ويقابله حق اليهود المستند إلى وعد بلفور وملحقاته .

شيلوك : بلى يا سيد الرئيس قد سمعته ووعيته .

الرئيس : ففيم إذن تعيد المناقشة فيه ؟

شيلوك : لأننى لا أقر هذا القرار .

الرئيس : أتنكر أن العرب كانوا مستوطنين فى البلد قبل تدفق سيل المهاجرة اليهودية ؟

شيلوك : كلا ، لا أنكر هذا الاستيطان ، ولكن حق العرب القائم عليه قد انتقل الينا بمقتضى الصك الذى بأيدينا .

الرئيس : هل تعنى أنكم اشتريتم هذا الحق بالثمن ؟

شيلوك : بالطبع يا سيدى الرئيس لم يعط لنا صدقة .

الرئيس : ما أحسب أن بريطانيا تبيح لنفسها أن تبيع بلاد قوم لقوم آخرين .

سوردز : « ينهض » هذا واضح لا جدال فيه يا سعادة الرئيس .

شيلوك : إن بريطـــانيا لم تبع بلاد قوم لقوم آخرين ، وإنما أعادت الحق الضائع لأصحابه الأصليين .

الرئيس : هذه النقطة نقطة الحق التاريخى قد فرغنا من بحثها واستبعادها من مستندات القضية ، فلا تعد ذكرها .

شيلوك : سمعا يا سعادة الرئيس فلنقتصر على المطالبة بحق الصك.

الرئيس : قلتم إنكم اشتريتم هذا الصك بثمن ، فما الثمن ؟

شيلوك : أظن حضرة المندوب البريطانى يستطيع أن يجيبكم على هذا السؤال ؟

سوردز : إننا لم نقبض أى ثمن يا سعـــادة الرئيس ، وإنما أعطينا وعد بلفور لليهود لاستمالتهم إلى صفنا فى دفاعنا عن حرية الشعوب ضد الطغيان الألمانى فى الحرب الأولى . فلا ثمن إلا ثمن الظروف القاهرة .

شيلوك : لا يتحتم أن يكون الثمن مالا يا سيدى الرئيس ، فكلنا يعلم أن للظروف المتاحة للإنسان ثمنها فى الحياة. ألا ترون أنى لو أتيحت لى صفقة تجارية أستطيع أن أربح منها ألف جنيه مثلا ، فهذه فرصة ثمنها ألف جنيه إذا ما أضعتها فقد أضعت هذا المبلغ . واضطرار صاحب الصفقة إلى بيعها لا يغير فى الأمر شيئا ، بل نفس هذا الاضطرار من قبل البائع هو الفرصة المتاحة بالنسبة لى .

الرئيس : لكن ألا ترى معى أن استغلال مثل الظرف الذى وقعت فيه الدولة المنتدبة ، وهى تعمل لا لصالحها فحسب بل لصالحها ولصالح غيرها من شعوب العالم ، ثم التعنت فى هذا الاستغلال لايعدان من الكرم فى شىء ؟

شيلوك : عدوا هذا الاستغلال كريما أو غير كريم ، فقد تركنا فضيلة الكرم لمن يسره أن يتبجح بها من العرب . أما نحن معشر اليهود فحسبنا أن نقف عند حدود القانون ولا نطالب إلا بما يخولنا إياه .

سوردز : العجيب أن العقلية اليهودية هى هى لم تتغير على مر القرون ، ولم ينفعها الدرس الذى ألقاه عليها شكسبير .

الرئيس : يظهر لى أنك على حق يا جنرال سوردز .

شيلوك : أنعود إلى شكسبير أيضا ؟ فاعلموا إذن أننا لم ننتفع بذلك الدرس لأننا لسنا بحاجة إليه . إن شكسبير أخطأ فى تشخيص الداء فأخطـــأ كذلك فى علاجه . عجبا لكم أيها السادة! كيف تنتظرون من شعب ذليل لا يعتز بوطن ولا بدولة أن يؤثر الكرم أو العفو أو الرحمة على القانون وهو سنده الوحيد فى معترك الحياة ؟ إنه لو فعل ذلك لما استطـــاع أن يحافظ على وجوده إلى اليوم . أعطوا اليهود وطنهم وأقيموا لهم دولتهم وأشعروهم بالعزة والسيادة ، ثم لوموهم بعد ذلك إن لم يبزوا جميع شعوب الدنيا فى الرحمة والعفو والكرم . « تضج القاعة بالضحك »

كوهين : « ينهض فيجلس شيلوك » لا تضحكوا أيها السادة فما قامت الصهيونية عبثا . إنها لم تقم إلا لتتمكن من هذا العلاج .

الرئيس : هذه فلسفة جديدة يا مسيو كوهين :

كوهين : جديدة عليكم لا علينا يا سعادة الرئيس .

الرئيس : ولكن القانون الذى هو سندكم الوحيد فى معترك الحياة ، لا يبيح لنا أن نعالج مريضا باغتصاب حق شخص آخر .

دومين : أخشى أن لا يكون هذا التشبيه صحيحا يا سعادة

الرئيس . فالشخص المريض هو الذى يملك ذلك الحق بمقتضى الصك الذى بيده ، والقانون هو الذى أوجب له هذا الحق .

الرئيس : رجعنا كرة أخرى إلى عقدة النزاع ، فأشيروا علينا كيف نحلها ؟

شيلوك : « ينهض » لا حل لها إلا حل واحد هو إعطاؤنا ما فى الصك .

الرئيس : قد عرفنا رأيكم يا مسيو شيلوك ، ونريد أن نسمع آراء الآخرين .

ميخائيل : « ينهض» إننا نعترض على قانونية هذا الصك ، لأن الذى أعطاه تصرف فيما لا يملك فهو باطل من أساسه. وإذا كان لليهود أن يطالبوا بتعويض عما لحقهم من الخسارة فليطالبوا به من أعطى الصك وقبض الثمن سواء كان هذا الثمن مالا أو . . ظروفا قاهرة ! « ضحك »

إبراهام : أيها السادة ، إنى أضم صوتى إلى صوت مواطنى العربى الأستاذ ميخائيل ، وأقترح أنه إذا أصر الصهيونيون على المطالبة بإقامة الدولة اليهودية ـ ونحن اللاصهيونيين نعارض هذه الفكرة ونعتبرها مضرة بمصالح اليهود ـ فعلى الدولة المنتدبة التى أعطتهم هذا الوعد أن تعطيهم

أرضا فى أستراليا مثلا ليقيموا فيها دولتهم . أما فلسطين فلها أصحابها من العرب المسلمين والمسيحيين ومن والاهم من اليهود الفلسطينيين اللاصهيونيين .

الرئيس : ما رأى حضرة المندوب البريطانى فى هذا ؟

سوردز : « ينهض » رغبة فى حسم النزاع وحل هذه المشكلة المعقدة ، وحبا باستقرار السلام سننظر فى قبول هذا الاقتراح إذا وافق عليه الصهيونيون .

شيلوك : « ينهض » لكنا لا نرضى إلا بما فى الصك ولا نريد بفلسطين بديلا .

إبراهام : انطحوا برؤوسكم الجبل، فلن تكون فلسطين لكم . لن تقوم الدولة اليهودية ، وإن قامت فلن تقوم فى فلسطين !

شيلوك : اسكت أنت لا شأن لك !

الرئيس : « يشير لها بالسكوت فيجلس إبراهام » يظهر لى يا مسيو شيلوك أن أرضا واسعة فى أستراليا خير لكم وأكفل بتحقيق غرضكم من فلسطين الضيقة المساحة المحدودة الموارد . وقد اطلعتم أول أمس على تقرير الخبير الاقتصادى وهو يقضى بأن دولة تقـــوم فى فلسطين لا يمكن أن تستغنى بنفسها وتكتفى بمواردها ، ولا سيما إن كانت دولة واسعة النشاط كالدولة اليهودية :

شيلوك : إننا نعيد عليكم القول بأننا قد استطعنا أن نجعل الصحارى الجرد جنات خضراء . وقد اعترفتم بنشاطنا الواسع فلا معنى لوقوفكم فى سبيل هذا النشاط .

الرئيس : إن المجهود الضخم الذى بذلتموه فى استعمار تلك الأراضى القاحلة واستثمارها لا يتناسب مع الثمار الضئيلة التى جنيتموها طوال هذه السنين ، ولولا الإعانات الضخمة التى تتدفق عليكم سنويا من أمريكا وغيرها لما استطعتم الاستمرار فى الإنفاق على هذا المشروع . وإن دولة تقوم على الإعانات الخارجية لسد عجزها الدائم لا يمكن أن تدوم .

شيلوك : إننا لا ننظر إلى الماضى ولا إلى الحاضر يا سعادة الرئيس ، وإنما يتجه نظرنا إلى المستقبل مهما يكن بعيدا . وبرنامجنا لا يعتمد على الزراعة وحدها فقد قمنا بحركة صناعية ناجحة ، ولن يمضى زمن طويل حتى نسد هذا العجز الذى تشيرون إليه فتستغنى حينئذ دولتنا بنفسها وتكتفى بمواردها .

سوردز : هذا جميل يا مسيو شيلوك ، ولكن يجب أن تتذكر أن ما أحرزتموه من النجاح فى ميدان الصناعة إنما كان بفضل حمايتنا ، وأن السوق الوحيد لتوزيع مصنوعاتكم ومنتجاتكم هو هذا الشرق العربى .

شيلوك : نحن لا نجهل هذا ، فما تعنى بتعليقك هذا ؟
سوردز : لا أظنك تجهل ما أعنى فهو واضح جدا .
شيلوك : أجل ، هو واضح عندنا . ولكن أردت أن أكشف لحضرات المستشارين حقيقة موقفكم من حركتنا الصناعية الوليدة . أيها السادة اعلموا جميعا أن بريطانيا غارت من تقدم صناعتنا فى فلسطين ، وخشيت أن تنافسها فى سوق الشرق العربى الـــذى تحتكره احتكارا ، فهى تقيم العراقيل فى سبيل الدولة اليهودية لهذا السبب .
سوردز : إن كان ما تقوله صحيحا فلا ذنب علينا إذا استطعنا بالوسائل السلمية أن نجعل العرب يؤثرون مصنوعاتنا على مصنوعاتكم ، فالعرب أحرار فى التعامل مع من يشاءون . « يجلس »
الرئيس : « لشيلوك » إن حركتكم الصناعية التى يتوقف عليها مصير الدولة اليهودية لا يمكن أن يستمر نجاحها إلا بالتعاون مع العرب ، فإذا أعوزكم هذا الشرط فلن تقوم لكم صناعة ومن ثم لن تقوم لكم دولة .
شيلوك : إننا نريد الحصـــول على حقنا أولا ، ولن يعجزنا التفكير بعد ذلك فى إيجاد هذا التعاون .
الرئيس : كأنكم لا تريدون أن تسمعوا نصيحة أحد .

شيلوك : يؤسفنى يا سعادة الرئيس أن أقول إننى مفوض للمطالبة بحق لنا لا لتقبل النصائح .

الرئيس : يظهر لى أن لا محيص لنا من الاعتماد على كرم العرب وحده إذا أردنا النجاح فى حل هذه المشكلة . وكم تمنيت لو تمكن عربى باشا وكيل الجامعة العربية من الحضور ، إذ لا سبيل إلى الحل النهائى بدونه ! فهل يستطيع الأستاذ فيصل أن يخبرنا متى يحضر عمه ؟

فيصل : « ينهض » إن عمى — شفاه الله — لا يزال مريضا ، وإنى أتصل به يوميا بالتليفون وأبلغه كل ما يدور فى الجلسات . وكان شديد الحرص على أن يحضر هذه الجلسات الختامية بنفسه لو تحسنت صحته قليلا . ولكنه إذ رأى أن لا أمل له فى بلوغ هذه الغاية وكلنى عنه وفوضنى تفويضا تاما . وهذه صيغة التفويض وموافقة الجامعة العربية عليه « يخرج من حقيبته وثيقة التفويض ويقدمها للرئيس »

الرئيس : « يتناول الوثيقة وينظر فيها بتأمل ثم يجيزها لسائر المستشارين يتداولونها » أيها السادة ، إن ساعة الفصل يجب أن تحين ، فعربى باشا وكيل الجامعة العربية ومندوبها المفوض الذى كان ينقصنا حضوره قد حضر الآن فى شخص وكيله المفوض عنه الأستاذ

فيصل . وإنى لأطمع إلى آخر لحظة فى كرم العرب المأثور عنهم ليكون عونا لهيئة التحكيم الدولية على تسهيل الحل .

فيصل : يا حضرات المستشارين : إن العضو الذى يجرح يصعب عليه أن يعفو عمن جرحه ، ولكن سائر الجسم يستطيع أن يتسامح وأن يعفو إذا رأى ما يدعو إلى ذلك . فهذه فلسطين العربية لا تستطيع أن تعفو عمن جرحها ، ولكن جسم الأمة العربية التى أتشرف بتمثيل جامعتها العتيدة يستطيع ذلك إذا دعاها داعى السلام إليه . أيها السادة : لا حاجة بى أن أكرر تأكيد حق العرب فى فلسطين الثابت بالأدلة التاريخية والأوضاع الجغرافية وصلات الدم والقربى منذ عرف التاريخ فلسطين إلى اليوم ؛ ولا أن أفند مزاعم اليهود وحجتهم الواهية فى استنادهم إلى قيام الدولة الإسرائيلية التى لم تستقر إلا قرنين من الزمان. تقلبت بعدها فى أيدى دول أخرى حتى عادت إلى أهلها العرب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا إلى الوقت الحاضر ؛ فقد ذكر ذلك كله فى الجلسات الماضية لهذه الهيئة الدولية الموقرة ، كما ذكر فى اللجان التحقيقية التى عقدتها الدولة المنتدبة من قبل ، دون

أن يؤدى ذلك إلى حل حاسم . ولا أريد أن أناقش شرعية الانتداب نفسه وما ترتب عليه من الآثار التى لا يقرها العرب أصحاب البلاد ، ولا ما تصرفت به الدولة المنتدبة وما قامت به من خير أو شر ، ولا ما تورطت فيه من إعطاء وعود فيما لا تملك لمن لا يملك . فكل أولئك لا يؤدى بنا إلى الحل الحاسم . إن الجامعة العربية التى أتشرف بتمثيلها ستتناسى هذه الاعتبارات كلها لتساعد هيئة التحكيم الدولية الموقرة على الوصول إلى الحل الحاسم ، ولو ضحت الجامعة فى ذلك بأمور كثيرة عزيزة عليها . إن مسألتنا اليوم هى مسألة سلام العالم ، والجامعة العربية تريد مخلصة أن تساهم بنصيبها الكبير فى إقرار السلام ، فهى لذلك على استعداد لتضحى بكثير من رغباتها وجهودهـــا ما لم يمس ذلك شرفها الذى لا تفرط فيه بحال من الأحوال ، إذ لا قيمة للحياة عندها بدونه .

أيها السادة : إننى أشكر سعادة الرئيس على تنويهه بكرم العرب ، وميلهم إلى السلام وكراهيتهم للعنت . ويسرنى أن حضرات المستشارين قد لمسوا معه هذه المعانى الكريمة فى العرب من خلال مناقشتهم فى فى هذه الجلسات التاريخية . والعرب يعتزون بهذه

النتيجة ويعدونها نجاحا لقضيتهم . وهم قد ضربوا فى تاريخهم الطويل أمثلة رائعة للتسامح والكرم والعدل والرحمة . ولا بأس عندهم أن يضربوا للعالم اليوم أعظم مثل للتسامح سيهز العالم هزا ويدفعه خطوات واسعة نحو المثل الإنسانية العليا . بيد أنى أشعر بأسف شديد أيها السادة لأن هذا المثل الذى سنضربه لكم اليوم سيكون نافعا للعالم كله ما عدا اليهود الذين من أجل إرضائهم يضرب هذا المثل . ولذلك أرى من تمام إحسان العرب أن ننذر اليهود وننصحهم شفقة عليهم أن لا يدفعونا إلى ضرب هذا المثل .

أيها السادة : هل تريدون مثلا للتسامح أعظم من أن أعلنكم بأننا على استعداد للتنازل عن حقنا فى فلسطين لليهود

« تنتشر فى المجلس موجة من الدهشة والتساؤل »

الرئيس : هذا عظيم . لا يوجد مثل أعظم من هذا للتسامح .

شيلوك : « ينهض » إن كان التخلى عن الحق لصاحبه يعد تسامحا فى نظركم فما أعظم هذا التسامح !

الرئيس : هذا جحود للإحسان لا يجمل بك يا مسيو شيلوك فأرجو أن تلزم الصمت حتى تدعى للحديث

« يجلس شيلوك »

فيصل : « يستأنف حديثه » أجل أيها السادة ، إننا على استعداد للتنازل عن حقنا فى فلسطين لليهود . ولكنى أنذرهم أن هذه الخطوة إن تمت لن تكون فى صالحهم .

إبراهام : « ينهض » أحب أن أذكر المجلس مرة أخرى أننا معشر اليهود اللاصهيونيين يجب أن نستثنى من مصير غيرنا من اليهود .

فيصل : هذا صحيح . فليشهد المجلس على هذا .

الرئيس : هذا مفهوم عندنا ونحن عليه شهداء . « يجلس إبراهام »

فيصل : أعيد القول كرة أخرى إن هذه الخطوة إن تمت فلن تكون فى مصلحة اليهود وعليهم وحدهم تقع التبعة ، فلا يلومن إلا أنفسهم !

شيلوك : « ينهض » هذا كلام لا يصح السكوت عليه أيها السادة . فائذنوا لى بكلمة واحدة .

الرئيس : ماذا تريد أن تقول ؟

شيلوك : هذا تهديد من العرب باستعمال القوة ضدنا وهم أكثر منا عددا . ولكنى أشهدكم جميعا أيها السادة أننا على قلة عددنا لن يثنينا هذا التهديد عن غايتنا . فقد انقضت العهود التى يعير فيها اليهود بالجبن والذلة والمسكنة والعجز عن حمل السلاح . لقد وطنا أنفسنا على أن نكون كغيرنا من البشر ، نحمل

السلاح ونسفك الدماء بأيدينا إذا اقتضى الحال .
وليعلم العرب أننا حين فكرنا فى إقامة دولتنا ما كنا هازلين ولا لاعبين . فإذا كان الأستاذ فيصل ينذرنا تلميحا فإنى أنذر العرب تصريحا بأن لدينا من مختلف الأسلحة الحديثة ما ليس عندهم . وأن العهد الذى يخاف الناس فيه من العصى والقسى والسيوف والرماح ولفها من أسلحة المطاردة فى الصحراء قد انقضى !
وإنى أنذرت العرب بهذا جهارا ليعلموا أنهم لا ينفردون دوننا بفضيلة العمل فى وضح النهار ، ولا ننفرد دونهم برذيلة الكيد فى الظلام !

عبد الله : « ينهض مغضبا » أمع أمثال هؤلاء يجدر بنا التسامح والكرم ؟ لقد صدق شاعرنا أبو الطيب إذ يقول :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف للعدا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

أيها السادة إننا لا نرضى أن يرمينا أذل شعوب الأرض بالجبن والضعف . وإذا كان يجرى بعد فى عروق هؤلاء اليهود دماء أولئك الذين قالوا لموسى عليه السلام حين دعاهم للقتال : « اذهب

أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » فإن الدم الذى كان يجرى فى عروق خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص وصلاح الدين ليجرى بعد فى عروقنا . وإنه ليلعننا إذا سكتنا لهذا التحدى ولم نغسل هذه الإهانة !

أيها السادة . أقيموا لهم دولتهم اليهودية . واجمعوا فيها اليهود من كل أقطار الأرض . ثم خلوا بيننا وبينها ساعة من نهار ، فإن لم نمح هذه اللعنة البشرية من الوجود محوا ونجعلها أسطورة فى التاريخ فأعطوا بلاد العرب كلها طعمة لليهود . واكتبوا لهم بذلك صكا لا ينازعهم فيه منازع .

لا بل اكتبوا لهم صكا بأن العرب جميعا عبيد اليهود إلى يوم القيامة ! « يجلس »

الرئيس : يؤسفنى جدا أن أسمع مثل هذه المنافرة فى مجلس كهذا يرمى إلى التوفيق وحسم النزاع .

فيصل : أيها السادة . إنى مع احترامى لكلمة صديقى الوطنى الشاب وللحماسة التى دفعته إلى هذا القول . ومع أسفى لما بدر من المسيو شيلوك من التسرع فى تأويل كلمتى والاندفاع فى تهديد العرب بما استعد به قومه من الأسلحة الحديثة التى ليس لدينا منها شىء

أحب أن أذكر الاثنين معا أننا لسنا فى موقف نتفاخر فيه بقوة السلاح . أو نتنافر فيه بالشجاعة الحربية . فلنذكر جميعا أننا فى مطلع عهد جديد وقع فيه فيه ميثاق الأطلنطى . وبحثت فيه قرارات مؤتمر دومبارتون أوكس ، وعقد فيه مؤتمر سان فرنسيسكو لضمان الأمن الدولى . وكلكم يعلم أن أسلافنا الميامين من العرب قد حملوا السلاح فى الماضى لإقرار الحق والسلام فى الأرض . وقد تغيرت الأوضاع اليوم . فعلى أحفادهم أن يغمدوه ليساهموا بنصيبهم فى خدمة هذا الغرض نفسه .

شيلوك : فلماذا هددتنا بالقوة آنفا ؟

فيصل : معاذ الله . لم أهددكم بالقوة . وإنما تسرعت أنت وأسأت فهم ما أردت أن أقول .

شيلوك : كلا ، لم أسئ فهم ما أردت أن تقول . ولكنى قابلت تهديدك المستتر بتهديد أقوى منه وأبلغ . فاضطرك هذا إلى التنصل من فحوى كلامك وتعديله . وتذكرت حينئذ مواثيق الأمن الدولى وضمانات السلام العالمى لتحميكم من سلاحنا إذا اضطررنا إلى استعماله . ولكنك نسيت أن هذه المواثيق والضمانات إنما وضعت لحماية المظلومين

أمثالنا لا لحماية الغاصبين أمثالكم ! » يلتفت إلى عبد الله الفياض » وهذا الشاب الفلسطيني الذي أضاع ميراث أبيه في مجالس العربدة وموائد القمار لا يستنكف العرب أن يبعثوه مندوبا عنهم في هذا المجلس الدولي الموقر . ليتشدق أمامنا بألفاظ الشجاعة الضخمة الجوفاء . يقول إن في استطاعة العرب أن يمحونا من الوجود في ساعة من نهار . والدنيا كلها تعلم أنهم قاموا بثورتهم الطويلة العريضة سنة ١٩٣٦ فما استطاعوا أن يمحوا يهوديا واحدا من الوجود !

عبد الله : « ينهض » أجل أيها السادة . إنني لكما وصفني هذا العجوز اليهودي . ولكن سلوه عن موائد القمار وحانات العربدة ومواخير الليل التي بددت فيها ميراث أبي ، من كان يديرها في بلادنا الطاهرة المقدسة ؟ إنه شيلوك هذا وعصابته المجرمون ! وهأنذا أقف بينكم أيها السادة لأمثل مئات الضحايا الأبرياء من شباب العرب الوارثين الذين وقعوا في أحابيل الإغراء الصهيوني من خمر وقمار وجسد يباع بيع السلع ، فذهبت ثرواتهم وتحولت أطيانهم إلى مستعمرات يهودية ! أما الثورة التي أشار إليها

شيلوك والتى كان لى شرف الاشتراك فيها فتطهرت بها
من حمأة الفساد والدنس . فهو أعلم الناس بأنها لم
تكن ضد اليهود بل ضد الدولة المنتدبة وحدها .
فسلوه — إن استطاع أن ينسى ذكريات الثورة
كلها — هل يستطيع أن ينسى ذكرى ليلة طرقت
فيها مكتبه رغم الحرس والديدبانات . فكانت
حياة هذا الشقى تحت رحمة الخنجر الذى كان بيدى .
فما منعنى من القضاء عليه — مع شدة رغبتى فى
الانتقام منه لأنه كان سبب نكبتى — إلا تعليمات
قوادنا المجاهدين بأن نتجنب قتل اليهود على قدر
الإمكان . وهذا مندوب حليفتنا العظمى يستطيع
أن يؤكد للمجلس صحة ما أقول .

سوردز : « ينهض » ليس فى وسعى أن أنكر هذه الحقيقة .
ولكنى لا أود أيها السادة أن تنبش وقائع الماضى
الأليمة فتزيد مهمتكم السامية فى حل هذه القضية
تعقيدا وصعوبة . ولعلى لا أعدو الصواب إذا ما اقترحت
على المجلس الموقر أن يستمر فى الإصغاء إلى مندوب
الجامعة العربية حتى ينتهى من كلامه « يجلس » .

الرئيس : هذا هو عين الصواب ياجنرال سوردز .

فيصل : يؤسفنى أيها السادة أن يقاطعنى الخصوم فى كلمتى ،

ويتسرعوا فى تفسيرها والتعليق عليها قبل أن أنتهى من قولها ، حتى أدى ذلك إلى هذا النقاش المرير الذى ما كان يؤدى أن يعرض على أسماعكم لئلا يزيد مهمتكم صعوبة . ولو أن المسيوشيلوك صبر دقيقة واحدة لعلم أنى كنت فى واد وهو فى واد آخر . ولكى أزيل أى لبس فى كلمتى أبدأ أولا فأصرح لهذا المجلس الموقر ، وأعان على رءوس الأشهاد بصفتى مندوبا مفوضا لجامعة الدول العربية ، أنى أتعهد لكم بأننا معشر العرب لن نستعمل السلاح ضد اليهود ، سواء قامت دولتهم فى فلسطين أو لم تقم . إلا إذا بدأونا هم بالعدوان المسلح . فاشهدوا جميعا على ما أقول .

الرئيس : هذا جميل . استمر فى كلامك ياأستاذ فيصل .

فيصل : لعل اليهود يستطيعون الآن أن يطمئنوا إلى أنى حين أنذرهم لا أعنى تهديدهم بقوة السلاح التى يفوقوننا فيها كما صرح بذلك المسيو شيلوك . وإنما تدفعنى الشفقة عليهم أن أنذرهم بكارثة يعرف الجميع أن اليهود هم أشد شعوب الدنيا حرصا على توقيها وتقديرا لألمها ، أعنى الكارثة الاقتصادية .

شيلوك : « مقاطعا » إننا نرفض هذه الشفقة .

الرئيس : اسكت يامسيو شياوك حتى ينتهى الأستاذ فيصل من كلامه .

فيصل : إن الوطن القومى ـ كما جاء فى تقرير الخبير الاقتصادى الذى قدمه إليكم أول أمس ـ قد عجز عن حد الاستكفاء . واليهود أنفسهم يعترفون بهذه الحقيقة ويتلمسون المخرج من هذه الورطة بتحويل البلاد إلى بلاد صناعية . هذا كله قد وقع قبل أن تكون فلسطين دولة يهودية ، فليت شعرى ماذا يكون الحال لو تم هذا المشروع ؟ إن هذه الدولة إن قامت فستكون دولة يهودية صناعية فى قلب عالم عربى معاد لها يقاطع سلعها اليهودية . فليت شعرى هل يقدر لهذه الدولة البقاء ؟ ألا يقع اليهود إذن فى كارثة اقتصادية تجتاح كل ما كنزوه من الذهب طوال القرون ؟ هذا أيها السادة ما تدفعنى الشفقة أن أنذر اليهود به ، وأكرر القول بأن الشفقة هى التى تدفعنى إلى تقديم هذا النصح بالرغم من أن مندوبهم هذا قد أعلن أنه يرفض هذه الشفقة . فإن أصر اليهود على رفض هذا النصح الصادق المخلص فإننا مستعدون أن نتسامح فى هذه القضية إلى أبعد حدود التسامح أيها السادة . إننى أعلن باسم الجامعة العربية

أننا مستعدون أن نتنازل عن فلسطين لليهود ليجربوا فيها إقامة دولتهم اليهودية . فهل تريدون منا أكثر من هذا لنبرهن على حبنا للسلام ؟ .

المستشارون : هذا منتهى التسامح يجب أن نسجله للعرب مع الشكر .

الرئيس : استمر يا أستاذ فيصل .

فيصل : أحب هنا أن أتوقف قليلا لأسمع رأى اليهود فى هذا الصدد .

شيلوك : « ينهض » إننا نشكر العرب على هذا التنازل الكريم الذى نعتبره منهم ردا للحق إلى أصحابه .

الرئيس : لا أقر الفقرة الأخيرة من كلامك يا مسيو شيلوك ، وأعدها فى موقف كهذا ضربا من نكران الجميل .

شيلوك : إنى آسف يا سعادة الرئيس إذ لم يسعفنى بيانى بعبارة أجمل من هذه فى شكر العرب .

فيصل : ونحن نرفض هذا الشكر من اليهود . لا احتقارا لهم — كما قد يحلو للمسيو شيلوك أن يفسر به هذا الرفض — كلا . بل لاعتقادنا مخلصين أننا لا نستحق هذا الشكر منهم ، لأننا لم نقدم لهم شيئا يفيدهم . وحسبنا أن نتقبل شكر العالم على هذه الخدمة العظيمة التى قمنا بها لتحقيق أغراضه السلمية . وإنما أردت أن أسمع رأى اليهود فى النصيحة التى أسديتها إليهم .

شيلوك : نحن أعرف بمصلحتنا من غيرنا ، ولسنا بحاجة إلى نصيحة أحد ولا سيما فى ميدان الاقتصاد .

فيصل : ها قد بلغت ، فاشهدوا أيها السادة على ما قاله المسيو شيلوك .

الرئيس : أجل ، نحن عليه من الشاهدين. استمر يا أستاذ فيصل. إنك لرسول السلام حقا ، وإن لصوتك الحنون لموسيقى عذبة تطرب لها أسماع محبى السلام وتهش لها أرواحهم !

فيصل : « يتورد وجهه خجلا ويضطرب قليلا » شكرا لإطرائك ياسعادة الرئيس « يستجمع قواه ويسيطر على عواطفه » ياحضرات المستشارين . إننا إن رضينا بقيام الدولة اليهودية فى فلسطين حسما للنزاع ، فلن نرضاها إلا دولة مستقلة استقلالا تاما ، لا تابعة للتاج البريطانى ولا لأية دولة أخرى ، لأننا لانريد أن تكون هذه الدولة التى تنازلنا من أجلها عن قطعة عزيزة من وطننا العربى الكبير مثار خصومة جديدة بيننا وبين صديقتنا بريطانيا العظمى ، أو غيرها من دول العالم التى يهمنا أن يسود بيننا وبينها الصفاء . فهل ترون فى اشتراطنا هذا من شطط ؟

الرئيس : كلا . بل هذا شرط واجب لو لم يقترحه العرب لاقترحته هيئتنا الدولية .

فيصل : أيها السادة . تعلمون جميعا أن الدولة اليهودية إن قامت فى فلسطين فلن تقوم برضانا ، وإنا وإن تعهدنا ألا نتعدى عليها بقوة السلاح إلا أنه ليس فى وسعنا أن نتعهد لها بالحب والولاء ، لا تجنيا منا على اليهود بل عجزا منا عن الوفاء بهذا التعهد . فهل تطالبوننا أيها السادة بما ليس فى إمكاننا ؟ .

الرئيس : كلا . لا سلطان لأحد على أهواء القلوب . هذا أمر بديهى لا يمارى فيه اثنان .

فيصل : أيها السادة . إن لم تنشأ بيننا وبين هذه الدولة اليهودية وشائج المحبة . فهل تفرضون عليها أن تتعامل معنا أو علينا أن نتعامل معها ، أم تتركوننا أحرارا فى ذلك كما هو الشأن فى جميع الدول الحرة ؟ .

الرئيس : بالطبع كلا الفريقين حر فى التعامل مع الفريق الآخر أو عدم التعامل معه .

فيصل : أظنكم أيها السادة توافقوننا على أن من حق هذه الدولة اليهودية أن تستبعد من أرضها من لا ترغب فى بقائه من العرب ، حرصا منها على ضمان سلامتها

من الوجهة السياسية والمدنية .

الرئيس : هذا – لا ريب – اعتراف منكم عادل .

فيصل : وأظنكم توافقوننا أيضا أن للعرب مثل هذا الحق بالنسبة لليهود المقيمين فى بلادهم .

الرئيس : « يتوقف قليلا » هذا حق لا يستطيع أحد أن ينكره عليكم .

إبراهام : «ينهض محتجا» لكن نحن معشر اليهود اللاصهيونيين المقيمين فى بلاد العرب . ماذا يكون حينئذ مصيرنا ؟

فيصل : أنتم منا . لكم ما لنا من الحقوق وعليكم ما علينا من الواجبات . أما الدولة اليهودية فما أدرى هل تقبلكم فى بلادها أم لا ؟

شياوك : « ينهض » لسنا من الغباوة بحيث نرضى أن يبقى هذا الطابور الخامس فى بلادنا . سيكون هؤلاء الخونة أول من نستبعدهم من دولتنا الإسرائيلية المقدسة ! .

إبراهام : « محتجا بحدة » أفى العدل أيها السادة أن يخرجنى هؤلاء اللاجئون الأجانب من مسقط رأسى ورءوس آبائى وجدودى منذ القدم ؟ إن هذا إذن لظلم عظيم .

شياوك : هذا جزاء الخونة للشعب الإسرائيلى !

فيصل : لا تبتئس يامسيو إبراهام . سيكون حالكم عندنا كحال إخواننا عرب فلسطين . لكم أن تختاروا أي قطر من أقطارنا تقيمون فيه وتتخذونه بلدا لكم .

إبراهام : شكرا لكم . نحن لانريد أكثر من هذا .

فيصل : هذا مضمون لكم .

إبراهام : ياحضرات السادة . إنى لأعلم أن هذا المجلس الموقر ليس موضعا للهتاف . ولكن اسمحوا لى أن أهتف بجملة واحدة « يرفع صوته » ليحى العرب ! ليحى العرب ! ليحى العرب !

شيلوك : « ينهض مغضبا » أتدرون أيها السادة لم هتف هذا وحزبه للعرب ؟ صدقونى إن قلت لكم إنهم ليسوا بأقل منا كراهية للعرب وبغضا لهم . ولكنهم قوم منافقون مغرضون يريدون أن يخلو لهم جو النشاط الاقتصادى فى بلاد العرب ليستغلوا خيراتها وحدهم دون أن يشاركهم فيها غيرهم من اليهود ، أفليس هذا خيانة منهم للشعب اليهودى ، وتدليسا منهم على العرب ؟ هأنذا قد هتكت سر هؤلاء ، وتبرعت بنصيحتى هذه للعرب لعلهم يتقون شرهم !

فيصل : أشكرك على هذه النصيحة الثمينة يامسيو شيلوك وإن كان يؤسفني أن أعلن أننا معشر العرب لا نستطيع أن نعمل بها . لأننا قد اعتبرنا هؤلاء منا ، فلهم أن يستغلوا من خيرات بلادنا ما يشاءون ما احترموا قوانين البلاد وقاموا بما عليهم من الواجبات .

شيلوك : إن انخدعتم لهم أنتم فنحن لهم بالمرصاد !

فيصل : ماذا تعني بهذا يامسيو شيلوك ؟ ..

شيلوك : إبراهام يفهم ما أعني ! .

إبراهام : يعني أنهم سينافسوننا في سوق البلاد العربية .

فيصل : قل له يامسيو إبراهام ليفعلوا إن استطاعوا .

إبراهام : ستموتون بغيظكم إن حاولتم فتح هذا الباب ! .

الرئيس : دعونا أيها السادة من هذه التفرعات التي تتفرق بنا عن القصد ، وعودوا بنا إلى صلب الموضوع . استمر يا أستاذ فيصل .

فيصل : قبل أن أعلن باسم الجامعة العربية تنازل العرب عن فلسطين لليهود ، يجب أن أستوثق جيدا أن اليهود قد فهموا هذه النقط الأربع التي شرحتها آنفا وأنهم موافقون عليها .

الرئيس : « لشيلوك » هل لديكم أي اعتراض على هذه النقط

الأربع التى وافق عليها المجلس ؟ .

شيلوك : نعم . نعترض على النقطة الثالثة ، فهى تتضمن أن للعرب أن يقاطعوا بضائعنا وسلعنا ومنتجاتنا . وإنى أرى أن هذه المقاطعة غير قانونية ولا مشروعة .

سوردز : « ينهض » هل تسمحون لى أيها السادة أن أتولى الرد على المتكلم ؟ .

الرئيس : تفضل ياجنرال سوردز . « يجلس فيصل » .

سوردز : إن التعامل بين الدول الحرة حر لا يخضع لقانون إلا قانون المنفعة المتبادلة . فللدولة اليهودية أن تقاطع بضائع العرب وسلعهم ، ولا حرج عليها فى ذلك .

شيلوك : أيها السادة : إن هذا المندوب البريطانى لمغرض فى دفاعه عن هذا المبدأ . فبريطانيا قد أضحت تغار من ازدهار صناعتنا . وتخشى أن نقضى فى المستقبل على سوقها فى الشرق الأوسط .

سوردز : « يضحك » ولكن هذا المبدأ صحيح من وجهة القانون الدولى ، سواء وافق غرض بريطانيا أو لم يوافقه . فهل تريد يامسيو شيلوك أن تلغيه اليوم لأنه لايوافق غرض اليهود ؟ وبعد فيؤسفنى أيها السادة أن ينسى اليهود جميل بريطانيا بهذه السرعة

وهم يعلمون أنه لولا تشجيعها لحركتهم الصناعية في فلسطين طوال سنى الانتداب بمختلف الوسائل لما أمكنها أن تزدهر .

شيلوك : أى تشجيع تعنى ؟ لعل موقفك هذا منا اليوم إحدى وسائل ذلك التشجيع !

سوردز : « يستمر » حسبى أن أذكر من تلك الوسائل أمرين : أحدهما أن الحكومة المنتدبة قررت ضريبة جمركية عالية على المصنوعات الواردة ، وذلك لحماية المصنوعات اليهودية . وأعترف مع الأسف الشديد أن هذا قد أضر بالسكان العرب لأنه رفع ثمن المواد التى يستهلكونها . والثانى أن الحكومة أعفت الفحم الحجرى والأكياس الفارغة والآلات الميكانيكية وما يجرى مجراها من الضرائب الجمركية لتساعد بذلك المؤسسات الصناعية اليهودية . وأعترف مع الأسف الشديد أيضا أن هذا كان على حساب دافع الضرائب العربى . أفليس عجيبا أيها السادة بعد هذا كله أن يكون موقف العرب منا أكرم من موقف اليهود ؟

الرئيس : أحسنت البيان ياجنرال سوردز .. إن المجلس يقرر دفع الاعتراض على هذه النقطة . فهل لك اعتراض

(شيلوك)

على نقطة أخرى ياهسيو شيلوك ؟ « يجلس سوردز » .

شيلوك : « يكظم غيظه » نعم على النقطة الرابعة . إذ نرى من الظلم العظيم أن يخرج اليهود المقيمون فى مصر والعراق واليمن وغيرها من ديارهم لغير ذنب جنوه . لقد كنا نظن أن مصرع الطغيان النازى فى أوربا سيتبعه زوال اضطهاد العالم لليهود . ولكن يظهر لنا مع الأسف أيها السادة أن أملنا فى هذا قد خاب .

سوردز : « ينهض » يظهر لى أيها السادة . . . .

شيلوك : « مقاطعا » بأى صفة تتولى الرد على كلامى وهو غير موجه إليك ؟ وإنما أنت متهم مثلى ومثل المفوض العربى .

سوردز : أجل . إنى متهم مثلكما . ولكنى فى الوقت نفسه شاهد . فأنا أتولى الرد على كلامك الآن كشاهد « للمستشارين » فهل يأذن لى المجلس الموقر بالكلام ؟

الرئيس : تكلم . « لشيلوك » لا تقاطعه يامسيو شيلوك !

سوردز : يظهر لى أيها السادة أن المسيو شيلوك قد نسى أننا الآن أمام عقد اتفاق بين طرفين يلتزم كلاهما فيه بشروط معينة للطرف الآخر فى سبيل منفعة يعتقد أنه يجنيها من وراء هذا الاتفاق . فإن كان أحدهما يرى فى هذه الشروط أو بعضها حيفا

عليه فليرفض الاتفاق من أصله ، وليس لأحدهما أن يلزم الآخر بما التزم به إذا لم يقم هو بما عليه من الالتزام . فعلى اليهود أن يقرروا لأنفسهم هل يقبلون هذا العرض السخى من جانب العرب بشروطه وتحفظاته العادلة أم يرفضونه . وليس من الظلم فى شىء أن يخرج اليهود من مصر والعــراق وغيرها من الأقطار العربية لوجود ما يقتضى ذلك . وإذا كان من الضرورى أن يلتمس لهؤلاء ذنب ، فذنبهم أنهم أرادوا أن تكون لهم دولة فلسطين العربية يشعرون فيها بالعزة والكرامة على حساب العرب . ويجدر باليهود أن يعلموا أن لكل شىء فى الوجود ثمنه ، وأن على الشعب الذى يريد أن تكون له دولة فى الدنيا ألا يتهرب من القيام بتبعاتها . أما ما ذكره المسيو شيلوك من اضطهاد اليهود على يد النازية فى أوربا فلا وجه لزجه هنا ، إذ لا علاقة بين المسألتين . وقد انهارت النازية وقبر معها اضطهادها لليهود . فهذه الحقيقة قد تصلح اليوم أن تكون حجة على اليهود لا حجة لهم . « يجلس » .

شيلوك : ولكن العرب اتسصدرون أموال هؤلاء وأملاكهم

وهذا ظلم صارخ .

فيصل : « ينهض » لا مناص لى من دفع هذا الاعتراض . فليطمئن المسيو شيلوك أننا لا نصادر أموال أولئك اليهود ولا أملاكهم . بل أتعهد للمجلس الموقر بأننا سنتكفل بإيصال أولئك اليهود إلى مأمنهم فى دولتهم الجديدة سالمين آمنين على أموالهم وأنفسهم و . . . أعراضهم ! « ضحكات مكبوتة فى صفوف القاعة » .

الرئيس : « يشير بلزوم الهدوء » إذن فهذا الاعتراض أيضا مدفوع . فهل لك يامسيو شيلوك من اعتراض آخر ؟

شيلوك : « مغيظا » إذا كانت اعتراضاتى تهمل على هذا الوجه ويرمى بها عرض الحائط فلا داعى لذكر اعتراضات أخرى .

الرئيس : يؤسفنى أن أقول لك إن تكن الاعتراضات الأخرى على مثال الاعتراضات التى أبديتها فلا داعى لذكرها حقا ؛ كيلا تطيل علينا أمد المناقشة فى غير طائل . والآن عليك يامسيو شيلوك بصفتك معوض اليهود الصهيونيين أن تبت فى هذه المسألة : هل تقبلون عرض العرب السخى أم لا ؟ وقبل أن تجيب

بالإيجاب أو النفى أرى لزاماً علينا أن نذكرك بأن المسألة خطيرة جدا ، وأن على جوابك يتوقف مستقبل الشعب اليهودى . وإذا كان لنا أن ننصحكم فى هذه المسألة الخطيرة ، على ضوء الحقائق التى استعرضناها فى جلسات هذه الهيئة الدولية الموقرة ، وما يترتب على تلك الحقائق من النتائج والاحتمالات فى المستقبل ، فإننا ننصحكم بالعدول نهائيا عن فكرة المملكة اليهودية فى فلسطين لتعيشوا مع العرب — كما كنتم من قبل — وادعين متعاونين مفتوحة أمامكم أبواب النشاط الاقتصادى فى جميع أقطارهم . فهذا خير لكم من التشبث بهذا الحلم الصهيونى الذى لا يسهل تحقيقه ، ولا تؤمن عواقبه ، ولا تزيد منافعه على مضاره . فاقبلوا هذه النصيحة الصادرة منا عن إخلاص لا يرتفع إليه الشك ، ونزاهة لا تحوم حولها الشبهات .

شيلوك : يؤسفنى ياسعادة الرئيس ويا أيها السادة أن أعلن لكم أننا لا نستطيع قبول هذه النصيحة . فليست فكرة المملكة اليهودية وليدة اليوم أو الأمس القريب وقد درسناها من جميع وجوهها ، وفكرنا فى

نتائجها واحتمالاتها ، فاستقر رأينا جميعا على أن نستعيد هذا الحق المسلوب بأى ثمن .

الرئيس : إذا فهذا قراركم الأخير ؟

شيلوك : « يبلع ريقه » نعم .

الرئيس : هل للعرب أى اعتراض أو أى تحفظ آخر فما يزال لهم الخيار ؟

فيصل : « ينهض » كلا ياسعادة الرئيس ليس لنا أى اعتراض ولا أى تحفظ آخر .

الرئيس : أهذا قراركم الأخير ؟

فيصل : نعم . « يجلس » .

الرئيس : أحب أن أسأل مندوب عرب فلسطين أيضا عن رايه.

ميخائيل : « ينهض » نعم يا سعادة الرئيس .

الرئيس : أخبرنى يا أستاذ ميخائيل هل لكم أى اعتراض أو أى تحفظ آخر فى هذا الاتفاق الخطير ؟

ميخائيل : كلاياسعادةالرئيس ، فباعتبارنا عضوا فى جامعة الدول العربية وبتفويضنا لها تفويضا تاما فإن قرارها هو قرارنا ومشيئتها هى مشيئتنا .

الرئيس : إذا فهذا قراركم الأخير ؟

ميخائيل : نعم . « يجلس »

الرئيس : وأنت يا جنرال سوردز ، هل لك أى اعتراض على

هذا الاتفاق بصفتك مندوبا مفوضا للدولة المنتدبة ؟

سوردز : « ينهض » ليس لى أى اعتراض يا سعادة الرئيس . إنى بالنيابة عن حكومتى أعلن الموافقة التامة على هذا الاتفاق .

الرئيس : أهذا قراركم الأخير ؟

سوردز : نعم . « يجلس » .

الرئيس : « بصوت وقور » فلتكن مشيئة الله !.

أحد المستشارين : « ينهض » غدا يحضر المندوبون المفوضون فى تمام الساعة الخامسة مساء ، لتوقيع الاتفاق والنظر فى تكوين اللجان اللازمة للشروع فى تنفيذه . والآن انتهت الجلسة .

السكرتير العام : « بصوت عال » أيها السادة ، انتهت الجلسة ! .

« يخرج المستشارون من الباب الخاص خلف المنصة ويتبعهم هيئة السكرتارية . ويندفع الناس للانصراف من القاعة بينما يتقدم ميخائيل نحو فيصل فيصافحه بحرارة ويهنئه على توفيقه العظيم ، ويتناوله عبد الله الفياض فيشد على يده مهنئا ووجهه يتهلل البشر » .

عبد الله : إنك والله لرائع يا أستاذ فيصل .

ميخائيل : أجل ، إنك بذكائك النادر وألمعيتك الممتازة قد ضربت المثل الأعلى لشباب العرب !

فيصل : بعض هذا الإطراءياميخائيل بك . فإننى أخشى أنه يجئ يوم تغيران رأيكما فى .

عبد الله : معاذ الله ياأستاذ فيصل .. كيف يكون هذا ؟

ميخائيل : حاش لله أن يتغير رأينا فيك .

فيصل : « يبتسم » قد تظهر فتاة من فتيات العرب غدا فتنتزع منى هذا اللقب العظيم الذى أضفيتماه على ! .

عبد الله : « مستغربا » فتاة من فتيات العرب ! .

فيصل : نعم . أليس هذا جائزا ؟ .

ميخائيل : إذا أعيانا أن نجد هذا المثل فى فتياننا أفنجده فى فتياتنا يا أستاذ فيصل ؟

فيصل : يؤسفنى أن أخالفكما فى هذا الرأى ، ولعلكما تدهشان إن قلت لكما إن ابنه عمى نادية لو عهد إليها بما عهد إلى فى هذه القاعة ، لأجزأت عنى وربما فاقتنى .

ميخائيل : لقد بلغنى أنها ضليعة فى القانون الدولى ، ولكنى لا أحسبها تبلغ مبلغك ياأستاذ فيصل .

فيصل : هذا دأبكم معشر الرجال تميلون دائما إلى غمط مواهب الفتيات ، ولكن ربما يأتى يوم تعدلون فيه عن هذا الرأى .

ميخائيل : لن نعدل عن هذا الرأى إلا إذا استطاعت فتاة من

فتياتنا أن ترينا مثل هذا النبوغ .

فيصل : يظهر لى أنكم لن تقتنعوا بصواب رأيي إلا إذا أحالني الله الآن فتاة أمامكم . ومن يدرى لعلكم تصرون على رأيكم حتى ولو تمت هذه المعجزة .

ميخائيل : « يقهقه ضاحكا » ما أخف دمكم معشر المصريين ، تجيدون النكتة فى كل حين ! .

عبد الله : « يصطنع الضحك وينظر إلى فيصل مسارقة وعلى وجهه دلائل الحيرة » هذا صحيح .

فيصل : ترى هل تغير رأيك يا ميخائيل باك لو تمت هذه المعجزة ؟

ميخائيل : « يضحك » ماذا تقول ياأستاذ فيصل ؟

فيصل : « مبتسما » أجب على سؤالى .

ميخائيل : « يضحك » بالطبع أغير رأيي .

فيصل : وأنت ياأستاذ عبد الله أتغير رأيك أيضا ؟

عبد الله : « تزداد علامات الحيرة فى وجهه » نعم .

فيصل : وتغير رأيك فى الزواج أيضا ؟ .

عبد الله : أما هذا فلا :

فيصل : يالك من شاب عنيد ! .

عبد الله : قد قلت لك إنه نذر ألزمت به نفسى ولن أعدل عنه ماحييت .

فيصل : حتى ولو كان الزواج ببادية ؟ .

ميخائيل : ما أوسع صدرك يا أستاذ فيصل وما ألبقك فى الحديث « لعبد الله » إن الأستاذ فيصل يشفق عليك أن تظل طول عمرك أعزب .

فيصل : « لعبد الله » قل لى يا أخى حتى ولو كان الزواج ببادية ؟

عبد الله : « محرجا » بالله يا أخى أعفنى من هذا المزاح .

ميخائيل : « لعبد الله » امزح مثله يا بنى وقل له إنك تقبل .

فيصل : هل تقبل الزواج ببادية ؟

عبد الله : « ضاحكا » نعم أقبل . فهل تتنازل عنها لى ؟

فيصل : قد تنازلت عنها لك !

عبد الله : « فى شىء من الجد » لكن فى وسعك أن تجعلها تقبلنى ؟ .

ميخائيل : إى والله هذه هى العقبة .

فيصل : هذا هين على . أعطنى خاتمك .

عبد الله : « فى تردد » ماذا تصنع به ؟

فيصل : أعطنيه وسترى ماذا أصنع به .

عبد الله : « يعطيه خاتمه » ها هو ذا خذه .

فيصل : « يلبس الخاتم فى أصبعه » ها قد رأيت ماذا صنعت

بخاتمك . ألم تفهم بعد ؟

عبد الله : لم أفهم شيئا .

فيصل : « يخرج خاتم نادية ويناوله إياه » أتعرف هذا الخاتم ؟

عبد الله : نعم هذا خاتم ناديه .

فيصل : هـذا خاتمها ولا تعرف صاحبته وهي واقفة أمامك !

عبد الله : « ينظر إليه زائغ البصر » ماذا . . . ماذا تقول ؟

فيصل : بل قل ماذا تقولين ؟ ألا تعرفني يا عبد الله ؟ .

عبد الله : « يصيح بلهفة » نادية ! .

نادية : بصوت خافض وقد تورد وجهها « لا . لا تصح هكذا . يجب أن لا يعلم الناس أنني فتاة . البس خاتمي كما لبست خاتمك .

عبد الله : « يلبس الخاتم في ذهول » يا إلهي ، هـل أنا في حلم ؟

نادية : كلا ياعبد الله بل أنت يقظان ! .

ميخائيل : « مدهوشا » ياللعجب ! !

نادية : لا تعجب باميخائيل بك فقد تمت المعجزة ، والله قادر على كل شيء .

ميخائيل : حقا والله إنك لمعجزة . هيا بنا إذن لتنزلي في بيتنا عند زوجتي وبناتي .

عبد الله : لا بل فى بيتنا عند خالتى جليلة هانم امرأة عمى .

نادية : ما أشد شوق لرؤية جليلة هانم . ولكنى لا أستطيع ذلك الآن . يجب أن لا يعلم أحد بأمرى حتى أوقع الاتفاق غدا - لا بل حتى أعود إلى مصر . حذار أن تفشيا هذا السر لأحد .

عبد الله : لكن . . . .

ناديه : « مقاطعة » أنا نازله فى الفندق مع والدتى وخالى . هل تحب ياعبد الله أن تزورها الآن معى ؟

عبد الله : « كمن يفيق من ذهوله » نعم . . نعم . بكل سرور .

نادية : وأنت يا ميخائيل بك ألا تصحبنا ؟ ينبغى أن تعرفنا من الآن ، تذكر أن اليهود لن يسمحوا لك بالبقاء فى فلسطين . فيجب أن تختار مصر مقاما لك ولعائلتك

ميخائيل شكرا يا أستاذ فى . . . . .

نادية : « تقاطعه مبتسمة » آنسة نادية . . . من فضلك .

ميخائيل : « خجلا » عفوا . . شكرا ياآنسة نادية . ثقى أننا لن نختار غير مصر . ليس فى الدنيا بلد أحب إلينا من مصر . . « متأثرا » وإن كان يعز علينا أن نترك فلسطين !

نادية : لا تبتئسوا . اطمئنوا . لن يبقى اليهود فى فلسطين . ليخرجن منها ولتعودن إليها « يسير الثلاثة ليخرجوا

من باب القاعة » .

نادية : « مقاطعة » لا . من فضلك من الآن فصاعدا يا أستاذ فيصل ! .

ميخائيل : « يضحك » معذرة ! ذلك الأمل يا أستاذ فيصل !

(ينزل الســـتار)

الفصل الثالث

نفس المنظر السابق فى قاعة محكمة القدس الكبرى بعد مرور سبع سنوات على حوادث الفصل السابق، وقد اجتمع فيها أعضاء الهيئة الدولية للنظر فى قضية فلسطين مرة أخرى . وذلك بناء على صرخات اليهود واستغاثاتهم بدول العالم لتنقذهم من الكارثة الاقتصادية التى حلت بهم . ولتشفع لهم عند العرب أن يقيلوا عثرتهم ويرضوا منهم بتصفية الدولة اليهودية وإرجاع فلسطين إلى العرب . على أن تعود العلاقات بين اليهود والعرب كما كانت من قبل . وأعضاء هذه الهيئة الدولية هم المستشارون الدوليون فى الفصل السابق أنفسهم . إلا أنه قد انضم إليهم عربى باشا . وكذلك المندوبون المفوضون الذين يمثلون الأطراف الخمسة من العرب واليهود والإنجليز هم أشخاص الفصل السابق أنفسهم . إلا أن السيدة نادية قد حلت محل الأستاذ فيصل مفوضة عن جامعة الدول العربية .

وفيما عدا تخصيص ركن خاص من قاعة المحكمة للمفوضين العرب . لا تختلف نظام المجلس هنا عنه فى المجلس السابق إلا إختلافا يسيرا ، وقد ظهرت السيدة نادية فى الركن العربى مرتدية فستانا سابغا أسود وعلى رأسها قبعة سوداء تشبه الفيصلية، ويفصل بينها وبين زوجها الأستاذ عبد الله الفياض ابنها الصغير فيصل .

— يرفع الستار عن المجلس متكاملا كما مر وصفه —

— الوقت : الساعة التاسعة صباحا —

الرئيس : إن الهيئة الدولية يسرها أن تشكر القانونى المصرى العظيم سعادة عربى باشا. على تفضله بقبول الانضمام إليها ليساعدها على تحقيق مهمتها العظيمة .

« يلتفت لعربى باشا » تفضل ياصاحب السعادة .

عربى باشا : أيها السادة . يسعدنى جدا أن أشهد هذا اليوم الذى تحققت فيه نبوءتنا بمصير الدولة اليهودية فى فلسطين العربية ، إذ جزانا الله على صبرنا وكرمنا جزاء الكرماء الصابرين ، فلله الحمد من قبل ومن بعد . وكنا قد نصحنا اليهود كثيرا أن يعدلوا عن هذه التجربة الخطرة خيرا لهم ، وأنذرناهم بأن مصيرها سيكون وبالا عليهم فلم يقبلوا نصحنا ، ومضوا

فى إصرارهم وعنادهم حتى رأوا بأعينهم عاقبة هذا العناد . وإنا لنعجب أشد العجب كيف خفى هذا المصير حينئذ عليهم وقد كان واضحا كالشمس فى رابعة النهار . . وعهدنا باليهود أنهم قوم أذكياء ولا سيما فى ذلك الميدان الاقتصادى الذى قلما يباريهم فيه أحد . . كلا ما كان هذا ليخفى عليهم . ولكنهم كانوا يعلمون عن العرب التساهل ونسيان الإساءة سريعا . فظنوا أنهم لا يلبثون طويلا حتى يرضوا عن الدولة اليهودية ويتعاونوا معها . . وفاتهم أن قضية فلسطين دون القضايا كلها يستحيل على العرب أن ينسوها أو يتساهلوا فيها . ومن هنا أساء اليهود التقدير وارتكبوا هذه الغلطة الكبرى . وهاهم اليوم أولاء قد جاءوا يستشفعون بهؤلاء السادة الكرام من صفوة المستشارين الدوليين . الذين تفضلوا فاختارونى عضوا فى هيئتهم الدولية ليقوموا بالوساطة والشفاعة إلى قومى العرب أن يقيلوا عثرة اليهود ويقبلوا عذرهم ويرضوا منهم التوبة وحسن المآب . وإنى لواثق أن قومى العرب لا يحملهم ما كابدوه على أيدى اليهود من المتاعب والآلام ، وما تجرعوه من الغصص على

أن يقفوا منهم موقف الشماتة أو القسوة . بل إن لى لوطيد الأمل أن يكونوا اليوم كرماء نحوهم كما كانوا من قبل . وإن موقفى كعضو فى هذه الهيئة الدولية ليحتم على أن أمثل دور الشفيع بكل ما أوتيت من قوة ، ولو اضطرنى ذلك إلى أن أستنزل قومى العرب عن بعض ما لهم من حقوق التعويض والترضية .

الرئيس : أشكر سعادة المستشار العربى على كلمته اللطيفة ، وأعتقد أنه مادام يقف هذا الموقف الكريم فنحن لا بد واصلون إلى النتيجة التى نصبو إليها . .

عبد الله : « ينهض » ياحضرات المستشارين . إننا معشر العرب لا نحب الشماتة ولا القسوة . بيد أنى أرى أن على المسىء أن يتحمل تبعة إساءته . والإساءة هنا ليست إلى العرب وحدهم ولا إلى المسلمين وحدهم . ولكنها موجهة كذلك إلى السلام العالمى . فيجب أن يتحمل اليهود تبعة هذه الإساءة . ويلقوا جزاءهم العدل إلى أقصى مداه ، ويشربوا كأسه حتى ثمالتها ، ليكون ذلك مثلا رادعا لكل من تحدثه نفسه بتعكير صفو السلام العالمى بالقيام بحركات طائشة ينشد بها الغنم الحرام لنفسه على حساب الآخرين ، ولا يبالى بخرق القوانين السماوية

والوضعية فى سبيل الوصول إلى مطامعه الوضيعة الباغية — ليكون ذلك مثلا رادعا لكل من تحدثه نفسه باستخدام الذهب فى شراء ذمم الناس واستباحة ما حرمته قوانين العدل والإنصاف . إن العالم أيها السادة قد قاسى وسيقاسى كثيرا من ويلات الحرب من جرّاء هذا الذهب ، الذى تعرضه هذه اليد الجشعة القاسية ليعشى بريقه أبصار الناس فيدفعهم إلى قتال بعضهم بعضا طمعا فى الحصول عليه ، حتى إذ ما بذلوا كل ما بأيديهم من الأموال والأنفس والثمرات ، تجمع من حطامها فى الميادين رصيد جديد من الذهب تمتلىء به تلك اليد الجشعة القاسية لتلوح به من جديد فى عيون الجيل التالى من البشر ، وهكذا دواليك . لقد جاء اليهود اليوم ليسترضونا وليردوا إلينا بلادنا المقدسة بعد أن رد الله كيدهم فى نحرهم وأذاقهم الله لباس الجوع والخوف : الجوع بحرمانهم من ربحهم المادى ، والخوف على مابقى لهم من الرصيد الذهبى أن تأتى عليه هذه الجائحة الاقتصادية — لقد جاءونا اليوم ليسترضونا وليردوا إلينا بلادنا المقدسة . ولعمرى إن هذا لنصر عزيز لنا وخير عظيم ساقه الله إلينا ، وإنه لجدير أن يملأ

نفوسنا بالرضا ولا يدع فيها بقية من العتب .
ولكنا معشر العرب نؤمن فى أعماق قلوبنا بأن لنا رسالة فى الوجود هى أن نفيض على غيرنا من الخير الذى يصيبنا ولا نستأثر به لأنفسنا ، وأن الله ما جعلنا على السجايا المعروفة فينا من أقدم العصور ، وما اختار لنا هذه البقعة المتوسطة بين شرق الدنيا وغربها ، إلا لنقوم بتلك الرسالة الإنسانية التى هى سر بقائنا فى هذا الوجود ، وبدونها لا يكون لنا وجود .

أيها السادة ، إن رجوع فلسطين الغالية إلينا عن طواعية من اليهود الذين اغتصبوها منا ، بل عن اقتناع منهم بضرر بقائهم فيها ، لهو خير عظيم أنعم الله به علينا . وتوجب علينا رسالتنا الخالدة أن نشرك العالم فى هذا الخير حتى يكون شاملا للإنسانية كلها ؛ وهذا لا يكون إلا بأن ندع هذا البغى اليهودى يذوق نصيبه من هذا الجزاء الإلهى العادل إلى غايته القصوى ، حتى يشهد العالم مصرع هذا البغى ويشيع جنازته إلى مرقده الأخير فتستريح الإنسانية من شروره وآثامه . أيها السادة ، إن فلسطين اليهودية قد أضحت سدوما جديدة ،

وعلينا أن ندع مصيرها يأخذ مجراه حتى تتم لعنة السماء عليها فتتخر على أهلها من القواعد ، فتبيد ويبيدوا فلا يبقى منهم من أحد يطمع فى بناء سدوم أخرى ! .

الرئيس : أحب أن ألفت نظر الأستاذ عبد الله الفياض إلى أن اليهود هم أيضا من البشر ؛ فيجب أن يشملهم هذا الخير الذى أشار إليه . ولا سيما وقد اعترفوا بخطئهم وأقروا بذنبهم ؛ فلا يعقل أن يعودوا إلى هذه التجربة مرة أخرى بعد ماذاقوا منها كل هذا العذاب .

شيلوك : « ينهض » أيها السادة . لقد صدق القائل : ويل للمغلوب من الغالب ! نحن اليوم مغلوبون فعلينا أن نتحمل كل مايرمينا بة المندوب العربى من كلمات الطعن والإهانة ، لأننا أصبحنا اليوم وليس لنا دولة تحمينا . بل ليس لنا وطن نستقر فيه ، فقد رجعنا إلى تشردنا القديم ، فليتحمل الظهر اليهودى كلماينهال عليه من سياط العذاب والاضطهاد . لقد شاءت الأقدار الظالمة أن لا يكون لليهود وطن ولا دولة كأنما لايصلح هذا العالم إلا إذا بقى اليهود فى التيه ، لا أربعين سنة كما كتبه موسى ولكن

إلى الأبد ! فلنصبر على ظلم الأقدار كما صبرنا على ظلم الناس ! « يجلس » .

عبد الله : أيها السادة ، تدبروا هذه الكلمات التى نطق بها المذنوب اليهودى التائب لنرى أى توبة تاب . إنها ليست توبة النادم على ارتكاب الذنب ، ولكنها توبة العاجز عن مواصلته . وإننا على أى حال لا نطلب لهم هذه العقوبة من أجل أنفسنا ، فقد بلغنا من ذلك ماأردنا ، ولكنا نطلبها من أجل العالم كله ، فإذا وقفتم دوننا فى هذا السبيل فقد أقمتم لنا العذر وأعفيتمونا من الملام .

الرئيس : لا حق لك يامسيو شيلوك أن تتفوه بمثل هذه الأقوال التى تزيد مهمتنا صعوبة .

كوهين : « ينهض » ياحضرات السادة . اعذروا هذا الشيخ المسكين فقد ذهب ماله كله فى هذا السبيل . وقد عاش طول عمره يحلم بالوطن اليهودى والدولة اليهودية ، ووقف عليهما كل جهوده ، وعلق عليهما كل آماله فى الحياة ، فلا أقل من أن تفسحوا له مجال العذر وتنظروا إليه بعين العطف بعد إذ شهد هذه الآمال تنهار أمام عينيه وهو فى هذه الشيخوخة العالية . أيها السادة ، إن ماقاله المسيو

شيلوك على مرارته لا تخلو من الحق . فالمأساة اليهودية مأساة إنسانية محزنة تشهد فصولها الأجيال المتعاقبة ، فتمضى الأجيال والمأساة على مسرحها باقية لا ينزل لها ستار ! وقد كنا مخلصين حين ابتغينا علاج هذه المأساة بالسعى لإنشاء الوطن القومى وإقامة الدولة اليهودية ، بحسبانها الدواء الوحيد الذى لا دواء سواه . ولكنا نعترف اليوم بأن حماستنا البالغة لعلاج هذا الداء قد أعمت عيوننا عن تقدير النتائج والاحتمالات التى تنشأ عن الخطوة الخطيرة التى أقدمنا عليها بدافع الإخلاص الشديد . فاعتبرونا مخطئين أيها السادة إن شئتم ، ولكن لا تعتبرونا غير مخلصين . وبعد فإنى أقل تشاؤما من المسيو شيلوك بصدد مستقبل الشعب اليهودى بعد هذه التجربة الأليمة ، بل إنى لأذهب إلى أبعد من ذلك فأعلن أنى متفائل خيرا من هذه التجربة ، لأنها ألقت علينا درسا ثمينا لا ينبغى أن ننساه هو أن نعض بالنواجذ على صداقة العرب ولا نفرط فيها بحال من الأحوال . وقد يؤيدنى فى تفاؤلى هـــذا ثقتى بأن العرب مهما عظمت إساءتنا إليهم لن يبخلوا علينا بإقالة العثرة وقبول التوبة ، وقد

جئنا إلى ساحتهم نادمين مستغفرين . ولئن هان عليهم أن يردونا خائبين فلن يهون عليهم أن يردوا شفاعة هؤلاء السادة الأجلاء الذين جشموا أنفسهم مشاق الحضور إلى هذه القاعة من مختلف أقطارهم النائية ، ليقوموا بهذه الخدمة الإنسانية الجليلة .

شيلوك : « ينهض » أجل أيها السادة ، هذا زمن لا يصل فيه الضعيف إلى حقه من العدل والإنصاف إلا بالتشفع والتضرع ! .

الرئيس : مهلا يا مسيو شيلوك . لا تضع فى طريقنا العوائر . « يجلس شيلوك »

كوهين : قد عرفتم حاله فاعذروه « يجلس » .

ميخائيل : أجل أيها السادة اعذروه فلم يستطع سلفه وسميه من قبل إلا أن يكون عنيدا متعنتا كما خلقه شكسبير . لقد أنكر هذا الشيخ العنيد حكمة شكسبير وعلاجه الناجع لليهود ، وأبى هو وقومه أن يعتبروا بتلك العظة البالغة التى ضربها لهم وقالوا إنه مسيحى متعصب على اليهود وشاعر متهوس . فليت شعرى بعد أن حققت الأيام فى قضية فلسطين مصداق خيال شكسبير فى قضية البندقية — هل انتفع اليهود بهذه العظة أم لا يزالون على رأيهم فى خياله المريض ؟

وأغلب ظني أنها السادة أنهم لم يتعظوا بهذا الدرس حتى الاتعاظ — وهذا المسيو شيلوك دليل على صحة ما أقول — وإذا كان لنا أن نطمع فى تحقيق هذه الغاية ، فعلينا أن نقتفي ما رسمه لنا شكسبير فى روايته الخالدة فنطبق عقوبة شيلوك بحذافيرها على أحفاده ، هؤلاء الذين ألفوا هذه الرواية الجديدة ومثلوها فى هذا القرن العشرين .

سوردز : « ينهض » ليسمح لى الأستاذ ميخائيل أن أذكره بأن هذه العقوبة ستكون قاسية جدا على هؤلاء الأحفاد !

ميخائيل : ولتسمح لى كذلك يا جنرال سوردز أن أذكرك بأن شاعركم هو الذى يقول : « الرحمة مجرمة إن تعف عن المجرمين ! » .

سوردز : الحق أنى لا أتذكر هذه الحكمة لشكسبير . بيد أننا معشر الإنجليز ليسعدنا جدا أن نرى غيرنا من الشعوب أعلم بشاعرنا منا « يجلس » .

الرئيس : هل لك ياأستاذ ميخائيل أن توضح لنا لماذا تقترح هذه العقوبة ؟

ميخائيل : نعم ياسعادة الرئيس : لأن الجريمة واحدة فى كلتا القضيتين ، بل هى فى هذه القضية أشنع ومجالها أوسع

وضررها أكبر . فالجريمة فى قضية البندقية ارتكبها مجرم واحد هو شيلوك ، ضد شخص واحد هو أنطونيو . وفى قضيتنا هذه ارتكبها عصابة كبيرة من المجرمين هم الصهيونيون ، ضد الشعب كبير هو الشعب العربى بأسره . وأركان الجريمة فى كلتيهما واحدة ، وهى استغلال الظروف استغلالا آثما ، والتلاعب بالقانون واتخاذه وسيلة لإحقاق الباطل وإبطال الحق ، والتآمر على حياة بشرية بريئة ، والتعصب الدينى الأعمى الذى يدفع إلى ارتكاب الجريمة فى سبيل المادة أو فى سبيل الانتقام .

الرئيس : ليكن هذا صحيحا ولكن كيف يمكن تطبيق العقوبة هنا ؟

ميخائيل : إن أذن لى سعادة الرئيس فصلت هذه العقوبة تفصيلا للمجلس .

الرئيس : تفضل .

ميخائيل : قد عوقب شيلوك البندقية أولا بحرمانه من ثمن الصك الذى بيده وهو الستة آلاف بندق . فيجب أيها السادة أن يحرم اليهود من الثمن الذى دفعوه من أجل وعد بلفور سواء كان هذا الثمن مالا أو ظروفا قاهرة ! « ضحك فى المجلس » .

سوردز : « ينهض » يجب أن أشكر الأستاذ ميخائيل إذ أعفى حكومتي وأبرأ ذمتها من ذلك الثمن الباهظ !

ميخائيل : الفضل فى هذا لوليم شكسبير يا جنرال سوردز .

سوردز : « يضحك » لك فضل التطبيق على كل حال . « يجلس » .

ميخائيل : وعوقب شيلوك ثانيا بصدور حكم القتل عليه . وحيث أنه يتعذر قتل الصهيونيين جميعا فيجب أن يقتل زعماؤهم المسئولون فى الدرجة الأولى عن تدبير هذه المؤامرة ، وفى مقدمتهم المسيو شيلوك هذا !

شيلوك : « بصوت أجش » ماذا يقول هذا ؟ أيريد قتلى ؟ أتوافقونه على هذا ؟ أتتآمرون جميعا على حياتى ؟

عربى باشا : هدىء من روعك يا مسيو شيلوك فسأدافع عنك فى هذه النقطة . « لميخائيل » تذكر يا أستاذ ميخائيل أن رئيس البندقية قد خول حق العفو فأعفى شيلوك من القتل . فيجب أن نخول سعادة الرئيس مثل هذا الحق فى العفو عن هؤلاء الزعماء الصهيونيين .

ميخائيل : إن شاء سعادة الرئيس يعفو عنهم فعل .

الرئيس : « يبتسم » مادمنا نتبع سنة شكسبير فلا مناص لى من العفو عنهم .

عربى باشا : وماذا أيضا ياأستاذ ميخائيل ؟

ميخائيل : وعوقب شيلوك ثالثا بمصادرة جميع أمواله وأملاكه ، وإعطاء نصفها للمتآمر عليه ، والنصف الآخر لحكومة البندقية . فيجب أن تصادر أموال الصهيونيين جميعا ، فيعطى نصفها للشعب العربى ، والنصف الآخر لهيئة السلام الدولى .

عربى باشا : لكن حكومة البندقية قد تنازلت عن نصيبها مكتفية بغرامة مالية . كما تنازل أنطونيو أيضا عن نصيبه مكتفيا باشتراط أن يعطى نصف مال شيلوك لابنته.

ميخائيل : فلتتنازل هيئة السلام الدولى عن نصيبها إن شاءت . وليتنازل العرب عن نصيبهم . على أن يعطى لليهود اللاصهيونيين الذين خرجوا عن مبادىء الصهيونية كما خرجت جسيكا عن مبادئ أبيها .

إبراهام : « ينهض » هذا عدل أيها السادة ، فقد أصابنا ضرر كبير من جراء الحركة الصهيونية ، فسيكون هذا المال بمثابة تعويض لنا عن هذا الضرر « يجلس » .

شيلوك : « ينهض مزمجرا » أيعطى مالنا لهؤلاء الخونة المارقين؟ كلا أيها السادة . إن كان لابد من إعطائه لأحد فأعطوه للعرب ولا تعطوه لهؤلاء « يجلس » .

عربى باشا : ألفت نظرك مرة أخرى يا أستاذ ميخائيل إلى أن أموال شيلوك كانت فى البندقية فهى خاضعة

لحكومتها . أما أموال الصهيونين-فليست تحـــت أيدينا إذ يقع معظمها تحت ظـــلال الحكومات الأخرى ، فالاستيلاء عليها : متعذر .

ميخائيل : إننى أنظر إلى القضية كقضية عالمية ، وعلى دول العالم أن تتكاتف جميعا على توقيع هذه العقوبة باعتبار الجريمة موجهة ضد السلام العالمى كله .

عربى باشا : هذا رأى قد يكون مفيدا من الوجهة النظرية ، ولكنه اليوم غير متيسر من الوجهة العملية .

ميخائيل : فلنقتصر على أموالهم التى فى فلسطين .

عربى باشا : أما هذه فلعلك توافقنى على أنها ستكون محل النظر فيما بعد . فهل لديك شىء آخر ؟

ميخائيل : نعم . ألزم شيلوك أخيرا باعتناق المسيحية والخروج من الديانة اليهودية باعتبارها منبع هذا التعصب الدينى الأعمى ، وهذا الحقد على البشر ، وهذا الجشع والشدة والغلو فى حب المادة وعبادتها ، فكانت المسيحية بما فيها من الروحية المثالية خير علاج له ، وأعتقد أن هذا الدواء الذى قدمه شكسبير هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية العالمية .

إبراهام : « ينهض معترضا » لكن نحن اللاصهيونيين ماذنبنا حتى تطبق علينا هذه العقوبة ؟

ميخائيل : إنها بالنسبة إليكم ليست عقوبة بل ستكون سعادة لكم في المحيا والممات .

إبراهام : هذه عقيدتكم معشر المسيحين وليست عقيدتنا ، ويجب أن يحترم بعضنا البعض عقيدته الدينية .

ميخائيل : لا بأس إذن أن تستثنوا أنتم من هذا القرار باعتبار أن يهوديتكم لم تدفعكم إلى الإضرار بحقوق الأخوة البشرية كما دفعت الصهيونين إلى ذلك .

شيلوك : « ينهض صائحا » أتريدون أن تخرجونا من ديننا أيضا ؟ اسخرى بنا ما شئت أيتها الأقدار ! !

عرابي باشا : اطمئن على دينك يا مسيو شيلوك فلن يخرجك منه أحد . « يلتفت لميخائيل » أنسيت يا أستاذ ميخائيل أن تعاليمنا الدينية وتقاليدنا العربية لا تسمح لنا بهذا الإكراه في الدين ؟ وقد كان تاريخنا الطويل مثالا للتسامح الديني النبيل .

ميخائيل : ليس هذا الدواء من صيدليتي يا سعادة الباشا بل من صيدلية شكسبير . وأنا ما اقترحته بدافع الدين ولكن بدافع المصلحة العالمية .

عرابي باشا : لاشك عندى أن شكسبير لو كتب روايتـــه عن قضيتنا هذه لما فاته أن يراعى تقاليد العرب التى لا تتفق مع إيقاع مثل هذه العقوبة . أما من حيث

المصلحة العالمية فأرجو أن يجد العالم للمشكلة اليهودية حلا أكرم من هذا . وقد جئنا اليوم لنشفع لليهود لا لنعاقبهم .

ميخائيل : إننى لا أطالب بعقابهم تشفيا منهم بل تأديبا لهم .

عربى باشا : كفى بهذه الجائحة الاقتصادية عقابا لهم : « يجلس ميخائيل » .

كوهين : « ينهض » إننى أشكر سعادة عربى باشا على حسن دفاعه عنا .

عربى باشا : كل ما أرجوه وترجوه الهيئة الدولية منكم أن تكونوا عونا لها على حل المشكلة ، بما تظهرونه من حسن النية وصدق الرغبة فى التفاهم .

كوهين : نعدك بهذا يا سعادة الباشا .

عربى باشا : « يلتفت للرئيس » أظن يا سعادة الرئيس أن قد آن لليهود أن يتقدموا بمطالبهم ليعرضوها على المجلس .

الرئيس : نعم هذا صحيح . فما هى مطالبكم يا أستاذ كوهين ؟

كوهين : لقد ماتت الدولة اليهودية فى فلسطين ، فلا أقل من أن تأذنوا لنا ببقاء وطننا القومى فيها دون أن يكون له أى صبغة دولية ، وفى الحدود التى يرتضيها العرب .

عبدالله النقيب : « ينهض » عجبا لهؤلاء اليهود أنها يزالون بعد هذا

كله يطمعون فى خرافة الوطن القومى ؟ فليعلموا إذن أن العرب لن يرضوا أن يقوم فى بلادهم أى وطن قومى لليهود أو لغيرهم ولو انحصر فى دار واحدة ! لقد أعطى لهم وعد بلفور ظلما فأبوا إلا أن يتوسعوا فى مضمونه ولسنا مستعدين لإعادة التجربة . وبما أن صك بلفور الباطل من أساسه كان سبب هذه المحنة كلها فيجب أن يقضى على مضمونه قضاء تاما حتى لا تتكرر المأساة من جديد.

كوهين : إننا لانريد الوطن القومى إلا لنحافظ على اللغة العبرية التى بذلنا فى إحيائها جهود العمر .

عبد الله : لابد من إرجاع هذه اللغة إلى أكفانها ، فالتفكير فى إحيائها كان أكبر مظهر من مظاهر الصهيونية التى سببت كل هذه المشكلات .

كوهين : أئذا عدلنا عن الوطن القومى ، فهل تسمحون للراجعين منا إلى الأقطار العربية بدراسة هذه اللغة وتعليمها لأولادهم ؟

عبد الله : كلا ، يجب أن تكون ثقافتهم هى ثقافة البلد الذى ينزلون به ، وللغة العبرية كرسى فى جامعاتنا المصرية فلأولادكم أن يدخلوا هذه الجامعات ليدرسوها فيها . أما الثقافة العامة فخاضعة لحكومتنا

ولا يجوز الخروج على مناهجها إلا بإذنها ، وهى لن تأذن لكم بانشاء مدارس خاصة تعلمون فيها العبرية .

كوهين : فيم هذا الحجر أيها السادة ؟ لماذا لا يكون حالها كحال اللغات الأوربية المقررة فى مدارسنا وفى مدارس العرب ؟

عبد الله : نحن فى بلادنا ندرس الإنجليزية والفرنسية ، ولكننا لا ندرس العبرية إلا كلغة تاريخية فى الجامعات ، ولا نستطيع أن نسمح لكم بتقريرها فى المدارس ولا باستعمالها فى الصحافة والمكاتبات العامة لأن ذلك سيذكركم دائما بالدولة اليهـــودية وليس ذلك من مصلحتنا ولا من مصلحتكم ولا من مصلحة السلام العالمى .

إبراهام : « ينهض » أيها السادة . إنى أؤيد هذا الرأى بكل بكل قواى ، فقد قامت الصهيونية على الوطن القومى وعلى إحياء اللغة العبرية ولابد من هدم الصهيونية وهدم أركانها ومحو جميع مظاهرها . وإنى أقترح على المجلس الموقر أن يصدر قرارا رسميا بحل الصهيونية واعتبارها حركة إجرامية فى العالم كله .

عبد الله : أجل إننا لن نطمئن إلى حسن نية اليهود ولن يكون

بيننا وبينهم أى تفاهم إلا إذا صدر هذا القرار . فالصهيونية هى المسئولة عن جميع هذه المتاعب وما دامت قائمة فلا تفاهم ولا وفاق .

الرئيس : هذا صحيح والهيئة ستصدر هذا القرار .

شيلوك : « ينهض محتجا » لكن بأى حق تصدرون هذا القرار ؟

الرئيس : يامسيو شيلوك لا تضع . . . .

شيلوك : « مقاطعا » فى طريقنا العوائر . قد حفظت العبارة يا سعادة الرئيس .

الرئيس : فاعمل بها إذن « مجلس شيلوك » .
« لكوهين » وماذا أيضا يامسيو كوهين ؟

كوهين : نريد أن يسمح لنا بالإقامة فى الأقطار العربية والهجرة إليها .

عبد الله : انظروا أيها السادة إلى صفاقة هؤلاء كيف ينتظرون من العرب الذين قاوموا الهجرة اليهودية إلى فلسطين أن يفتحوا أبواب أقطارهم كلها لهذه الهجرة .

الرئيس : أعتقد أن العرب سيعتبرون الهجرة اليهودية كأى هجرة أخرى تتوقف على رضا الحكومات العربية ، شأن اليهود فى ذلك كشأن اليونان وغيرهم من الشعوب . أليس كذلك يا أستاذ عبد الله ؟

عبد الله : نعم ياسعادة الرئيس .

كوهين : ولكن اليهود الذين كانوا مقيمين فى الأقطار العربية يجب أن يسمح لهم بالعودة إلى ديارهم .

الرئيس : ما أحسب العرب يعترضون على هذا فعهدى بهم أنهم كانوا كرماء فى معاملة اليهود المقيمين عندهم .

عبد الله : إن البلاد العربية أيها السادة قد تنفست الصعداء وانتعشت اقتصادياتها منذ تخلصت من هؤلاء واستراحت من احتكارهم للاستيراد الخارجى ، وتلاعبهم بالبورصة والنقود الصغيرة ، وبعض البضائع التى يسحبونها من الأسواق ليبيعوها بعد ذلك بأسعار عالية ، وغير ذلك من الوسائل غير المشروعة. فعزيز عليها أن تقبلهم ليمثلوا دورهم البغيض فيها من جديد . إننا لا نستطيع أيها السادة أن نقبلهم .

ميخائيل : « ينهض » إن عودتهم إليها أيها السادة سيكون معناها القضاء على هذا الانتعاش الإقتصادى القومى فى كل قطر من أقطار العرب .

الرئيس : لعل من الخير أن أسمع فى هذا رأى مندوبة الجامعة العربية ، فقد كانت الآنسة نادية حمامة السلام حين كانت ترتدى ملابس الأستاذ فيصل فى نفس هذه القاعة قبل سبع سنوات . وإنى لأرجو اليوم أن تكون السيدة نادية — كعهدنا بها — حمامة السلام

فى هذا المجلس أيضا .

نادية . : « تنهض » أشكر سعادة الرئيس على جميل ثنائه وحسن ظنه ، وأؤكد لكم ياحضرات السادة أنى لن أدخر أى وسع فى إيجاد أعدل حل يمكن أن تصان به مصالح كلا الفريقين .

الرئيس : فما رأيك فى عودة اليهود إلى ديارهم فى الأقطار العربية ؟

نادية : إن الاعتراض الذى أبداه زميلاى المحترمان لوجيه فى جملته وأسبابه صحيحة لاريب فيها ، ولكنى بالرغم من ذلك سأقبل هذا المطلب اليهودى على شرط أن يتعهد لنا اليهود بالكف عن الأعمال المضرة باقتصاديات البلاد .

عبد الله : ما أظنهم يستطيعون الكف عنها وقد مردوا عليها من قديم العهود .

نادية : فى وسعنا أن نملى عليهم مانشاء من الشروط وأن نسن لردعهم مانشاء من القوانين ، فلن يرفضها اليهود فيما أعتقد .

كوهين : إن لم يكن فيها حيف علينا فلن نرفضها .

نادية : كلا لن يكون فيها أى حيف عليكم ، وإنما يراد بها حماية الاقتصاد الوطنى أن تجوروا فيه على غيركم

من المواطنين أو بجور غيركم عليكم فيه ، والأساس في هذا أن تكونوا في بلادنا مثلنا لا تستأثروا بشئ دوننا ولا نستأثر بشئ دونكم ، فهل تريدون أكثر من هذا ؟ .

كوهين : لا لا نريد أكثر من هذا .

نادية : فاحتكاركم للاستيراد الخارجي مثلا ، ألا ترى أن هذا الاحتكار مضر بمصالح غيركم من التجار المواطنين ؟

كوهين : هذا صحيح ، ولكنا لانمنع غيرنا من الاستيراد ولا حرج علينا إذا ماسبقناهم في هذا المضمار بمحض نشاطنا ، فالتنافس التجاري حر في جميع الدول .

ناديه : هذه كلمة حق أريد بها باطل . فما كنتم لتقدروا على هذا الاحتكار لو لم تساعدكم فيه اليهودية العالمية .

كوهين : أتريدون أن تمنعوا إخواننا في الخارج ، من مساعدتنا؟

ناديه : لاسلطان لنا على إخوانكم في الخارج ، وإنما نمنعكم أنتم من قبول هذه المساعدة لإضرارها بمصالح مواطنيكم من تجار العرب وغيرهم . ونحن بهذا في الواقع إنما نضع الضمان الصحيح ليكون التنافس التجاري في بلادنا حرا .

الرئيس : هل لي أن أسأل السيدة نادية كيف يتسنى منعهم من

قبول هذه المساعدة ؟

ناديه : نعم يا سعادة الرئيس ، سيكون مقدار استيرادهم الخارجي خاضعا لنسبتهم العددية فى القطر الذى ينزلون به من أقطارنا لاحق لهم فى الزيادة عليه ، وبهذا نضمن أن لايجوروا على أحد من المواطنين ولا يجور عليهم أحد.

عبد الله : فسيكون فى وسع اليهودى أن يعمد إلى بعض ضعفاء الإيمان من العرب فيتفق معهم على استئجار أسمائهم لتشغيل رأس ماله عندهم . وبذلك يتخلص من هذا القانون .

ناديه : فإنا ستضع لذلك عقوبة رادعة أيسرها مصادرة أموال ذلك اليهودى وأموال العربى الذى تواطأ معه أيضا .

كوهين : أيكون هذا القانون خاصا باليهود أم يشمل الجاليات الأجنبية الأخرى ؟

ناديه : سيكون عاما يسرى على كل جالية أجنبية ، لأننا فى الواقع لا نقصد التعنت على اليهود أو الإجحاف بحقوقهم بل نريد حماية اقتصادنا القومى ، ونرمى كذلك إلى مساعدة اليهود على تناسى عصبيتهم الجنسية التى هى دائما سبب محنتهم .

الرئيس : إذ كان هذا هو المقصد فلا عذر لليهود عندى فى

الامتناع عن قبول هذا الشرط .

عبد الله : والأعمال المضرة الأخرى التى يرتكبها اليهود ؟

نادية : تلك أعمال لا يعسر على السلطات الداخلية فى الحكومات العربية أن تضع حدا لها بالعقوبات الصارمة .

كوهين : هل تلك العقوبات خاصة باليهود ؟

نادية : كلا ستكون عامة تسرى على اليهود والعرب وغيرهم .

الرئيس : أتريد أن تقول شيئا آخر يا مسيو كوهين ؟

كوهين : لا يا سعادة الرئيس . «يجلس كوهين وتجلس نادية»

الرئيس : فما مطالبكم معشر العرب ؟

ميخائيل : «ينهض» أيها السادة : لقد أصابت العرب من جراء الحركة الصهيونية فى فلسطين خسائر جمة فى أنفسهم وأموالهم وأملاكهم . فكم من قرية مسحت من الوجود مسحا ، وكم من أرواح أزهقت ، وحقوق ضيعت ، وبيوتات كريمة شردت وأهينت . فيجب أن تؤلف لجنة لتقدير هذه الخسائر ليعوضها اليهود .

شيلوك : «ينهض» إن هذه الخسائر لا تعد شيئا إذا قيست بمئات ملايين الدولارات التى ضاعت علينا فى فلسطين ولن يعوضنا أحد عنها شيئا . أفما كفانا هذا أيها السادة حتى يطالبنا العرب بدفع تعويضات لهم ؟

ميخائيل : أنتم المسئولون عن ملايين الدولارات التى

بددتموها فى فلسطين فليس لها أى اعتبار . أما نحن فلسنا مسؤولين عما لحقنا من الخسائر بل تقع تبعتها عليكم ، فعليكم تعويضها .

الرئيس : لاشك أن هذا منطق معقول .

شيلوك : لكن من أين ندفع هذه التعويضات ؟

الرئيس : هذه مشكلة يسيرة الحل يا مسيو شيلوك . يؤخذ ذلك من مستعمراتكم الزراعية فى فلسطين ومؤسساتكم الصناعية .

شيلوك : هذه المؤسسات الصناعية أضحت لاقيمة لها اليوم يا سعادة الرئيس .

الرئيس : ستعود لها قيمتها حين تنتقل إلى أيدى العرب يا مسيو شيلوك، وليس من مصلحتكم أن تقللوا من قيمتها الآن .

ميخائيل : وهناك أيها السادة خسائر أخرى أفدح من هذه الخسائر النفسية والمالية أعنى الخسائر الأدبية . فقد بث الصهيونيون الفساد الخلقى فى فلسطين حتى انحلت عزائم شبابنا وانحطت أخلاقهم . وقد عاقوا حركة النهضة العربية فيها وأخروها ربع قرن أو يزيد عن مسايرة غيرها من الأقطار العربية ، كما أخروا حركة استقلالها أيضا إذ وقفوا دون تنفيذ اتفاق

حسين – مكما هون الذى يشمل فلسطين فيا يشمل. فلا بد لهذا كله من تعويض كبير لايكفى فيه الاستيلاء على مستعمرات اليهود ومؤسساتهم الصناعية فى فلسطين .

شيلوك : « يصيح » ماذا تقولون ؟ أتريدون الاستيلاء على هذه المستعمرات والمؤسسات التى أنفقنا عليها ملايين الجنيهات ؟ فماذا تبقون لنا إذن ؟

ميخائيل : إنها غير كافية بعد لتعويضنا عما لحقنا من هذه الخسائر الأدبية .

شيلوك : « يصيح » يالقسوة الأقدار ! من أين نجيئكم بالمال أيضا ؟ أنبيع أنفسنا وأولادنا لتعويضكم ؟

ميخائيل : من مصادر تلك الأموال التى كانت تتدفق عليكم من أمريكا وغيرها : فهل نضبت تلك الموارد اليوم ؟

شيلوك : أواه ! ألم تعلموا أن هذه الإعانات قد انقطعت عنا من زمن بعيد ؟

الرئيس : أظن أن فى وسعكم الاكتفاء بهذه المستعمرات والمؤسسات .

ميخائيل : إنها لاتكفى ياسعادة الرئيس .

عربى باشا : « لنادية » لعل فى وسع مندوبة الجامعة العربية

أن تراجع الأستاذ ميخائيل فى هذا تسهيلا لمهمة الهيئة »

نادية : «تنهض » إنها فى الواقع لاتكفى ياحضرات السادة، فمعظم هذه المستعمرات قد انتقلت إلى أيدى اليهود بطرق أشبه مايكون بالاغتصاب ، أما هذه المؤسسات الصناعية فقد بذل لها كثير من التسهيلات والامتيازات على حساب دافع الضرائب العربى . فإعطاؤها للعرب اليوم أشبه برد الحقوق إلى أهلها منه بالتعويض . ولكنى بالرغم من هذا كله سأحمل قومى العرب على قبول ما اقترحه سعادة الرئيس إكراما لخاطره وتسهيلا لمهمة المجلس .

الرئيس : أشكر السيدة نادية وأكرر القول بأنها دائما حمامة السلام .

« تجلس نادية »

ميخائيل : بقى لنا مطلب آخر أيها السادة .

الرئيس : ما هو ؟

ميخائيل : تعويض آخر لإعادة بناء المسجد الأقصى الذى هدمه اليهود ليقيموا هيكل سليمان على أنقاضه . وهذا مطلب لا يطالب به العرب وحدهم بل يشاركهم فيه المسلمون كافة ، مع مراعاة أن هذا

التعويض مهما عظم لايكافىء الإهانة التى مست شعور العرب والمسلمين من جراء الاعتداء على هذا الأثر المقدس، الذى يعتبره المسلمون أولى القبلتين وثالث المسجدين . كما أن على اليهود أن يدفعوا تعويضات أخرى عما لحق المقدسات المسيحية من اعتدائهم فى تلك الفترة المشئومة ، فترة قيام دولتهم اليهودية . وهذا أيضا طلب لا يطالب به العرب وحدهم بل ينبغى أن يشاركهم فيه المسيحيون جميعا فى مختلف أنحاء العالم :

شيلوك : أبعد أخذ مستعمراتنا ومؤسساتناتطلب منا تعويضات؟ أما من رحمة أيها السادة ؟

إبراهام : « ينهض » هى العدالة يا مسيو شيلوك ! .

« ينظر إليه شيلوك شزرا ولم يجب — يجلس إبراهام »

الرئيس : إننا لا نستطيع أن ننكر هذه المطالب يا مسيو شيلوك؛

شيلوك : من أين نأتى بهذه الأموال يا سعادة الرئيس ؟ لم يبق بأيدينا شىء .

الرئيس : « لميخائيل » مارأيكم لو جعلناها دينا عليهم يدفعونه لكم أقساطا فى خلال عشرين سنة أو تزيد ؟

ميخائيل : إن رأى سعادة الرئيس ذلك فلا مانع عندنا من قبوله.

الرئيس : هل لديك مطالب آخر ؟

ميخائيل : لا ياسعادة الرئيس . هذا كل ماعندى :

نادية : «تنهض» أيها السادة ، لدينا مطلب آخر أهم من هذه المطالب كلها ، وهو شرط أساسى لقبولنا هذا الصلح .

الرئيس : ما هو ؟

نادية : تحريم فلسطين على اليهود إلى الأبد . لليهود أن يقيموا فى غير فلسطين من أقطار العرب أما فلسطين فمحرمة عليهم إلى الأبد .

شيلوك : ياليتنى مت قبل هذا اليوم ! .

إبراهام : « ينهض » نحن اللاصهيونيين مستثنون من هذا القرار . أليس كذلك ؟ .

نادية : اللاصهيونيون مستثنون من هذا القرار على أن يكونوا من الفلسطينيين ، أما غيرهم فلا .

« يجلس إبراهام » .

شيلوك : كيف تحرمون علينا دخول فلسطين وهى أرض الميعاد ؟ .

عبد الله : « ينهض » انظروا أيها السادة إلى هذا العجوز الصهيونى لايزال بعد هذا كله يفكر فى أرض الميعاد ! فليعلم اليهود إذن أن لاصلح بيننا وبينهم ما بقيت هذه الخرافة قائمة فى أذهانهم « يجلس » .

الرئيس : يجب أن تنسى هذه الكلمة يامسيو شيلوك .

شيلوك : كيف أنساها ياسعادة الرئيس ؟ .

الرئيس : لقد أعطيت لكم أرض الميعاد فرأيتم ما حل بكم من جرائها ، فماذا يطمعك فيها بعد ؟ .

شيلوك : أوراه .

الرئيس : « لنادية » لكن لماذا لايكون حال فلسطين كحال غيرها من الأقطار العربية ؟

نادية : لا ياسعادة الرئيس ، إن بقاءهم فيها لابد أن يذكرهم دائما بهذا الحلم الصهيوني اللعين . وإن جهودنا وأوقاتنا لأعز علينا من أن نبذلها سدى في معالجة مشكلات أخرى كهذه المشكلة في المستقبل ، كما أن جهود العالم أنفس من أن تذهب في معالجتها هباء منثورا .

شيلوك : ولكن لنا مقدسات دينية في فلسطين ، فكيف تحرمون علينا دخولها ؟ إن هذا لظلم كبير واضطهاد ديني لاتقره روح العصر .

كوهين : ولا تقره كذلك تقاليد العرب .

نادية : إننا أول من علم الدنيا التسامح الديني ، ولذلك لانرى مانعا من السماح لحجاج اليهود بالحج إلى مقدساتهم التي سنحميها ونحترمها طبقا لأوامر قرآننا الخالد .

فإن كانوا يريدون المناسك الدينية فبابها مفتوح أمامهم فى كل حين . وإن كانوا يريدون شيئا آخر فلييأسوا منه إلى الأبد .

الرئيس : هذا جميل ولا وجه لاعتراض اليهود بعد هذا البيان .

شيلوك : لكن مدينتنا تل أبيب التى أنفقنا فيها كل ماتملك من مال وجهد، ماذا يكون مصيرها؟ من يسكن فيها؟

نادية : هذه يجب هدمها ! هى سدوم القرن العشرين فلابد من هدمها ، وعلى اليهود أنفسهم أن يقوموا بهذا الهدم !

شيلوك : ويلاه أتهدم تل أبيب ؟ كيف ؟ كيف ؟ « يسقط متهالكا على الأرض فيقوم كوهين وينهضه ويسنده » كلا لا تهدم تل أبيب وأنا حى ! كلا أيها السادة لاتوافقوا العرب على هذا المطلب الجائر !

نادية : هذا شرط أساسى لقبولنا الصلح . لقد كنت رفيقة باليهود فى كل الشروط الماضية ، فأما هذا الشرط الأساسى فلن أتسامح فيه .

الرئيس : لامناص من قبول هذا الشرط يامسيو شيلوك .

شيلوك : « يصيح » لا ياسعادة الرئيس ! ياحضرات المستشارين ياحضرات السادة ! لا توافقوهم ! لا توافقوهم !

الرئيس : نظـرا لمصلحة العرب ولمصلحة اليهود أنفسهم ولمصلحة السلام العالمى قررت الهيئة قبول هذا الشرط .

شيلوك : آه ! آه ! لا بقاء لى هنا ، احملونى إلى بيتى ثم افعلوا ماشئتم . آه! «يسقط مغشيا عليه فيخف الحرس إليه».

الرئيس : «للحرس» احملوه إلى بيته .

«يحمله الحرس ويخرجون به من القاعة» .

كوهين : اعذروا هذا الشيخ المسكين أيها السادة وارثوا لحاله ، فهو يستحق العطف والرثاء . إننى بالنيابة عنه أقبل هذا الشرط إن لم يكن منه بد . ولكنى أرجوكم أن تعفونا من هدمها بأنفسنا .

نادية : كلا لا مراجعة فى هذا الشرط . فكما بنيتموها بأيديكم يجب أن تهدموها كذلك .

كوهين : لكن أنقاضها ستكون لنا .

نادية : نعم هى لكم . لا يبقين نقض منها فى مكانه احملوها إلى ، حيث شئتم خارج فلسطين وخارج الأرض العربية أو اقذفوا بها فى عرض البحر .

كوهين : سيستغرق هذا العمل مدة طويلة فيجب أن تعطى لنا مهلة كافية .

نادية : سنمهلكم سبع سنوات هى عمر دولتكم البائدة .

كوهين : «للمستشارين» أيها السادة . قد قبلنا هذه الشروط

ولكنا لا نأمن أن يضطهدنا العربى بعد ذلك فى أقطارهم ، فقد لا يستطيعون أن ينسوا ما بيننا وبينهم فى الماضى . ولذلك نريد ضمانات من الدول فى هذا الصدد .

نادية : إنا لا نقبل تدخل أحد من الدول فى بلادنا ، وعلى من يريد الإقامة فى وطننا أن يثق بعهدنا وبكلمتنا . ولكى يطمئن اليهود على مصيرهم عندنا فإنى أقترح أن تتفق دول العالم على إعطاء ضمانات عامة لليهود من شأنها أن تحفظ حقوقهم وتمنع الاضطهاد عنهم فى كل بقاع الأرض . وسندخل نحن فى هذا الاتفاق العالمى ويكون موقفنا فيه كموقف غيرنا من الأمم . وهذا اقتراح نتقدم به إلى الدول ونلح فى تحقيقه لمصلحة السلام العالمى .

الرئيس : هذا اقتراح جميل سنسعى فى مفاوضة الدول بشأنه .

كوهين : إننى أشكر السيدة نادية على تقديم هذا الاقتراح ، وأرى أن تنفيذه واجب على الإنسانية . فمن العار أن يضطهد جنس من البشر يعيش بينها . ولكن لى اقتراحا آخر أتقدم به إلى بريطانيا العظمى — باعتبارها صاحبة الانتداب سابقا — أن تعوضنا عما لحقنا من الخسائر بإعطاء وطن لنا فى أستراليا .

وهى قد عرضت علينا قديما مثل هذا فى أوغندا .

الرئيس : هذه مسألة أخرى لاتدخل فى اختصاصنا الآن . ولكنى لا أرى بأسا أن نسمع فيها رأى حضرة المندوب البريطانى .

سوردز : « ينهض » لا أستطيع اليوم أيها السادة أن أعد بشئ فى هذا الصدد . ولكنى أستطيع أن أؤكد لكم أننا سننظر فى هذا الاقتراح على أن يكون المطلوب وطنا يسكنونه فى أستراليا لا دولة يهودية ؛ إذ لا نأمن أن تحدث لنا متاعب أخرى جديدة .

إبراهام : « ينهض » أيها السادة ، لقد كان هذا من مقترحات جماعتنا فى الماضى ، لكن تبين لنا اليوم أن شيئا كهذا ليس من مصلحة الشعب اليهودى « يجلس » .

ميخائيل : « ينهض » وأنا أعارض هذا الاقتراح لا بصفتى عربيا أيها السادة ، فليس للعرب شأن بهذا ، ولكنى أعارضه بصفتى مسيحيا . فقد ورد فى بعض الآثار الدينية عندنا أن سيدنا المسيح لايمكن أن يظهر على الأرض إلا إذا تم تشتيت اليهود . وأعيد القول بأن اعتراضى هـذا هو وجهة نظر مسيحية بحتة .

كوهين : حتى هذا تنكرونه علينا !

الرئيس : مادام هذا الاعتراض من الوجهة المسيحية البحتة ، فليس اعتباره من اختصاص هذا المجلس .

ميخائيل : لسعادة الرئيس الرأى الأعلى . « يجلس »

الرئيس : فهل من مطالب أخرى لليهود ؟

كوهين : لا يا سعادة الرئيس .

الرئيس : والعرب هل لهم مطالب أخرى ؟

ميخائيل : أما من اليهود فلا . ولكن من حليفتنا بريطانيا .

الرئيس : ما ذا تريدون من بريطانيا ؟

ميخائيل : صديقنا الجنرال سوردز يعرف مانريد .

سوردز : «ينهض» لا مشاحة بين الأصدقاء يا أستاذ ميخائيل . لعلك تعنى أن نعترف بزوال عهد الانتداب على فلسطين .

ميخائيل : كلا ، فعهد الانتداب قد زال فعلا بقيام الدلة اليهودية المستقلة .

سوردز : فهل تعنى أن نعترف بفلسطين دولة عربية مستقلة ؟

ميخائيل : كلا ، فهذا هو الواقع بالضرورة اليوم .

سوردز : فماذا تريدون بعد هذا ؟

ميخائيل : أن تعطينا بريطانيا مايلزمنا من المعدات لتعمير بلادنا وتكوين نواة جيشها بمقتضى قانون الإعارة والتأجير .

نادية : إنى باسم جامعة الدول العربية أؤيد رغبة الأستاذ ميخائيل . .

عربى باشا : وأنا أيضا أؤيدها .

سوردز : سيكون هذا الطلب موضع النظر لدى حكومة جلالة الملك .

عربى باشا : هذا حق ياجنرال سوردز وليس بطلب . هو أقل تعويض تدفعه بريطانيا لها لحق فلسطين العربية من الأضرار المادية والأدبية من جراء إعطائها صك بلفور وموافقتها على السياسة الصهيونية فى الماضى .

سوردز : لاتنس ياصاحب السعادة أن الماضى قد انطوى بخيره وشره .

ميخائيل : هذا لايعنى الحاضر من واجب التفكير عن الماضى .

سوردز : حسنا ، إننى باسم حكومتى أعلن قبول هذه الرغبة كعربون للصداقة العربية الإنجليزية .

ميخائيل : ونحن معشر العرب نعتز بهذه الصداقة .

نادية : أجل نحن نعتز بهذه الصداقة الحرة ونعدها من القواعد الكبرى لسلام العالم .

عربى باشا : إن من خير العالم حقا أن تهتدى بريطانيا إلى هذه الحقيقة .

« يدخل شاب يهودى من باب القاعة ويتخطى

الصفوف نحو المقاعد الأمامية فيستوقفه أحد الحراس »

الحارس : ماذا تريد ؟

الشاب : أريد مقابلة المسيو كوهين .

كوهين : « ينظر إليه » أيها السادة هذا رسول من المسيو شيلوك .

الرئيس : دعوه يدخل .

« يتقدم الشاب اليهودى حتى يدنو من كوهين فيسر إليه حديثا ثم ينصرف » .

كوهين : «يظهر الحزن على وجهه» قد قلت لكم أيها السادة إن المسيو شيلوك يستحق العطف والرثاء . «تخنقه العبرة ».

الرئيس : ماذا حدث له يا مسيو كوهين ؟ .

كوهين : قد انتحر ! .

الرئيس : انتحر ؟

كوهين : « باكيا » نعم ، لم يعد المسكين يطيق الحياة !

« يسود المجلس نوع من الوجوم » .

إبراهام : هذه لعنة أبينا إبراهيم قد أنذرته بها من قبل !

ميخائيل : لاشماتة فى الموت يامسيو إبراهام . مسكين شيلوك ! لقد كان خصما عنيدا .

الرئيس : أجل ، مسكين هذا الشيخ العجوز !

إبراهام : ياليته عاش ! ؟

عربى باشا : لشد ماخدم القضية العربية بجهوده !

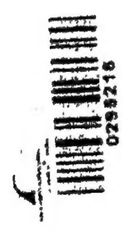
عبد الله : خدمة غير مشكورة ! .

نادية : بل علينا أن نشكره . إنه أيقظنا من سباتنا ثم نام .

سوردز : ماأصدق خيال شكسبير ! لكأنما كان يرى الغيب من ستر رقيق .

— ستار الختام —

رقم الإيداع ٢٢٤١ — ٨٥
الترقيم الدولى ٩ — ٠١٤٣ — ١١ — ٩٧٧



الثمن ٣٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه